جامعة الإمام جعفر الصادق

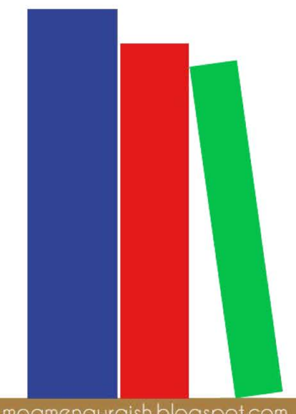
البرنامج الأمثل

لإدارة الدولة وقيادة المجتمع في عهد الإمام علي ع لمالك الأشتر

حسين بركة الشامي

مستشار رئيس الوزراء للشؤون الثقافية

ورئيس مجلس الادارة لجامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام



مكتبة
مؤمن قريش

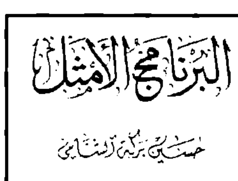
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .

الإمام الصادق (ع)

البرنامج الأمثل

لإدارة الدولة وقيادة المجتمع

في عهد الإمام علي لمالك الأشتر



الطبعة الثانية
١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨م



بغداد العراق 07901272747
Dar islamic@yahoo com



البرنامج الأمثل

لإدارة الدولة وقيادة المجتمع
في عهد الإمام علي ع لمالك الأشتر

حسين بركة الشامي

مستشار رئيس الوزراء للشؤون الثقافية

ورئيس مجلس الادارة لجامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام







بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

المائدة

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾

الحديد

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

آل عمران

«كُلكُمْ لآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَاب».

«كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته».

الرسول الاكرم ﷺ

«وَ أَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَ الْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَ اللُّطْفَ بِهِمْ وَ لا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَ إِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وَ تَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ».

«وَ لْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَ أَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَ إِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ».

الامام علي بن ابي طالب عليه السلام

الاهداء

الى القائد الفذ مالك بن الحارث الاشتر النخعي رضي الله عنه صاحب أمير المؤمنين عليه السلام وحامل لوائه في حروبه ومعاركه.

الى الرجل المبدأ. . الذي كان مثالاً للصبر، والصدق، والشجاعة.

الى المجاهد البطل الذي مات غريباً عندما دسَّ له معاوية السمَّ بالعسل، فاستشهد على ابواب القاهرة، فاصبح قبره قلعة للاحتجاج الدائم ضد الطغاة والظالمين.

اقدم هذه الصفحات المفعمة بالحب، والولاء والوفاء راجياً ان تكون نبراساً ينير الطريق لرجال الحكم والسياسة، ومناراً هادياً لكل العاملين لخدمة الدين، والوطن، والانسانية.

تصدير

أحدثت عملية التحول التاريخي والتغيير السياسي في العراق منعطفاً كبيراً في عقل ووجدان الانسان العراقي، الذي لم يكن يحسب، او يتوقع يوماً، أن هذا التحول والتغيير سوف يحصل ويتحقق بهذه السرعة المذهلة، لتقديره أن النظام البعثي الذي كان يحكمه بالخوف والرعب والتعسف، ليس من السهل أن ينهار، أو يزول الى غير رجعة بهذه الطريقة المدهشة، التي عايشها، وشاهدها، وتابعها لحظة بلحظة.

وما أن تغيرّ النظام، واختفى أزلامه، وتلاشت مظاهره الكاذبة من الحياة العراقية، حتى بدأ في العراق عهد جديد، يختلف تماماً عن تلك الحقبة المقيتة السوداء، فقد خطى التأريخ خطوته، وبدأ يكتب بصفحاتٍ جديدة التجربة السياسية الواعدة، رغم ما عصفت بها من أحداث وعمليات ومخططات إرهابية حاقدة، فإن حكمة المرجعية الدينية الرائدة، وصبر المسؤولين المتصدين، ووعي الشعب العراقي وايمانه بأن العهد الجديد يستحق كل هذه التضحيات لكيلا

يعيد التاريخ نفسه، وترجع عقارب الساعة الى الوراء فأن الشعب اكتشف في العهد الجديد ذاته وارادته، وأحس بكرامته وحريته، تحت ضوء الشمس بعيداً عن اشباح الخوف والتردد، الا ان هذه التجربة التاريخية الكبيرة لم تستطع ان تطهر دوائر الدولة من كل ترسبات ومخلفات حزب البعث الموبوء، وما زرعه من فسادٍ اداري ومالي في الحياة العراقية.

ومن هنا فاننا وفي ظل معركة البناء والتطوير والتنمية بحاجة الى طاقات كفوءة، وخبرات مهنية مبدعة، كما اننا بحاجة الى برامج توعية وتغيير للكادر الاداري المتخلف، والعادات والتقاليد المزيفة التي تطبّع عليها في شؤون الادارة والعمل، ولا ريب ان ذلك لا يتم الا في اطار زمني معقول، مع التحلي بالحكمة والصبر والارادة الواعية.

ولا شك ان عهد الامام علي عليه السلام الذي كتبه الى عامله مالك الاشتر، حين ولاه مصر، يعدّ برنامجاً متكاملاً في عملية البناء الثقافي والاخلاقي، والتطوير الاداري، في العراق الجديد، وهو المنهاج السياسي والعملي لادارة الدولة وقيادة المجتمع ومؤسساته المدنية والعسكرية.

وجامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام اذ تقدم هذا الكتاب

لكل رجال الحكم والسياسة والمسؤولين في الدولة مساهمة منها في دعم مسيرة العراق في مرحلته التاريخية الراهنة، فانها تعتقد انه خطوة قوية واعية بالاتجاه الصحيح، وذلك لكون هذا الكتاب يمثل مادة خصبة لتعميق الجانب الاخلاقي في الشخصية الادارية المتصدية لشؤون المجتمع، والتعامل مع قضاياه وفق ميزان الحق والعدل والانصاف.

ومن الجدير بالذكر ان فكرة هذا الكتاب كانت في بادىء الامر اقتراحاً مقدماً من السيد أمين مجلس الجامعة إلى رئيس مجلس الادارة العلامة السيد حسين بركة الشامي، ليتبنى شرح وتوضيح بعض مقاطعه وتوزيعه على اساتذة الجامعة وطلابها، ولكن المشروع توسع فاصبح كتاباً محيطاً بالعهد وتاريخه وسنده ومفاهيمه ومعطياته فخرج عن حدود دائرة الجامعة الى كل الشخصيات الفكرية والسياسيةوالاحزاب والمنظمات والمؤسسات والوزارات ودوائر الدولة المختلفة.

نأمل ان يكون للجميع منهجاً يتبعونه في طريق اقامة دولة الحق والعدل وسيادة القانون وحقوق الانسان.

نسأل الله تعالى أن يحفظ العراق وأهله، وأن ينصر الإسلام والمسلمين، إنه نعم المولى ونعم النصير.

اللهم انا نرغب اليك في دولة كريمة تعزُّ بها الإسلام

واهله، وتذل به النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك والقادة الى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة، برحمتك يا ارحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين

جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام

رجب الخير ١٤٢٩هـ

بغداد

المدخل

* الإمام علي عليه السلام في محطات سريعة
* نهج البلاغة في التراث الاسلامي
* سند العهد الشريف
* منهجنا في دراسة العهد
* المبادئ العامة لادارة الدولة وقيادة المجتمع
* شخصيات تعاقبت على ولاية مصر في خلافة الامام علي عليه السلام
* قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الانصاري
* محمد بن أبي بكر
* عمرو بن العاص
* مالك الاشتر

الإمام علي عليه السلام في محطات سريعة

ولد الامام علي عليه السلام في مكة المكرمة، في الكعبة البيت الحرام، في يوم الجمعة١٣ رجب قبل الهجرة النبوية بثلاث وعشرين سنة، ولم يولد في بيت الله الحرام احد سواه،[1] وهي لعمري فضيلة عظيمة خصه الله بها، اعلاناً لمنزلته، واظهاراً لكرامته، فقد كرم الله وجهه، فلم يسجد لصنم قط، وعلى هذا قال عليه السلام:

«فأني ولدت على الفطرة، وسبقت الى الايمان والهجرة»[2].

وهو أول هاشمي ولد من هاشميين وقد سبق الناس الى الاسلام، وأول خليفة للمسلمين من بني هاشم، وكان ابوه يلقب ببيضة مكة، وهو أول من صلى جماعة خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد تربى في حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان يتبعه اتباع الفصيل اثر امه.

---

(١) ينظر: خصائص أمير المؤمنين للشريف الرضي/ ٣٩. والغدير للاميني ٦/ ٢٢. والمستدرك للحاكم النيسابوري ٣/ ٤٨٣، ومروج الذهب للمسعودي.

(٢) مناقب آل ابي طالب ٢/ ١٠٧. وبحار الانوار ٤١/ ٢١٧.

لقب بـ«أمير المؤمنين» في بيعة غدير خم بعد حجة الوداع، ولقب كذلك بالصدّيق، ويعسوب الدين، والمرتضى، والوصي وغيرها من الالقاب الكريمة.

اما كنيته، فهو ابو الحسن، وابو السبطين، وابو الريحانتين، وابو تراب، وهي من أحب الكنى اليه.

آخاه رسول الله ﷺ مرتين، وشهد معاركه كلها الا غزوة تبوك، فأن رسول الله ﷺ خلفه على رعاية أهله وادارة شؤون المدينة، وقال له ﷺ:

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي»(١)

بات الامام علي عليه السلام على فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة يفدّيه بنفسه ومهجته، فنزل قوله تعالى فيه:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ٢٠٧﴾ البقرة.

كان عليه السلام قائد الجيش وحامل اللواء في مواطن كثيرة من معارك المسلمين ضد المشركين، فهو قائد بدر، وأحد، والاحزاب، وحنين، وخيبر، وبني المصطلق، وكان اذا نزل الى الحرب لا يرجع الا والنصر بيده.

---

(١) رواه احمد في مسنده ١/ ١٨٥ ومسلم في صحيحه ٥/٢٦٨.

زوجه رسول الله ﷺ من ابنته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وكان هذا الزواج المبارك، باشارة من السماء، فانجبت منه الامامين الهمامين الحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة، وزينب عقيلة بني هاشم وأم كلثوم.

بويع بالامامة والخلافة العامة يوم الغدير في ١٨/ من شهر ذي الحجة عام ١١/ للهجرة النبوية الشريفة، بعد نزول قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ المائدة.

وبويع عليه السلام البيعة الثانية بعد مقتل عثمان، وحدوث الفتنة، وذلك عام ٣٥ للهجرة وفيها قاتل المارقين، والقاسطين، والناكثين.

وكان حكمه يتسم بالقسط والعدل، والانصاف للرعية، وكان يشرف بنفسه على رعاية الفقراء، والمساكين، واليتامى ويهتم بهم، حتى لقب بانه ابو المساكين واليتامى.

كان أعلم الصحابة، وأشجعهم، وأقضاهم، وترجع اليه أكثر العلوم والمعارف الشرعية والادبية، وكانت شخصيته تمتاز بصفات الكمال، والشمائل الحسنة والخلال الفاضلة.

كانت شهادته في شهر رمضان ليلة القدر على يد الخارجي اللعين عبد الرحمن بن ملجم في مسجد الكوفة وهو في محراب صلاته «سلام الله عليه».

نكتفي بهذه المحطات الموجزة جداً لترجمة حياة أمير المؤمنين عليه السلام فان حياته حافلة بكل فضيلة من فضائله التي لا تحصى، وهي كالشمس واضحة، أكبر من ان يستوعبها بيان او يخطها بنان، ولذلك أقول كما قال الشاعر الشاب اليافع وهو يمدح أمير المؤمنين بقوله:

ماذا اقول وكلما بك أُسمعُ
أصلُ الختام أقولُ هذا مطلعُ
فاذا قصرتُ فقد خدمتُك ناشئاً
واذا أجدتُ فأنتَ أنتَ المنبعُ

أو أقول كما قال المتنبي:

وتركتُ مدحي للوصي تعمداً
إذ كان نوراً مستطيلاً شاملا
واذا استطال الشيءُ قام بنفسه
وصفاتُ ضوءِ الشمس تذهبُ باطلا

نهج البلاغة في التراث الاسلامي

ان مما لا شك فيه ولا ريب، ان نهج البلاغة، هو الوعاء الثمين، والسفر الخالد الذي تضمن أكثر خطب، وكتب، ورسائل، وكلمات أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام والذي جمعه واعتنى بترتيبه وتنظيمه نقيب الطالبيين العلامة الاديب السيد محمد بن الحسين الموسوي الملقب بالشريف الرضي رضي الله عنه المتوفي سنة ٤٠٦ هـ في بغداد، وكان سبب اهتمامه وجمعه لنهج البلاغة، كما ذكر في مقدمة الكتاب:

انه صنف كتاباً بعنوان «خصائص الائمة» يشتمل على محاسن اخبارهم عليهم السلام وعلى جواهر كلامهم، وحينما أطلع على هذا الكتاب مجموعة من العلماء والاصدقاء وأعجبوا به، خصوصاً محاسن وروائع كلمات ومواعظ الامام علي عليه السلام فطلبوا منه ان يجمع تلك الكلمات البديعة، والجواهر الفذة في كتاب مستقل، فلبى رغبتهم، فشمّر عن ساعد الجد وجمع كتاب النهج، وقد أسماه بـ«نهج البلاغة»، وهو اسم يطابق مسمّاه ويوافق معناه.

وكان قد اختار الشريف الرضي نهج البلاغة من كتب، ومصنفات، ومصادر شتى، تتوزع على الادب والتاريخ، والحديث، وكتب، الاخلاق والعرفان، وهي مصادر مشهورة ومعتمدة عند اهل العلم وأرباب المعرفة والتحقيق وأكثرها قبل ان يولد الشريف الرضي بمئات السنين، وقد حفظها الناس في الصدور، وتداولها العلماء والمحدثون في حلقات الدرس وكتب الادب والتراث.

والذي يؤسف له حقاً ان الشريف الرضي«عليه الرحمة» لم يكن جهده منصباً على تحقيق تراث الامام علي عليه السلام وأسانيده، وانما جمع ما كان يراه يمثل الذروة في البلاغة والادب وترك ما عداه، ولذلك فاته الكثير الكثير من خطب وكلمات ومواعظ امير المؤمنين عليه السلام.

ومن هنا فقد قام بعض العلماء المتأخرين بتصنيف موسوعات وكتب استدركت ما فات الشريف الرضي رضي الله عنه او غاب عنه.

وهذا لا يعني ان نبخس عظمة انجاز الشريف الرضي، ودوره في هذا المشروع النفيس، ومهما قيل فانه يظل يحتل الصدارة في هذا المضمار، حيث كان له شرف المبادرة والسبق في هذا المجال، اذ فتح الباب للباحثين للاهتمام اكثر

بجمع وتحقيق تراث الامام علي بن ابي طالب عليه السلام وغرر كلامه وحكمه.

والذي يؤسف له ايضاً ان السيد الشريف الرضي لم يذكر أسانيد نهج البلاغة، والمصادر التي استقى خطبه، ورسائله، ومواعظه منها، ونخال ان سبب ذلك، ان قصد الشريف الرضي وغايته كانت هي بيان روائع الكلم، واظهار اسرار البلاغة وبديعها في كلام الامام علي عليه السلام ولم يكن هدفه تحقيق الاسانيد ومعرفة مصادرها بالتفصيل.

ولو أنه تناول هذا الجانب لقطع الطريق على كل المتقولين والمشككين بنسبة هذا النهج العظيم لصاحبه سيد البلغاء والمتكلمين، ونحسب ان شهرة وتواتر خطب وكلام الامام علي عليه السلام والتسالم على خصوصياتها الدلالية، وصحة نسبتها الى امير المؤمنين عليه السلام هي التي دعت الشريف الرضي الى الاختصار والاقتصار على النصوص المختارة من قبله فقط.

ولو ان الشريف الرضي «عليه الرحمة» كان يحسب ان بعض الجهلة، ومدّعي العلم يتجرأ على نهج البلاغة بالتشكيك في أسناده، لما تهاون عن ذكر ذلك، فقد كانت المصادر حاضرة بين يديه، ولا يحتاج الى عناء كبير في

تثبيتها أو الاشارة إليها.

وعلى هذا الاساس نعتقد ان هذه الشبهات والشكوك والدعاوى الملفقة ليس لها مستند علمي، ولا ترتكز على اساس موضوعي، انما هي وليدة أجواء التعصب الاعمى، ونتيجة الاحقاد الطائفية والجهل المركب في فترات غلب عليها التطرف في الفكر والمواقف المذهبية.

وقد ذكر المرجع الديني الراحل السيد عبد الاعلى السبزواري رحمه الله صاحب موسوعة مهذّب الاحكام في الفقه، ومواهب الرحمن في التفسير في احدى جلسات مذاكراته العلمية بان التشكيك في نسبة نهج البلاغة من فعل المتأخرين، ولم يكن له ذكر معتدٌ به في السابقين[١].

وبغض النظر عن البحث في الاسناد والمصادر التي اعتمد عليها الشريف الرضي في جمعه لمحاسن كلام امير المؤمنين عليه السلام فان المتأمل العارف بفنون الكلام والادب يتضح له بكل جلاء ان نصوص، وسبك، وانسجام، ومضامين موضوعات نهج البلاغة تنبع من معين واحد، وانها

(١) كما نقل ذلك لي الاخ الصديق سماحة العلامة الجليل آية الله السيد علي الحسيني الأشكوري «دامت بركاته».

تجري كالسلسبيل في مجرى واحد.

حتى ان ابن ابي الحديد المعتزلي شارح نهج البلاغة، وهو من العارفين بعلوم اللغة، وفنون البلاغة قال في مقدمته:

«وانت اذا تأملتَ نهج البلاغة وجدته كله ماءً واحداً، ونفساً واحداً، واسلوباً واحداً كالجسم البسيط، الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الابعاض في الماهية، وكالقرآن العزيز أوله كأوسطه وأوسطه كآخره، وكل سورة وكل آية مماثلة في المأخذ، والمذهب، والفن، والطريق، والنظم لباقي الآيات والسور، ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك، فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم ان الكتاب او بعضه منحول الى امير المؤمنين» [١] الى اخر قوله .

وإذا كانت النصوص الادبية، والعلمية، والفقهية، والتاريخية، يستدل فيها بصحة الاسانيد على صحة متونها، فاننا نستطيع القول بان صحة متن نهج البلاغة، وخصوصاً ما تضمنه عهد الاشتر من نص محكم، ومتقن، دليل على

---

(١) شرح نهج البلاغة/ المقدمة.

صحة سنده، وذلك لما يمتاز به هذا المتن من سبك منقطع النظير في المعنى والمبنى، وان الباحث الخبير ليشعر ان روحاً نورانية تكمن وراء كل عبارة من عباراته، وان هناك خيوطاً نسجت افكاره ومفاهيمه لا يدركها الا من توغل في اعماقها، واكتشف الروح السامية والمعاني العالية من وراء الالفاظ والمفردات التي تعبر عنها.

وهذا المنهج اصبح مالوفاً، وسائداً في الدراسات التحليلية النقدية الحديثة لنصوص التراث، بل لكل الاعمال والنتاجات الفكرية، والادبية والانسانية، حيث تنطلق القراءة والرؤية من داخل النص، وضمن اطار افكاره ومقاصده، مع دمج الظروف والعوامل النفسية، والاجتماعية والتاريخية المحيطة به، واستنطاق معانيه، ودلالاته، اعتماداً على طريقة التفكيك والبناء التي تجري على النصوص، لاكتشاف صحة نسبتها واصالتها الى اصحابها، وطبيعة الفترة التاريخية التي ولد فيها النص.

وقد ساهمت هذه العملية وفق هذا المنهج على اكتشاف وتعريف الكثير من النصوص العالمية، والاعمال التراثية المهمة، والتي في مقدمتها نصوص وكلمات نهج البلاغة بشكل عام، وعهد الامام علي عليه السلام لمالك الاشتر على وجه

الخصوص، الذي يدلل على عظمة صاحبه، ومالك ناصيته الامام أمير المؤمنين عليه السلام دون ان يخالجك الريب او التردد.

ومما تجدر الاشارة اليه ان العهد العلوي، قد فرض نفسه على العقل الاسلامي، والوجدان العام، حتى ان الكثير من القادة والحكام، كانوا يداومون على قرائته، وحفظ كلماته، وفهم نصوصه، والسعي الى محاولة تجسيد مضامينه في الحياة الاجتماعية.

حتى جاء في التاريخ ان القائد العسكري الشهير-زوج اخت الخليفة العباسي عبد الله المامون-الطاهر ابن الحسين لما ولي ولده عبد الله على ديار ربيعة، كتب اليه كتاباً يامره بتقوى الله، ويرشده الى الطريقة المثلى التي يحكم فيها أمر هذه البلاد، ويقضي فيها شؤون العباد، وكان أكثر فصول ومقاطع وكلمات هذا الكتاب مقتبسة، ومتأثرة، ومأخوذة الى حدٍّ كبير من العهد العلوي المبارك مع الفرق الشاسع بين العهد الشريف وكتاب الطاهر الى ولده من ناحية بناء النصوص، وتنظيم الافكار والمعاني.

فمن قابل، وقارن، وتأمل فيهما يجد ذلك بوضوح، إذ ان العهد العلوي يتسم بالتركيز والاحكام، والتنظيم، والمنهجية، والقوة، والوضوح وبأختصار فانه من السهل

الممتنع على حدٍّ تعبير المناطقة، في حين ان كتاب الطاهر بن الحسين يفتقد الى ذلك.

ونترك الحكم والتقدير الى الباحث الموضوعي الخبير لمعرفة المستوى، والفارق النوعي بين النصين، ولا نشك ابداً بأن الباحث العارف بفنون الكلام ونظام البيان سوف يشاطرنا الرأي بقوله: «أين الثريا، وأين الثرى»(١)

ولا شك ان ما جاء في نهج البلاغة بشكل عام، وعهد الاشتر على وجه الخصوص من معاني ونظم وافكار تصلح ان يعكف عليها الناقدون والدارسون من داخلها ليعرفوا حقيقة نصوصها، ونسبة سندها الى أميرها، أمير البيان والبلاغة بلا منازع.

وفي هذا الاطار لدراسة النهج سواء كان من داخل النص أو من خارجه، فقد عني عدد من العلماء والمحققين بتصنيف مؤلفات تختص بالبحث حول أسانيد نهج البلاغة ومصادره نذكر منهم:

- والشيخ المحقق محمد هادي آل كاشف الغطاء

(١) ينظر: تاريخ الطبري ٨/ ٦١٧.

في كتابه «مستدرك نهج البلاغة ومداركه».

- بحوث ومناقشات السيد محسن الأمين العاملي ضمن موسوعته الجليلة «أعيان الشيعة».

- العلامة الجليل السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب الذي ألف كتاباً بعنوان «مصادر نهج البلاغة واسانيده» في اربع مجلدات عام ١٩٦٩م.

- والسيد عبد العزيز الطباطبائي رحمه الله في بحوث ودراسات متعددة خصوصاً بحوثه التي نشرت في مجلة «تراثنا» التي تصدر عن مؤسسة آل البيت لاحياء التراث.

وغيرهم من العلماء والباحثين، والمهتمين في هذا المجال.

ومما يؤكد أصالة نهج البلاغة أيضاً وصحة سند مروياته، هو وروده في إجازات العلماء عبر الاجيال، بالشكل الذي اضحى هذا السفر الخالد وثيقة تاريخية، مستفيضة مهمة، ومسلّمة في التراث الاسلامي، لا يمكن الاستغناء عنها، او تجاهلها بأي حال من الاحوال.

ولعل عهد الامام علي عليه السلام الذي كتبه لصاحبه مالك الاشتر رضي الله عنه حين ولاه مصر عام ٣٧هـ يُعدُّ من أهم النصوص وأغناها، وأجمعها لمحاسن الأخلاق، والقيم، والمعارف في مجالات الحكم والسياسة، وحقول الادارة والاجتماع، والاقتصاد، والتربية، وهو البرنامج العملي الأمثل لأدارة الدولة وقيادة المجتمع.

سند العهد الشريف

أما الحديث عن سند هذا العهد الشريف، وكيفية وصوله الينا عبر الاجيال، فاننا لم نعثر على مؤرخٍ ثبت، أو محدثٍ له مسكة من العلم والنظر، يشكك بنسبة هذا العهد الى أمير المؤمنين عليه السلام.

بل ان تسالم كتب التاريخ، وموسوعات الحديث، تؤكد ان العهد الشريف هو من املاء علي عليه السلام لا من غيره، وانها ترسل ذلك ارسال المسلمات، كما ان مصادر التاريخ تشير الى انه كان موضع العناية والاهتمام من قبل مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وليس هذا الامر غريباً على هذه المدرسة المباركة، فقد كان للائمة الاطهار عليهم السلام قصب السبق في حفظ، وصيانة، وتدوين سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المطهرة، والاهتمام بتراثها الاصيل من جيل الى جيل.

فقد حكى لنا التاريخ حرصهم الشديد على حفظ وحماية ما توارثوه في هذه المدرسة مثل كتاب «الجامعة» للامام

عليعليه السلام وهي صحيفة كبيرة أملاها رسول اللهصلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين، وفيها الحلال والحرام وكل ما يحتاج الناس اليه في حياتهم الخاصة والعامة.

وخطبة الزهراء، التي ألقتها على مسامع المسلمين في المسجد بعد وفاة النبيصلى الله عليه وآله والصحيفة السجادية الجامعة لغرر الادعية والمناجاة للامام زين العابدين عليه السلام وفقه وتعاليم الائمة الاطهار عليهم السلام خصوصاً الامامين الباقر والصادق عليهما السلام الذين شاعت في الافاق علومهما واخبارهما.

وغير ذلك من وثائق التراث ومدوناته في هذه المدرسة المباركة، كالاصول الاربعمائة التي دوّنها الرواة والمحدثون الكبار في كتب ومصنفات مشهورة.

والتي أضحت مادة اساسية لموسوعات الحديث للمحمدين الثلاثة[1].

قال الشيخ البهائي في مشرق الشمسين:

«قد بلغنا عن مشايخنا «قدس الله اسرارهم» انه كان من

---

(١) المحمدون الثلاثة هم: محمد بن يعقوب الكليني، صاحب كتاب «الكافي» ومحمد بن علي الصدوق، صاحب كتاب «من لا يحضره الفقيه» ومحمد بن الحسن الطوسي، صاحب كتابي «التهذيب، والاستبصار».

دأب اصحاب الاصول انهم اذا سمعوا عن احد من الائمة حديثا بادروا الى إثباته في اصولهم، لئلا يعرض لهم نسيان لبعضه أو كله بتمادي الأيام»[١]

وعلى هذا الاساس فان الاهتمام بعهد الامام علي عليه السلام لمالك الاشتر رضي الله عنه يأتي في السياق نفسه، لانه يمثل سبيكة ذهبية نادرة من النصوص، والوصايا، والتعاليم الاخلاقية والسياسية لادارة الدولة، وقيادة المجتمع في مختلف مجالاته.

هذا اضافة الى اهتمام الرواة والمحدثين بهذا العهد الشريف، حيث رواه رجالٌ ثقاةٌ من الطبقة الاولى، أمثال الاصبغ بن نباته رضي الله عنه صاحب امير المؤمنين عليه السلام المعروف بالصدق، والعدالة، والوثاقة، والضبط.

قال النجاشي:

«الاصبغ بن نباتة كان من خاصة امير المؤمنين عليه السلام وعُمّرَ بعده روى عنه عهد الاشتر، ووصيته الى

---

(١) للمزيد من الاطلاع حول تدوين الاصول الاربعمائة وكيفية وصولها إلينا، يراجع كتابنا: «كتاب الصلاة الجامع لروايات حريز بن عبدالله السُجستاني».

محمد ابنه»[١].

وفي فهرست الشيخ الطوسي: كان الاصبغ من خاصة أمير المؤمنينعليه السلام وعُمّرَ بعده، وروى عنه عهد مالك الاشتر، الذي عهده اليه أمير المؤمنينعليه السلام لما ولاه مصر.. وأخبرنا بالعهد ابن ابي جيد «الجندي» عن محمد بن الحسن عن الحميري[٢].

كما انه اشتهر في كتب التاريخ، ان مالك الاشتر لما وافاه الاجل مسموماً على ابواب مصر، وجد في محمله هذا العهد، فنقل الى معاوية في الشام، وبقي عهد الاشتر عند بني امية يكتمونه خشية ان يتأثر الناس بفلسفته الاخلاقية، ومعانيه السامية، وتعاليمه الادارية والسياسية.

حتى اذا انطفأت دولتهم، وانمحت آثارهم خرج هذا العهد من أسرهم، وما اسرع ان انتشر في الافاق.

قال ابو مخنف: حدثني فضيل بن خديج عن مولى للاشتر، قال: لما هلك الاشتر وجدنا في ثقله رسالة عليعليه السلام إلى اهل مصر.

---

(١) النجاشي ١/٦.

(٢) الفهرست / ٣٧.

وهذا ما ذكره المؤرخون من ان الامام علي حمّل مالك الاشتر، إضافة الى العهد الشريف رسالة خاصة الى اهل مصر، فيها توصية لهم بلزوم طاعة مالك، والانصياع لاوامره، والذي يبدو ان كلا الرسالتين، وجدا في ثقله ومتاعه، بعد وفاته رضوان الله عليه[1].

الذين كتبوا في نهج البلاغة

ولاهمية هذا العهد ومكانته في التراث الاسلامي فقد عكف العديد من العلماء على دراسته واستكشاف نصوصه، وحفظ مضامينه، والكتابة عنه بالشرح والتعليق، هذا فضلاً عن توثيق سنده وضبط نصوصه ودلالاته.

ومن أشهر المتقدمين الذين تناولوا رواية هذا العهد ودراسته من جميع جوانبه المختلفة، كما ذكر ذلك شيخنا المحقق أغا بزرك الطهراني في الذريعة حيث قال:

١- الاصبغ بن نباتة التميمي وهو من خواص أمير المؤمنين عليه السلام والمتوفى بعد المائة الهجرية.

٢- الحسن بن علي بن شعبة المتوفى ٣٣١هـ حيث روى نص العهد في كتابه: «تحف العقول» الا

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري ٤/ ٧١.

انه دمج بعض كلمات الشراح مع النص، تسامحاً منه رحمه الله.

٣- الشيخ الجليل قطب الدين الراوندي في شرح نهج البلاغة.

٤- بَهج الصباغة في شرح نهج البلاغة في ١٤ مجلد للعلامة المحقق الشيخ محمد تقي التستري.

٥- الشيخ عبد الحميد المعتزلي المعروف بابن ابي الحديد في شرحه المشهور «شرح نهج البلاغة».

٦- العلامة الشيخ ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي في كتابه «منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة».

٧- الشيخ ميثم بن علي البحراني في كتابه «شرح نهج البلاغة».

٨- السيد يحيى بن ابراهيم الجحاف في كتابه «ارشاد المؤمنين الى معرفة نهج البلاغة المبين»[١].

(١) تنظر: الذريعة: ١٤/ ١١٢.

الى غير ذلك من العلماء والباحثين المتقدمين الذين اهتموا بشرح نهج البلاغة وحفظ نصوصه.

وينبغي التنبيه الى مسألة مهمة اشار اليها بعض العلماء المحققين، ان بعض ممن شرح نهج البلاغة من القدماء خلطوا ما بين متن العهد، وكلمات من سبقهم من الشراح، فقاموا بشرح وتوضيح كلمات الشراح مع نصوص العهد[١].

أما من العلماء المحدثين الذين شرحوا نهج البلاغة أو كتبوا فيه وأهتموا بنصوصه ومصادره وتفسير معانيه ومضامينه، وكذلك العلماء والباحثين الذين شرحوا العهد، أو تناولوا بعض جوانبه، بالبحث والدراسة فنذكر منهم:

١- الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في شرحه المختصر لنهج البلاغة.

٢- السيد هبة الدين الشهرستاني في كتابه «ما هو نهج البلاغة» ودراسته عن بيان سند عهد الامام علي لمالك الاشتر وشرح متنه.

٣- الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه «في ظلال

---

(١) ينظر مقدمة بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة للعلامة الشيخ محمد تقي التستري.

نهج البلاغة».

٤- الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتابه «دراسات في نهج البلاغة».

٥- المحامي توفيق الفكيكي في كتابه الجليل «الراعي والرعية» الذي مزج فيه آراء الفقهاء ورجال القانون.

٦- الشيخ محمد باقر الناصري في كتابه المختصر «مع الامام علي في عهده لمالك الاشتر».

٧- الشيخ صبحي الصالح في كتابه «نهج البلاغة».

٨- الشيخ الشهيد مرتضى مطهري في كتابه النفيس «في رحاب نهج البلاغة».

٩- الشيخ محمد باقر المحمودي في موسوعته «نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة».

١٠- الشيخ محمد حسن آل ياسين في كتابه: «لمن نهج البلاغة».

١١- الاستاذ الباحث نوري كامل المالكي رئيس وزراء العراق الحالي سنة ٢٠٠٨ ميلادية، الذي قدم بحثاً قيماً الى جامعة الامام الاوزاعي في

بيروت حول برنامج ادارة الدولة وقيادة المجتمع «مخطوط» مستوحياً ذلك من عهد الامام علي عليه السلام لمالك الاشتر رضي الله عنه.

١٢- الشيخ الفقيه حسين علي منتظري في اشاراته العلمية القيمة لنهج البلاغة وعهد الامام علي عليه السلام لمالك الاشتر ضمن بحوثه الفقهية الاستدلالية الموسعة عن ولاية الفقيه وفقه الدولة الاسلامية.

١٣- الدكتور أسعد السامرائي في كتابه «حجج النهج».

١٤- المعجم الموضوعي لنهج البلاغة- اعداد الباحث اويس كريم، محمد وقد نشره مجمع البحوث الاسلامية -مشهد/١٤٠٨هـ.

١٥- آية الله الشيخ محمد مهدي الاصفي في كتابه «الثقافة القيادية، والادارية في القرآن والسنة» الذي تناول فيه أهمية الإدارة والقيادة في الإسلام من خلال اعتماده على نصوص عهد الامام علي عليه السلام لمالك الاشتر.

١٦- الشيخ نوري حاتم الساعدي في كتابه:

«دراسات سياسية في عهد الامام علي لمالك الاشتر» وهو عبارة عن شرح مختصر لمقاطع من العهد الشريف في ضوء التجربة السياسية والثقافية لدولة الجمهورية الاسلامية الايرانية.

١٧- السيد عبد المحسن فضل الله في كتابه: «نظرية الحكم والادارة في عهد الامام علي للإشتر».

١٨- الاستاذ الدكتور سعد محمد علي التميمي حيث كتب رسالة في النقد بعنوان «الخصائص الاسلوبية والبنائية لنثر الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة» وهي رسالة مقدمة من الباحث لنيل درجة الدكتورا في اللغة العربية «بلاغة ونقد» من جامعة أم درمان الإسلامية في السودان.

هذا وقد صدرت في الاونة الاخيرة مجلة فصلية في طهران تعنى بالدراسات والبحوث المتعلقة بكل ما يخص نهج البلاغة من معارف، وعلوم، وتاريخ، وادب، وتراجم.

الى غير ذلك من الباحثين والمهتمين بنهج البلاغة ودراسة العهد المبارك، حتى ان السيد محسن الامين العاملي ذكر في موسوعته «اعيان الشيعة» العشرات ممن شرحوا او

كتبوا في نهج البلاغة بعامة وفي عهد الامام علي عليه السلام لمالك الاشتر بخاصة[١].

هذا في حدود الدراسات والبحوث المدوّنة في اللغة العربية، اما في غيرها من اللغات فالقائمة تطول لكثرتها[٢].

وعلى الرغم من اهمية الكتابات الخاصة بالعهد الشريف، وشرحه على اختلاف المناهج والتوجهات، الا انها لا تعطي الرؤية المتكاملة لكافة الابعاد والجوانب الفكرية والسياسية والاخلاقية، والادارية التي احاط بها هذا العهد المبارك، لأن اكثر هذه الكتابات تمثل مرحلتها الزمنية، واللغة التي كتبت فيها، وهي لا شك اعمالٌ وجهودٌ مشكورة.

لكننا نطمح ان يدرس هذا العهد وفق رؤية شاملة تستوعب جميع التحولات والمتغيرات الثقافية والسياسية التي شهدتها الامة الاسلامية على اختلاف مواقعها، وخطوط الصراع فيها.

فليس العهد العلوي نصاً ادبياً جانحاً في الخيال، أو

(١) أعيان الشيعة ١/ ٥٤٤.

(٢) تنظر: الذريعة: ٤/ ١٤٤.

نظريات مثالية مجردة لا تمت الى الواقع بصلة، انما هو منهج وتعاليم، وقواعد واسس واقعية جسدها امير المؤمنين عليه السلام في تجربته السياسية والادارية المعقدة في ادارة الدولة، وقيادة المجتمع المدني في القرن الأول للهجرة من تاريخ الاسلام.

وتلك التجربة العلوية الرائدة جاءت على خلفية تصاعد موجة الانحرافات والاستئثار بالسلطة، وشيوع مظاهر الفساد الاداري والمالي والاخلاقي، من قبل الولاة والحكام الذين استغلوا ضعف الخليفة الثالث عثمان بن عفان، فعاثوا الفساد في الامصار والاقاليم الاسلامية التي حكموها.

مما ادى الى حدوث الفتن وممارسة الظلم، وانتهاك حرمات الدين والانسان، وسلب حقوقه وحريته وكرامته، الامر الذي انتهى الى مقتل الخليفة من قبل الثوار في مشهد مأساوي مروع، وحدوث الفتنة والفوضى العامة والفراغ السياسي والاداري في البلاد.

ولولا وجود الامام علي عليه السلام وشخصيته القوية المؤثرة، التي استطاعت ان تحتوي الازمة، وتعيد الامور الى مسارها الصحيح في ظل بيعة عامة لم يشهد نظيرها خليفة قبله ولا بعده، حيث تصدى أمير المؤمنين عليه السلام لتنقية الاجواء

الصاخبة، وتحمل اعباء المسؤولية الكبيرة لحماية العقيدة من التصدع، وحفظ هوية الامة وشخصيتها الرسالية التي صنعها رسول الله ﷺ عبر جهاده الطويل من اجل ان تكون خير امة أخرجت للناس.

وبما ان التاريخ كثيراً ما يعيد نفسه، فان ما يشهده العراق اليوم من تحول تاريخي كبير بعد الحقبة السوداء التي حكم فيها حزب البعث بالرعب والجريمة والفساد، تذكرنا بالفترات التاريخية المظلمة التي مرت على العراق.

ومن اجل ان لا يعود تاريخ الظلم والاستبداد، جاءت فكرة هذا الكتاب استجابة الى التحول التاريخي الحاسم في العراق والمنطقة، وحاجة المجتمع الاسلامي في ظل هذا التغيير الجديد الى برنامج عملي ومنهاج سياسي، يستضيء به العلماء وقادة الدولة، ورجال الحكم، والوزراء، والمدراء العامون، والمسؤولون المتصدون الى مؤسسات المجتمع المدني ومنظماته الثقافية والاجتماعية، والمعاهد والجامعات، ومراكز الاعلام والصحافة.

منهجنا في دراسة العهد

أما عن المنهج والاسلوب الذي اتبعناه في هذا الكتاب، فيتلخص في النقاط التالية:

أولاً: ضبط نص العهد على اختلاف نسخ نهج البلاغة وطبعاته، ومعالجة الفوارق الطفيفة التي تبدو في بعض المفردات والصياغات، وقد اعتمدنا على ثلاثة نسخ لنهج البلاغة وهي:

- النسخة الموجودة على شبكة المعلومات «انترنيت» في موقع مركز الاشعاع الاسلامي «http://www.islam4u.com» حيث اعتمدناها في الاصل وان كانت لا تخلو من بعض الاغلاط المطبعية حيث قمنا بتصحيحها وتقويمها اعتماداً على نسخ أخرى.

- النسخة التي اعتمدها الشيخ محمد عبده مع تقديمه وشرحه المختصر لنهج البلاغة الصادرة عن مؤسسة المختار -القاهرة الطبعة الأولى/ ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م. وكان فيها بعض الاغلاط

المطبعية ايضاً.

- نسخة شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد-تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. دار احياء الكتب العربية، الطبعة الاولى ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.
- نسخة مصادر نهج البلاغة واسانيده ـ للعلامة المحقق السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب - منشورات مؤسسة الاعلمي - بيروت لبنان. الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م. وكانت من اصوب النسخ وأدقها في المفردات والصياغات، ولذلك جعلناها أساساً في ضبط مفردات نص العهد الشريف.

ثانياً: مراجعة معظم الكتابات والمصادر التي تناولت شرح وتوضيح العهد الشريف من القديم والحديث، والاستفادة منها في بعض المواطن من الكتاب.

ثالثاً: الافادة في شرح النصوص من كتب التفسير والاحاديث الشريفة، وشواهد التاريخ والادب، مضافاً الى الامثلة المعاصرة، والوقائع الحديثة والقوانين المدنية والتجربة الشخصية في مجالات الثقافة والتبليغ والعمل الإسلامي، والادارة العامة لمؤسسات ديوان الوقف الشيعي في بداية تأسيسه،

ومؤسسة دار الإسلام الثقافية الخيرية، وجامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام وغير ذلك من المؤسسات في العراق وبلاد المهجر.

رابعاً: شرح وتوضيح المفردات اللغوية، والكلمات المبهمة، والصياغات الخاصة بنص العهد، معتمدين في ذلك على مصادر اللغة والادب والتاريخ.

خامساً: وضع مقدمة تعريفية وافية عن قيمة نهج البلاغة في التراث الاسلامي، وعن سند العهد الشريف، مع ترجمة للشخصيات القيادية التي تعاقبت على حكم مصر، واستعراض المبادىء والمرتكزات الاساسية التي تشكل الرؤية الواضحة لاقامة الدولة والحكومة الاسلامية، مع بيان خطة ومنهج عملنا في هذا الكتاب.

سادساً: كان الاسلوب الذي اتبعناه في الشرح والتوضيح، والتحليل لنصوص العهد يتسم بالمنهجية والحداثة واللغة السلسة، واستخدام المفردات والمصطلحات العلمية، والسياسية، والاقتصادية، المتداولة في الفكر والثقافة المعاصرة، ولهذا فلا غرابة ان يجد القارىء نمطاً كتابياً جديداً لدراسة هذا العهد

الشريف قد يكون لم يألفه في الشروح والدراسات السابقة عليه.

سابعاً: لم تكن فكرة هذا الكتاب والاهتمام به نابعة من وحي التنظير المجرد، انما هي استجابة لحاجة اشعر بها لمعالجة ثغرات الواقع العراقي الجديد، وما يعانيه من ضعف في الادارة والتجربة، خصوصاً وانه مثقل بموروثات الحقبة البعثية السوداء المتخلفة، التي حكمت البلاد بالظلم والجور، واشاعت سياسة الجريمة والفساد في مختلف مرافق الحياة في العراق.

ثامناً: ان هذا الكتاب لم يوجه للنخبة الخاصة فحسب، ولم يختص بفئة معينة من الناس، انما هو منهاج للمجتمع بكل فئاته وشرائحه الثقافية، خصوصاً الشخصيات القيادية المتصدية، وقادة الاحزاب والحركات، ومدراء المؤسسات السياسية والثقافية، والاجتماعية والانسانية، سواء أكان على مستوى ادارة الدولة وقيادة المجتمع والشأن العام، أم على مستوى المؤسسات والجامعات والاتحادات المهنية والنقابات، والمنظمات الخاصة والمحدودة.

تاسعاً: ان هذا الكتاب في شرح العهد يشكل مادة ثقافية ومعرفية وسياسية وادارية خصبة تهم المسؤولين والمثقفين والشباب الواعين المتفتحين والدارسين في الجامعات الاكاديمية، الذين يتطلعون بوعي وارادة وايمان، الى المساهمة في بناء بلدهم وايجاد دولة القانون الآمنة المستقرة، التي ينعم فيها الجميع في ظل حكومة عادلة، يكون الناس فيها سواسية امام احكام الشرع والقانون.

المبادئ العامة لادارة الدولة وقيادة المجتمع

ان من يتفحص نصوص، ومضامين عهد الامام علي عليه السلام لمالك الاشتر، فانه يجد فيه نظاماً متكاملاً لبناء الدولة الحديثة، واسس التعامل مع المجتمع، وشروط نجاح القيادة المتصدية والمسؤولة عن ادارة الدولة، والشؤون العامة، ومؤسسات المجتمع المدني، سواء أكان على المستوى السياسي، أو الاجتماعي، أو الثقافي، أو الاقتصادي ،أو الإنساني.

ومن أبرز هذه المبادئ والمرتكزات هي:

١- إن الدولة في منظور الإمام علي عليه السلام دولة ربانية متصلة بالغيب، وليست مقطوعة عن السماء، وان الإسلام عقيدة، ومنهج حياة، ورسالة خاتمة ذات نظام متكامل، هو مصدر أساسي للتشريعات العامة وقوانين الاحوال الشخصية، وهذه الصفة الربانية لا تعني أن الدولة ثيوقراطية كهنوتية تحكم باسم الدين

بطريقة تسلطية بعيدة عن مبادئ الحق ومقاصد العدل، وحرية الاختيار، أو أنها تسوس الناس من دون قوانين وأصول وضوابط، وتعليمات، وعلى هذا الأساس يبدأ الامام علي عليه السلام عهده لمالك الاشتر.. بتقوى الله وإثار طاعته واتباع كتابه وسننه التي لا يسعد احد إلا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها وإضاعتها.

وهذه الكلمات تجمع التعبير كله لان التقوى والطاعة والكتاب والفرائض والسنن هي مفردات المنهج الرباني لرسالات السماء، وهي طريق السعادة في الدنيا والآخرة، ومن هذا المنطلق تكون الدولة في ضوء هذه المفردات والمفاهيم دولة ربانية، بمعنى أنها تقوم على أساس رعاية المصالح العامة، وحفظ الحريات، وسيادة القانون، والاهتمام بحقوق الإنسان في الحياة الفردية، والاجتماعية، والاقتصادية، والحضارية، وإن مهمة الحكومة في هذه الدولة ذات الأبعاد الربانية المتنوعة، هي حفظ النظام العام والأمن، وحماية ممتلكات الدولة وحقوق المواطنين من التعدي والتجاوزات، وتطبيق

القانون على الجميع وتوفير الحريات وصيانة كرامة الإنسان.

٢- إن الدولة الربانية دولة قانونية تقوم على مبدأ اللامركزية في المسار والمنهج، وأنها تتمتع بالمرونة في العمل والإدارة، من خلال الصلاحيات الممنوحة لها ضمن الدستور، فهي اقرب الى نظام الولايات والاقاليم في العصر الاسلامي الاول، والى النظام الفدرالي في العصر الحديث، وانها ليست دولة تقوم على اساس المركزية الصارمة، او تعتمد اسلوب الفردية والتعسف في النظام والادارة، وهي بعيدة كل البعد عن اثارة النزعات القومية والطائفية.
قال الامام عليه‌السلام:

«.. ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ: أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَ جَوْرٍ..»

وإن كلمة «وجهتك» تشير الى اللامركزية في ادارة نظام الحكم فالامام‌عليه‌السلام يمنح عامله على مصر الصلاحيات السياسية والادارية وعليه ان يحكم ويجتهد في اطار الكتاب والسنة ووفق نواميس

الحق والعدل مستفيداً من تجارب التاريخ.

وقد يتساءل البعض هل ان هناك خصوصية لمصر في هذا العهد الشريف؟ بحيث ان الامام علي عليه السلام لاحظ هذه الخصوصية، فجعل لها هذا العهد بما يحتوي عليه من نظم، وقوانين، وتعاليم، أخلاقية، وسياسية، وادارية، تنسجم مع طبيعة الشعب المصري وظروفه التاريخية، وخلفيته الثقافية والحضارية، أم كان هذا العهد يمثل النظام العام والخطوط العريضة لادارة الدولة والمجتمع في الوطن الاسلامي الكبير.

وحقيقة الامر ان من يقف ويتأمل في هذا العهد باطاره العام وتفاصيله، فانه يجد ان الامام علي عليه السلام قد ذكر فيه المبادئ العامة والقيم المشتركة التي يدعو لها العقل والشرع، والاخلاق، وتتآلف في نسيج واحد، وهذا النسيج المتآلف يمثل حاجة ثابتة، وضرورة تحتاجها الشعوب على اختلاف بلدانها، وتقاليدها، وموروثها الثقافي والحضاري.

٣- ان الدولة التي تقوم على اساس الشرع والقانون

المدني، تعتمد مبدأ فصل السلطات الثلاث، واستقلالية القضاء، وعدم التدخل في شؤونه من قبل الحاكم، أو غيره من المسؤولين الكبار في الدولة، وان شخصية القاضي يجب ان تكون من ذوي الكفاءة، والاهلية، والخبرة، والنزاهة والاستقامة، والشجاعة، والتقوى، ليتمكن من تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس، وحسم النزاعات بين المواطنين المتخاصمين وفقاً لاحكام الشرع والقانون.

قال امير المؤمنين عليه السلام:

«.. ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ..»

لان موضوع القضاء موضوع حساس ودقيق ويحتاج الى مواصفات خاصة تؤهل القاضي لهذا الموقع المهم.

٤- إن المجتمع بكل طبقاته، وشرائحه، وأديانه، ومذاهبه في هذه الدولة المدنية سواسية أمام الشرع والقانون، وإن اموالهم، ودمائهم، وأعراضهم، حرام عليهم يجب ان تحفظ وتصان

الا بالحق، فلا تمييز ولا تفضيل بينهم، انطلاقاً من مقولة الامام علي عليه السلام العظيمة:

«..فَإِنَّهُمْ صِنفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَ إِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ..»

وهذه الكلمة الخالدة بحد ذاتها تصلح ان تكون منهاجاً ثقافياً، وسياسياً لنظام الدولة والمجتمع، وقد سبقت هذه الكلمة -بمئات السنين- الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي اقرته الامم المتحدة عام ١٩٤٨م بعد حروب عالمية مدمرة.

٥- إن من ركائز ومنطلقات الدولة الربانية ذات الاهداف الانسانية في سياستها الخارجية وعلاقاتها مع الدول الاخرى، انها دولة تنشد السلام، والأمن، والاستقرار، وتنهج اسلوب الصلح والحوار والتفاهم المشترك، وتسعى الى اشاعة ثقافة التعاون، والاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للآخرين، وليست دولة عدوانية، او توسعية تنتهج اسلوب العنف

والارهاب، واثارة الفتن الطائفية، والنزعات العنصرية.

جاء في العهد الشريف:

«.. وَ لا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ و لِلَّهِ فِيهِ رِضًا فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ وَ رَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَ أَمْناً لِبِلادِكَ..»

فيجب على الحاكم ان يبادر الى الاستجابة الى دعوات الصلح مع الخصوم لان الصلح قد يكون مفتاحاً لآفاق الحوار عبر الكلمة الهادئة القوية الواثقة التي قد تفتح ما تعجز عنه الجيوش والاساطيل.

٦- إن قيمة الحاكم ودوره ومكانته في هذه الدولة الربانية ذات القيم الانسانية، والنظام المدني لا تأتي من مجرد موقعه في السلطة، ونفوذه في المجتمع فحسب، فليست المسؤولية تشريفاً للحاكم لممارسة التعسف في الحكم، إنما هي تكليف وعبادة في الاطار السياسي والاجتماعي وهي مسؤولية ذات صلاحيات قانونية محددة بحدود ما يتحلى به من إلتزام بالمبادئ

الإسلامية، والقيم الانسانية، والتعاليم القانونية والادارية، وليس للحاكم من فضل على الاخرين الا بقدر ما يقدمه لامته من فكره، ووجوده، وعطائه، وجهده واخلاصه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك:

« وَ إِيَّاكَ وَ الْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ . . »

٧- ان علاقة الحاكم بالامة هي علاقة محبة وولاء وعمل، وتكليف وأداء مسؤوليات ثقافية، وسياسية، واجتماعية، وادارية، وليست هي علاقة تحكم، أو تعالي، أو استبداد، ولذلك فان الحاكم لا ينفصل عن الوسط الاجتماعي، بل هو جزء حيوي من حركة الدولة وتفاعل المجتمع، يعيش في قلب الامة ويستمع الى رأيها وملاحظاتها، ويقدّر حاجاتها ومطاليبها المشروعة بكل تواضع وليس الشخص المسؤول عنصراً متعالياً عليها، او ،ستهيناً بمقدراتها وكرامتها، وحقوقها، ولهذا فان نهاية الحاكم ورئيس الدولة، تبدأ عندما يتخلى عن

مسؤولياته، ويتخلف عن اداء واجباته ومهماته امام الله تعالى والمجتمع.

جاء في العهد الشريف:

«..أَنْصِفِ اللَّهَ وَ أَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَ مِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَ مَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ وَ مَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ..».

٨- ان من اسس ومرتكزات وقواعد الدولة الحضارية المتطورة في القانون والادارة، أنها تهتم بالاعمار، والتنمية، والبناء والخدمات الاجتماعية، قبل اهتمامها بجباية الضرائب وتخزين الموارد المالية، والاهتمام برفع مستوى احتياطي الدولة، لان الاعمار والتطوير والتنمية البشرية، هي السبب الطبيعي في توليد الثمار، وجمع الضرائب، وتحسين الحياة المعيشية للمواطنين وليس العكس.

قال علي عليه السلام في عهده لمالك:

«وَ لْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ

فِي اسْتِجْلابِ الْخَرَاجِ لأَنَّ ذَلِكَ لا يُدْرَكُ إِلا بالْعِمَارَةِ وَ مَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلادَ وَ أَهْلَكَ الْعِبَادَ وَ لَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلا قَلِيلاً. . .».

٩- ان طبقة الفقراء والمساكين، وكبار السن، والايتام، وذوي العوق الشديد، وجميع الضعفاء والعجزة، لهم مكانة خاصة في مؤسسات الدولة المدنية ذات النزعة الانسانية، ولهم حقوق ثابتة وضمان اجتماعي من شأنه ان يكفل حياتهم، ويحفظ كرامتهم، ويغطي حاجاتهم المعاشية والاجتماعية، وان سعادة هذه الطبقة الفقيرة علامة من علامات التنمية الثقافية، والاقتصادية، والسياسية.

جاء في العهد الشريف:

« ثُمَّ اللَّهَ اللَّهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَ الْمُحْتَاجِينَ وَ أَهْلِ الْبُؤْسَى وَ الزَّمْنَى . . »

وجاء أيضاً:

«وَ تَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَ ذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ

لا حِيلَةَ لَهُ وَ لا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ . .»

١٠- ان الامة بجماهيرها الواسعة لا تعيش على هامش الدولة الاسلامية، انما تتحرك في صميمها، وان ارادتها القوية هي التي ترسم ملامح مسيرتها وتحدد مصيرها في التاريخ، وعلى هذا فان دور الجماهير في هذه الدولة المستقرة دور أساس، باعتبار انها ليست دولة نخبوية تهتم بشؤون الطبقات الخاصة فحسب على حساب العامة من الناس، بل هي دولة الامة بجميع فئاتها وشرائحها الاجتماعية المختلفة.

وعلى هذا جاء في العهد الشريف قوله عليه السلام:

«وَ لْيَكُنْ أَحَبَّ الأمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَ أَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَ أَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَ إِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ . .»

١١- على الحاكم والمسؤول المتصدي للشأن العام أن يتمتع بالثقافة الادارية الواسعة التي تعينه على إنجاز مشاريعه، وتحقق اهداف مؤسساته بصورة

محكمة ومتوازنة، ونعني بالثقافة الادارية حسن التنظيم والتخطيط والقدرة على صناعة القرار ومتابعة سير الاعمال والمهام وعدم الاسترخاء وتسييب الامور التي تؤدي الى اضاعة الفرص وفشل المشاريع.

كما ينبغي على الحاكم ان يتمتع بالحيوية والنشاط والثبات على الموقف وعدم الاستسلام والتراجع امام التحديات والازمات التي تفرزها طبيعة المسؤولية والتصدي لادارة الشؤون العامة، اضف الى ذلك ان يتحلى هذا الحاكم المسؤول ببشاشة الوجه وابتسامة الشفاه التي تعكس روح الأمل والتفاؤل وسعة الصدر والرحمة واللين وعدم الفضاضة والخشونة في التعامل مع الاخرين.

١٢- إن الكفاءة، والنزاهة، والصدق، والمروءة، والسابقة الحسنة، هي المبادىء والأسس التي يقوم عليها جهاز الحاكم الخاص في الدولة القانونية، فيجب على الحاكم ان يعتمد على العناصر الكفوءة من ذوي الشرف والسابقة الحسنة، ومن أهل المروءة والنزاهة، فلا يرتكب

الخطأ أوالخطيئة في ادارة بلاده, وتشكيل مؤسساته، معتمداً على العناصر المتخلفة، اوالنفعية، اوالمستغلة، او من ذوي السمعة السيئة والتاريخ المشبوه.

من هنا جاء في عهده عليه السلام:

« ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَ الأَحْسَابِ وَ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَ السَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَ الشَّجَاعَةِ وَ السَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وَ شُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ».

١٣- ان الدولة في منظور الامام علي عليه السلام وفي فلسفة عهده لمالك الاشتر، دولة تحترم شخصية الأمة، وتسمح لها بمراقبة بمرامجها ومشاريعها الثقافية، والسياسية، والاجتماعية، ولها الحق في التعبير عن قضاياها ومشاكلها عبر وسائل الاحتجاج المشروعة، والتظاهر السلمي، والنقد البناء في وسائل الاعلام والصحافة، ضمن حدود الشرع والقانون، وحفظ الأمن والنظام العام، ومراعاة المصلحة العليا للبلاد.

وعلى الحاكم ان ينفتح على الامة بالاستماع

الى مطالبها وشكاواها قال الامام علي عليه السلام :

«وَ إِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ وَ اعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ وَ رِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ وَ إِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ. . » .

١٤- تتميز الدولة النموذجية في رؤية الامام علي عليه السلام وعهده لمالك الاشتر انها تهتم بالعلماء، وذوي الاختصاصات العلمية المتنوعة، واصحاب المواهب والابداع، فعلى الحاكم المسؤول ان يكثر من اللقاء بهم، والافادة من افكارهم وتجاربهم باعتبارهم الرّواد واصحاب الرأي والنظر في فهم الامور، ومعالجة المشكلات التي تعترض مسيرة الحكومة، وبناء الدولة، وعليه ان يحترم وجودهم وان يتكفل لهم بما يحتاجون من وسائل العيش والحياة الكريمة.

جاء في عهده عليه السلام :

« وَ أَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَ مُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ فِي

تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلادِكَ وَ إِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ»

١٥- ان التشريعات الجنائية ونظام العقوبات في هذه الدولة الدستورية، يتسم بالصرامة والحسم وعدم التساهل مع مظاهر الجريمة، والفساد الاداري والمالي، وينطلق هذا التشريع من فلسفة الردع لتحقيق العدالة والمساواة بين المواطنين، وعدم التجاوز على الحقوق العامة والخاصة من خلال اشاعة ثقافة احترام القانون، ومراعاة حقوق الانسان.

كما في قوله عليه السلام:

« وَ مَهمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ»

وقوله أيضاً في تأديب المحتكرين وعقوبتهم:

« فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ وَ عَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ . . »

هذه هي أهم المبادىء والاصول والمرتكزات الفكرية والسياسية والقانونية والادارية للدولة في فلسفة الامام علي عليه السلام، وتجربته السياسية

والاجتماعية، كما تضمنها عهده الى مالك الاشتر حين ولاه مصر، باعتباره بلداً اسلامياً كبيراً، ويمتلك خلفية تاريخية شائكة ومعقدة.

ويمكن للباحث البصير ان يستنبط مبادىء ومرتكزات اخرى من وحي هذا العهد الشريف، وذلك لان نصوصه ودلالاته تزخر بالقيم والمبادىء والقوانين وتشع بالتعاليم الاخلاقية والانسانية، وهي بطبيعتها لا تختص بالماضي، أو تقف عند زمن الامام علي عليه السلام انما تجري في الحاضر والمستقبل، وان المجتمعات البشرية احوج ما تكون اليها، خصوصا في هذا الزمن الذي يشهد صراعاً حضارياً في الفكر والارادة والهوية، كما يشهد هيمنة الغرب، ونظام العولمة، وظلم وتعسف الحكومات المستبدة.

شخصيات تعاقبت على ولاية مصر في خلافة الامام علي عليه السلام

لقد تعاقبت شخصيات عدة على ولاية مصر في عهد الامام علي عليه السلام وهم:

قيس بن سعد بن عبادة

اسمه وكنيته ولقبه:

هو قيس بن سعد بن عبادة بن دُليم بن حارثة، الملقب بالخزرجي الانصاري، والمكنى بأبي الفضل، وقيل؛ ابو عبد الله، وأبو عبد الملك وابو القاسم، وأُمهُ فكيهة بنت عبيد بن دُليم بن حارثة وهي أبنة عم أبيه.

هيئته وصفاته:

كان قيس بن عبادة رجلاً ضخماً، حسن المنظر، قوياً طويلاً، وكان اذا ركب الحمار خطت رجلاه الارض.

أقوال العلماء فيه:

عدّهُ علماء الرجال والتراجم من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله

وأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والامام الحسن عليه السلام وهو من الثقات العدول، ومن أهل الضبط والثبت في الحديث[١].

ولم يطعن عليه احد، وكان من فضلاء الصحابة، وحامل راية الانصار مع رسول الله صلى الله عليه وآله في حروبه ومعاركه.

وقد جاء في «أسد الغابة»: ان قيس بن سعد بن عبادة كان من ذوي الرأي الصائب والمكيدة في الحرب مع النجدة والشجاعة وكان شريف قومه غير مدافع، ومن بيت سيادتهم[٢].

جوده وكرمه:

واما عن جوده وكرمه، فقد اشتهرت عنها كثير من الاخبار والحكايات، حتى أَصبحت من المسلمات المعروفة في سيرة وشخصية هذا الرجل العظيم، وكان لشدة جوده وكرمه حكي عنه انه كان يستدين ويطعم الناس، ومن الطريف انه ذكر في التاريخ ان ابا بكر وعمر كانا معه في سرية واحدة، وكان قيس يستدين ويطعم الناس فقال أبو بكر وعمر:

(١) عبد الله المامقاني في تنقيح المقال ص ٣٢ حرف القاف.

(٢) أسد الغابة: ج٤ ص٤٢٥.

«ان تركنا هذا الفتى أهلك مال أبيه، فمشيا في الناس، فلما سمع سعد -والد قيس- قام خلف النبي فقال: من يُعذرني من ابن ابي قحافة، وابن الخطاب يُبخّلان عليَّ ابني»[١].

وجاء في «الاصابة» عن موسى بن أبي عيسى: ان رجلاً استقرض من قيس بن سعد ثلاثين الفاً فلما ردها عليه أبى أن يقبلها» [٢].

وفي كتاب مكارم الاخلاق للطبراني ذكر من طريق عروة بن الزبير، ان قيساً كان يدعو ويقول:

«اللهم ارزقني مالاً، فانه لا يصلح الفعال الا بالمال».

والمقصود بالفعال في قوله «رضوان الله عليه» هي الاعمال الحسنة والصفات الحميدة ومنها: الكرم، والسخاء، والجود، والنجدة.

ونقل من تاريخ صحيح البخاري ان النبيﷺ قال: «الجود من شيمة أهل ذلك البيت» ويعني بيت قيس بن سعد بن عبادة الانصاري.

---

(١) أسد الغابة: ٤/ ٤٢٥.

(٢) الاصابة في تمييز الصحابة: ٥/ ٣٦٠.

ومن أطرف ما قيل في كرمه وسخاءه أن أمرأة عربية وقفت على قيس بن سعد بن عبادة فقالت له: أشكو إليك قلة الجرذان في بيتي. فقال: ما أحسن هذه الكناية، أملأوا لها بيتها لحماً وخبزاً وسمنا[١].

ذكائه ودهائه:

ذكر الواقدي انه كان سخياً، كريماً داهية، وفي بعض كتب الرجال والتاريخ أن دهاة العرب خمسة هم: معاوية بن ابي سفيان، وعمرو بن العاص، وقيس بن سعد، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن بديل بن ورقاء.

فكان قيس وابن بديل مع علي أمير المؤمنين عليه السلام وكان المغيرة معتزلاً في الطائف، وكان عمرو بن العاص مع معاوية.

ومن ذكاء قيس ودهاءه انه قال: «لولا الاسلام لمكرتُ مكراً لا تطيقه العرب»[٢].

وفي رواية ان قيساً قال يوماً:

---

(١) طرائق الحكم ونوادر الآثار ـ السيد محمد الحيدري: ٢/ ٣١٢.

(٢) الاصابة ٥/ ٣٦١.

«لولا اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: المكر والخديعة في النار، لكنت من أمكر هذه الامة»[١].

ويدل هذا القول من قيس بن سعد على تحليه بالورع والتقوى، والالتزام بالمبادىء، والقيم الاخلاقية، بعيداً عن المصالح والمنافع الذاتية، ويذكرنا قوله هذا بقول أمير المؤمنين عليه السلام حينما كان يقول:

«والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر، ولولا خوف الغدر والفجور لكنت من أدهى الناس»[٢].

روايته للحديث:

وكان قيس بن سعد قد روى عن النبي ﷺ العديد من الاحاديث والاخبار، ففي مسند احمد والترمذي، عن سيمون بن ابي شبيب عن قيس بن سعد قال: ان اباه دفعه الى النبي ﷺ يخدمه وقد خدمه عشراً من السنين.

ويذكر قيس ان النبي ﷺ قد مرَّ عليه وهو في الصلاة فضربه برجله -للتنبيه- وقال له ﷺ: ألا أدلك على باب من أبواب الجنة فقال: بلى فقال النبي ﷺ قول:

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٤/٤٢٦.

(٢) نهج البلاغة.

«لا حول ولا قوة الا بالله»[١].

وفي رجال ابن داود انه قال: **ان قيس بن سعد بن عبادة من جملة العشرة الذين نصروا رسول الله ﷺ**[٢].

جهاده ومواقفه:

ذكر المؤرخون ان قيس بن سعد، هو ممن لم يبايع ابا بكر، وكان من جملة المحتجين على اجتماع السقيفة ونتائجها، وقد تجلى احتجاجه في مواطن عديدة من حياته، كان ابرزها ماحكاه الديلمي في كتابه الارشاد في خبر خالد بن الوليد لما طوقه أمير المؤمنين عليه السلام «بقطب رحى».

وكان قيس بن سعد بن عبادة من ابرز القادة الذين شاركوا جيش المسلمين في فتح مصر أيام الخليفة عمر بن الخطاب واختط له فيها داراً للسكن والاقامة.

وحين بويع للامام علي عليه السلام بالخلافة عام ٣٥هـ ولاّه على مصر لقوة شخصيته، ومعرفته باحوال هذا البلد وقدراته على ادارة شؤونه واموره بعد ان عزل عنها عبد الله بن ابي سرح، وهو المعروف بالنفاق والاستبداد وسوء التعامل مع

(١) مسند احمد والترمذي٣: / ٤٢٢.

(٢) تنقيح المقال للمامقاني: ٤١/١٠.

الرعية، والذي شكاه الناس لعثمان مراراً، الا انه لم يعزله، ولم يتخذ أي إجراء ضده.

ولائه لامير المؤمنين عليه السلام:

ذكر ابن ابي الحديد المعتزلي في ترجمته لقيس بن سعد في شرح النهج:

«ان قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي كان من كبار شيعة علي، والمتحققين لمحبته وولائه»

وقد شهد قيس مع علي أَمير المؤمنين مشاهده وحروبه كلها وهو القائل يوم صفين:

هذا اللواء الذي كنا نحفُّ به
مع النبي وجبريلٌ لنا مَددُ

ما ضرَّ من كانت الانصار عيبته
أن لا يكون له من غيرهم أحدُ

قومٌ اذا حاربوا طالت أكفُهُمُ
بالمشرّفيةِ حتى يُفتحَ البلدُ

وأمّا عن دوره وموقفه من العابثين، والمفسدين، والمعارضين، لحكومة علي أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كان قيس بن سعد صاحب رأي صائب، ومواقف قوية مشهود لها

في التصدي لهم، ولم تأخذه فيهم لومة لائم كما هو ديدنهُ وسلوكه.

ولايته على مصر

روى أبو مخنف عن محمد بن يوسف بن ثابت قال:

«لما قتل عثمان وولي علي بن ابي طالب الامر ، دعا قيس بن سعد الانصاري، فقال له: سر إلى مصر فقد وليتكها، وأخرج الى رحلك واجمع اليه ثقاتك، ومن احببت ان يصحبك حتى تأتيها، ومعك جند، فان ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك. فإذا انت قدمتها ان شاء الله فأحسن الى المحسن واشتد على المريب وأرفق بالعامة والخاصة، فان الرفق يمَنٌ.

فقال له قيس بن سعد: رحمك الله يا أمير المؤمنين، فقد فهمت ما قلت أما قولك أخرج اليها بجند، فوالله لئن لم ادخلها الا بجند آتيها من المدينة، لا أدخلها أبداً فانا ادع ذلك الجند لك، فان انت احتجت إليهم كانوا منك قريباً، وان اردت ان تبعثهم الى وجه من وجوهك، كانوا عدة لك، وانا أصير إليها بنفسي، وأهل بيتي.

وأما ما أوصيتني من الرفق والاحسان، فان الله عزَّ وجل هو المستعان على ذلك.

فخرج قيس بن سعد في سبعة نفر من اصحابه حتى دخل مصر، فصعد المنبر، فجلس عليه وأمر بكتاب معه من أمير المؤمنين، فقرئ على أهل مصر:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين

سلام عليكم. فإني أحمد اليكم الله الذي لا إله الا هو. أما بعد:

فان الله عز وجل، بحسن صنعه وتقديره وتدبيره، اختار الإسلام ديناً لنفسه، وملائكته ورسله،وبعث به الرسولﷺ الى عباده وخص به من انتخب من خلقه، فكان مما أكرم الله عز وجل به هذه الامة، وخصهم به من الفضيلة ان بعث اليهم محمداًﷺ فعلّمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة، لكيما يهتدوا، وجمعهم لكيما لا يتفرّقوا، وزكاها لكيما يتطهروا ورفهم، لكيما لا يجوروا، فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله عز وجل، صلوات الله عليه ورحمته وبركاته.

ثم ان المسلمين استخلفوا به أميرين صالحين، عملا بالكتاب والسنة، واحسنا السيرة ولم يعدوا السنة، ثم توفّاهم الله عز وجل رضي الله عنهما. ثمّ ولي بعدهما وآلٍ، فأحدث

أحداثاً، فوجدت الأمة عليه مقالاً، فقالوا، ثم نقموا عليه، فعيروا.

ثم جاؤوني فبايعوني، فأستهدي الله عزّ وجل بالهدى، وأستعينه على التقوى.

الا وان لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسولهﷺ والقيام عليكم بحقه، والتنفيذ لسنته، والنصح لكم بالغيب، والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وقد بعثت اليكم قيس بن سعد بن عبادة أميرا، فوازروه وكاتفوه، وأعينوه على الحق، وقد أمرته بالاحسان الى محسنكم، والشدة على مريبكم، والرفق بعوامّكم وخواصّكم، وهو ممن أرضى هديه، وأرجو صلاحه ونصيحته.

أسأل الله عز وجل لنا ولكم عملاً زاكياً وثواباً جزيلاً ورحمة واسعة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»

وكتب عبيد بن ابي رافع في صفر سنة ٣٦هـ[١].

---

(١) كتاب الجمل وصفين والنهروان ألابي مخنف لوط بن يحيى الازدي الكوفي أجمع وتحقيق حسن حميد السنيد/ ٢٢٧.

ثم ان قيس بن سعد قام خطيباً، فحمد الله واثنا عليه وصلى على محمدﷺ وقال:

«الحمد لله الذي جاء بالحق وأمات الباطل، وكبت الظالمين.

أيها الناس، إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبيناﷺ فقوموا أيها الناس، فبايعوا على كتاب الله عز وجل وسنة رسولهﷺ فان نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم».

فقام الناس فبايعوا. واستقامت له مصر وبعث عليها عماله.

الا ان قرية منها يقال لها: خربتا فيها اناس قد اعظموا قتل عثمان بن عفان وبها رجل من كنانة، ثم من بني مدلج، يقال له يزيد بن الحارث، من بني الحارث بن مدلج، فبعث هؤلاء الى قيس بن سعد، إنا لا نقاتلك فابعث عمّالك، فالارض أرضك، ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر الى ما يصير أمر الناس.

ووثب مسلمة بن مخلد الانصاري، ثم من ساعده، من رهط قيس بن سعد، فنعى عثمان بن عفان، ودعا الى الطلب بدمه فارسل اليه قيس بن سعد:

ويحك عليّ تثب، فوالله ما احب ان لي ملك الشام، الى مصر وإني قتلتك!

فبعث اليه مسلمة: اني كافٌ عنك ما دمت انت والي مصر.

وكان قيس بن سعد له حزم ورأي، فبعث الى الذين بخربتا:

إني لا أكرهكم على البيعة، وأنا أدعكم وأكف عنكم.

فهادنهم وهادن مسلمة بن مخلد، وجبى الخراج ليس احد من الناس ينازعه[1].

إدراكه لمخططات معاوية:

كان قيس يشكل عقدة مستعصية لدى معاوية، ولطالما كان يحاول عابثاً ترغيبه، أوتقريبه وتحييده للخلاص من جرأته وصلابة مواقفه، ولما لم يفلح معاوية في كسبه أو تحييده، فقد عمد الى تقديم المغريات المالية اليه، والتلويح له بالمناصب الدنيوية، حتى انه قدم له صكاً مفتوحاً بغية إغراءه واسقاطه، غير ان قيساً لم يسقط في شراكه، ولم

---

(١) نفس المصدر.

يخدع بكيده ومكره.

فقد ذكر الطبري ان معاوية كتب لقيس كتاباً جاء فيه:

«... فأن استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل، تابعنا على أمرنا لك سلطان العراقين إذا ظهرت ما بقيت، ولمن أحببت، ومن أهل بيتك سلطان الحجاز مادام لي سلطان، وسلني غير هذا مما تحب، فإنك لا تسألني شيئاً إلا وأوتيته، وأكتب اليّ فيما كتبتُ به إليك والسلام»[(١)].

وظلّ معاوية يسعى بكل الطرق لتحييد، أو كسب قيس بن سعد، ولم ييأس من ذلك، ففي حياة الامام الحسن عليه السلام أرسل معاوية الى قيس بن سعد يذكّره الله ويقول: على طاعة من تقاتل، وقد بايعني الذي اعطيته طاعتك، فأبى قيس أن يلين له، حتى ارسل اليه معاوية بسجل قد ختم عليه في اسفله فقال: أكتب في هذا السجل ما شئت فهو لك، لكن قيس رفض ذلك وخيّب آمال معاوية[(٢)].

وأكثر من ذلك فقد استخدم معاوية اسلوب التشويه

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري: ج ٣-٤ ص ٥٨٥.

(٢) نفس المصدر ج ٥-٦ ص ٨٤.

والتزوير لتحقيق غايته في كسب قيس والتأثير عليه، فقد عمد الى تشويه شخصيته وافتعال الاكاذيب عليه.

ولما لم يفلح معاوية في التأثير على قيس عبر اساليب الترغيب، فقد عمد الى اسلوب آخر الا وهو اسلوب الكذب والتزوير والاعلام المزيف.

ولما أيس معاوية من قيس ان يتابعه على أمره شقّ عليه ذلك لما يعرف من حزمه وبأسه، فأظهر للناس قيلة «مقالة»:

«إن قيس بن سعد قد تابعكم فأدعوا الله له، وقرأ عليهم كتابه، الذي لان له فيه وقاربه».

قال هشام عن ابي مخنف:

واختلق معاوية كتاباً من قيس بن سعد فقرأه على أهل الشام:

بسم الله الرحمن الرحيم الى الامير معاوية بن ابي سفيان من قيس بن سعد... سلام عليك... فاني لما نظرت أنه لا يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرماً، براً، تقياً، فنستغفر الله عزّ وجل لذنوبنا، ونسأله العصمة لديننا، وإني قد ألقيت اليكم بالسلم، وأني أجبتك الى قتال قتلة عثمان ﷺ إمام الهدى المظلوم ... الخ.

فشاع في أهل الشام ان قيس بن سعد قد بايع معاوية حتى ان معاوية، كان يحدث رجالاً من ذوي الراي من قريش يقول:

«ما أبتدعتُ مكايدة قط كانت أعجب عندي من مكايدةٍ كدتُّ بها قيساً من قبل علي، وهو بالعراق حيث امتنع مني قيس» [1].

وهذه شهادة لقيس بن سعد من معاوية، وهو خصمه الفكري والسياسي، على انه رجل المبدأ الحق والموقف الصلب الذي لا يتنازل عن قضيته ولا يتراجع عن خطه وعقيدته.

ولكثرة الاشاعات والاقاويل التي كان يبثها عيون معاوية على قيس في مصر، وانعكاس ذلك على الواقع السياسي والاجتماعي، والأمني في مصر، فقد وصل صداها الى اجواء الكوفة، والشخصيات القيادية المحيطة بالامام علي عليه السلام والذين هم بدورهم اقترحوا على الامام علي عليه السلام واكدوا عليه باستبداله، وتغييره بشخصية أخرى حسماً للاشاعات، وقطعاً للظنون والشكوك، التي تحركت في

(١) ينظر: تاريخ الطبري ج ٣-٤ ص ٥٨٦-٥٨٧.

الواقع الاسلامي السياسي، فاتخذ الامام علي عليه السلام قراراً بعزله وتنحيته عن ولاية مصر، ليس من منطلق الاستجابة للشكوك والاشاعات، ولا زهداً في شخصية قيس وكفاءته، انما كان لابعاده عن أجواء الفتن والصراعات، وضمه الى رجاله المقربين منه، وقد يكون ذلك لمصلحة يراها الامام عليه السلام في تلك الفترة الحساسة من تاريخه السياسي، ولم نعرف عن تفاصيلها الشي الكثير.

وظل قيس بن سعد رمزاً من رموز الولاء لأهل البيت عليهم السلام وركناً من اركان مدرستهم الفذة في مواجهة التحديات الصعبة، بل اصبح ملازماً لمحنة الامام الحسن عليه السلام وقائداً لجيشه ضد معاوية، خصوصاً بعد خيانة قائد الجيش عبيد الله بن عباس، الذي سقط امام الاغراء الاموي وعبر الى جهة خصمه معاوية، يُلاحقه الخزي والعار مدى الزمن، فيما ظل قيس ثابتاً في ولائه ونصرته لعلي وأهل بيته عليهم السلام.

طريقته في ادارة الحكم في مصر

بعد هذا التجوال السريع لابرز المحطات من حياة وسيرة قيس بن سعد بن عبادة الانصاري، نقف ملياً عند طريقته واسلوبه في ادارة شؤون الحكم لولاية مصر ضمن اجواء القلق

السياسي والفتنة التي شهدها هذا البلد الاسلامي الكبير، يمكن استنتاج ذلك من خلال هذه المحطات في حياته ﷺ الحافلة بالحركة والتجربة المثيرة وعبرة النقاط التالية:

أولاً: ان شخصية قيس بن سعد تتمتع بمؤهلات وخصائص مميزة مكنته في الدخول في معتركات سياسية وعسكرية كبيرة ومعقدة في تاريخ المسلمين، فقد التمع فيها دوره وبرزت فيها شجاعته النادرة وصدقه في المواقف العظيمة، مما أكسبه ثقة أمير المؤمنين عليه السلام واحترام وتقدير التاريخ وكبار الشخصيات المتقدمة من صحابة رسول الله.

كما حملته تلك المواقف غيض وحقد أعدائه وكراهيتهم لشخصيته، فاصبح هدفاً لمخططاتهم الخبيثة ومؤامراتهم الدنيئة.

ثانياً: إن ولاية مصر وما يكتنفهامن تعقيدات سياسية وادارية وما تشهده من قلق امني بحكم خليطها الاجتماعي غير المتجانس آنذاك، وانعكاس احداث فتنة مقتل عثمان على أوضاعها الاجتماعية والنفسية، بالاضافة الى طمع بني أمية وطموح عمرو بن العاص للسيطرة على

هذا الاقليم الاسلامي الغني، بحكم ما يتملك من موقع جغرافي وثروات اقتصادية كبيرة وطاقات بشرية.

ان كل هذه الظروف جعلت مصر بحاجة الى شخصية قيادية تمتاز بأفق رحب ووعي متميز وقدرات ادارية، وشجاعة عسكرية وسياسية، وكانت هذه المميزات والصفات قد تجمعت في شخصية قيس بن سعد الذي اختاره أمير المؤمنين عليه السلام لادارة الحكم في مصر.

ثالثاً: كانت طريقة قيس بن سعد في حكم وادارة ولاية مصر تتسم بالحكمة والوعي واستيعاب تداعيات الفتنة التي افرزتها حادثة مقتل الخليفة عثمان، وهي فتنة أثارها بنو أمية ليس في مصر فحسب، إنما ألقت بظلالها على العديد من ولايات العالم الإسلامي آنذاك، فكانت سياسة قيس اطفاء الفتنة وابعاد دعاتها عن دائرة التأثير في اوساط المجتمع ومواجهة رجال وعيون معاوية الذين يسعون الى احداث البلبلة والارباك داخل مصر وغيرها من البلدان.

والذي يظهر من خلال روايات التاريخ ان

مصر في عهد حكم قيس بن سعد بن عبادة لم تشهد أزمة اقتصادية أو مشكلات اجتماعية حادة، بقدر ما كانت تعيشه من صراعات سياسية، وأطماع شرهة للأستحواذ على مقدراتها وثرواتها الكبيرة، سعياً للهيمنة والنفوذ السياسي عليها.

ولهذا كانت طريقة قيس بن سعد وسياسته مواجهة ذلك التخطيط الاموي وافشاله، والعمل على تهدئة الأمور من خلال كسب التجمعات المحايدة واستيعاب العناصر الجاهلة والمغرر بها في تلك الاجواء المضطربة، إلا أن هذه السياسة في الاحتواء والاستيعاب كانت فرصة لاشاعة الاكاذيب والتزوير حوله، مما كلفه ان يفقد موقعه ويغادر مصر مع الصبر والجلد والحزن والألم.

رابعاً: يؤكد التاريخ ان الشخصيات المبدئية ذات الصدق والشجاعة والاخلاص لا تسلم من التهم ولا تنجو من الاشاعات الكاذبة، بل تكون دائماً هدفاً سهلاً لطعنات اهل الجهل والحقد والحسد، ولا شك ان قيس بن سعد

بن عبادة من أولئك القادة المبدئيين الذين تحملوا معاناة المسؤولية وحقد الاعداء وجور الزمان، ولكن صبره وحلمه وحنكته جعلته أكثر قوة وتماسكاً أمام الهزات والطعنات.

فقد غادر مصر بعد عزله عنها ملتزماً بأوامر امامه وقائده علي عليه السلام ولم يظهر عليه الضعف والانكسار، وقد ذكره الامام علي عليه السلام في أكثر من موقف مشيداً بقوة شخصيته واخلاصه وحسن ادارته ومنها قوله عليه السلام حين اضطرب أمر مصر على محمد بن ابي بكر:

«ليس لها الا صاحبنا الذي عزلناه أو مالك الأشتر»

ويعني بهذا الصاحب قيس بن سعد.

تاريخ وفاته:

قضى قيس بن سعد بن عبادة آخر أيامه في المدينة المنورة مع الحسن والحسين«عليهما السلام» الى أن وافاه الاجل فيها عام٥٩هـ وقيل عام٦٠هـ، فرحم الله قيس بن سعد الانصاري، يوم ولد ويوم جاهد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والامام الحسن عليه السلام ويوم يبعث حياً، ورحمة الله وبركاته.

محمد بن أبي بكر

اسمه وكنيته:

هو محمد بن عبد الله بن عثمان ،المكنى بأبي القاسم، وقيل بأبي عبد الرحمن.

وأمه: أسماء بنت عميس الخثعمية، ولد في حجة الوداع في ٢٥ ذي القعدة للسنة العاشرة للهجرة النبوية الشريفة، بذي الحليفة، وقيل ولدته أسماء في البيداء في الطريق الى مكة.

قال اصحاب التاريخ والسير، خرجت أسماء حاجة، فوضعت محمد في الطريق، فاستفتى ابو بكر رسول الله ﷺ في شانها، فامرها رسول الله ﷺ بالاغتسال والتهليل، أي بعقد نية الاحرام والتلبية بالحج، وان لا تطوف بالبيت حتى تطهر.

وكانت أسماء بنت عميس في اول امرها زوجة لجعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه والذي هاجرت معه الهجرة الأولى الى الحبشة، فولدت له هناك ولده عبدالله، وعون، ثم هاجرت

معه مرة اخرى الى المدينة المنورة وبعد شهادة جعفر في معركة مؤتة، تزوجها ابو بكر، فولدت منه ولده محمداً، وبعد بلوغه من العمر ثلاث سنين توفي أبو بكر، تزوجها أمير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب عليه السلام فولدت له يحيى، وعلى هذا فقد نشأ محمد ابن أبي بكر مع اولاده الحسن والحسين عليهما السلام، وتربى في حجر الامام ورعايته، حيث رضع الولاء والتشيع منذ الصبا، فلم يكن يعرف له اباً غير علي عليه السلام حتى قال فيه الامام عليه السلام:

«محمد أبني من صلبِ أبي بكر».

ولما قلده الامام عليه السلام محمداً ولاية مصر، قال كلمة بحق محمد: «لقد كان اليَّ حبيبا، وكان لي ربيبا»(١).

شهد محمد بن أبي بكرمع أمير المؤمنين عليه السلام حروبه ومعاركه في الجمل، وصفين، والنهروان، ثم ولاّه ولاية مصر بعد عزل قيس بن سعد بن عبادة، فقتل بها عام ٣٨هـ وعمره ثمان وعشرون سنة وهو أخ لعبد الله بن جعفر من أمه أسماء.

ويعدُّ محمد بن ابي بكر من نسّاك قريش، حيث كان

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٦/ ٥٤.

شاباً مفعماً بالايمان، ومتفتحاً بالذكاء والوعي، ومعروفاً بالاخلاص، والشجاعة، والاقدام، وكيف لا يكون كذلك وهو ربيب أمير المؤمنين عليه السلام الذي ما عرفت الجزيرة اشجع، وأنبل منه.

فقد ذكره الشيخ المفيد بقوله:

«هو من أصفياء الامام علي عليه السلام ومن السابقين المقربين اليه، ومن الحواريين»[(١)]

أما الشيخ الطوسي فقد ذكره في رجاله بقوله:

«ان محمد بن أبي بكر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن اصحاب أمير المؤمنين، وهو ثقة، جليل القدر، عظيم المنزلة»[(٢)]

كما أدرجه العلامة الحلي في القسم الاول من كتابه «الخلاصة» وهو القسم الخاص بالرجال الثقاة والممدوحين.

ولايته على مصر وشهادته

بعد اضطراب الامور وتصاعد اجواء الفتنة وتفاقم

---

(١) رجال الطوسي: حرف «الميم».

(٢) نفس المصدر.

المشكلات السياسية في مصر وعزل قيس بن سعد منها، جعل الامام علي عليه السلام بدله محمد بن ابي بكر ليتسلم ادارة هذا الاقليم الكبير ويتولى حمايته من اطماع الامويين وطموحات عمرو بن العاص.

بيد ان تسارع الاحداث واضطراب اوضاع الناس حال دون سيطرة القائد الشاب محمد بن ابي بكر على أوضاع مصر، ومن دون شك ان أي قائد أو مسؤول عام لكي يتمكن من السيطرة والنجاح في ادارة القضايا والشؤون الكبيرة لا بدَّ له من اجواء ملائمة وظروف مساعدة اضافة الى فترة زمنية من الاستقرار وعدم الاضطراب والقلق الأمني والسياسي والاجتماعي، لكي يتسنى له استيعاب المشكلات وتفهم الاشياء كما هي في الواقع، ومن ثم وضع الخطط والبرامج لعملية الادارة والاصلاح.

إلا ان عامل الزمن لم يتهيء لصالح محمد بن ابي بكر، فقد فوجئ حال وصوله الى مصر بجيش كبير أرسله معاوية من الشام بقيادة عمرو بن العاص، بغية اسقاط تجربته الجديدة وتفويت الفرصة على أمير المؤمنين بالاستيلاء السريع على إقليم مصر وعزله عن مركز الخلافة الرشيدة في الكوفة.

وفعلاً اصطدم الجشيان ودارت معارك ضارية كانت الغلبة فيها أولا لجيش محمد، وقد أبدى محمد شجاعة نادرة قلَّ نظيرها، وبعد أن قتل أغلب من كان معه وتفرق الجيش مضى محمد في طريقه حتى انتهى الى خربة ليستريح، وتبعه معاوية بن حديج وهو من قادة عمرو بن العاص، فسأل عنه بعض الناس هل مرّ بكم أحد؟ قال أحدهم: رأيت رجلاً جالساً في تلك الخربة. قال بن حديج: هو ورب الكعبة.

فأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه فأستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً، فقال محمد: أسقوني شيئاً من الماء. فقال له معاوية بن خديج: لا سقاني الله ان سقيتك قطرة أبداً، والله لأقتلنك يابن ابي بكر وأنت ظمآن ويسقيك الله من الحميم والغسلين.

فقال له محمد: يابن اليهودية النساجة ليس ذلك اليوم اليك، إنما ذلك إلى الله يسقي أوليائه ويظمي أعدائه وهم أنت وقرناؤك، ومن تولاك وتوليته، والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتم فيّ ما بلغتم. فقال له معاوية بن حديج: أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار.

قال محمد: إن فعلتم ذلك بيّ فطالما فعلتم ذلك بأولياء

الله، وأيم الله، إني لأرجو ان يجعل هذه النار التي تخوفني بها برداً وسلاماً. فغضب معاوية بن حديج فقدمه فضرب عنقه، ثم ألقاه في جوف حمار وأحرقه بالنار. وهكذا أستشهد القائد البطل محمد بن ابي بكر في موقف مأساوي مروّع، عبر من خلاله إلى الضفة الاخرى ليظل علامة من علامات الوفاء والشجاعة والصدق والاخلاص في سجل الخالدين[١].

جاء في أسد الغابة:

«لما ولى الامام علي عليه السلام محمداً مصراً سار اليه عمرو بن العاص، فاقتتلوا، فانهزم محمد، ودخل خربة، فاخرج منها، وقتل صبرا واحرق في جوف حمار ميت، ولما بلغ أم المؤمنين عائشة مقتله اشتد عليها ذلك وقالت: كنت اعده ولداً واخاً، ومذ احرق لم تأكل لحماً مشوياً»[٢].

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة ٦/ ٨٨.

(٢) أسد الغابة ٥/ ١٠٢، تنظر ترجمته في كتب الرجال والتاريخ، كما تنظر كتب ووصايا أمير المؤمنين «عليه السلام» المتعلقة بمحمد بن ابي بكر في نهج البلاغة.

عمرو بن العاص

هو عمرو بن العاص بن وائل، وأمه النابغة بنت حرملة، يذكر ولده عبد الله ان والده عمرو بن العاص حين حلّ به الموت كان يبكي فسألته: أجزعاً من الموت قال: لا والله ولكن لما بعد الموت فقال له ولده كنت على خير حيث كنت من صحابة رسول الله ﷺ فقال له:

«كنتُ اول شيءٍ كافراً، وكنت أشدَّ الناس على رسول الله ﷺ فلو متُ حينئذٍ وجبتْ ليَّ النار، فلما بايعت رسول الله كنت أشد الناس حياءً منه، فلو متُّ لقال الناس: هنيئاً لعمرو أسلم، وكان على خير ومات فترجى له الجنّة. ثم تلبستُ بالسلطانِ واشياء، فلا ادري أعليّ ام لي؟! فاذا متُ فلا تبكين عليّ باكية، ولا تتبعني نائحة، ولا نار، وشدوا عليَّ أزاري، فاني مخاصم وسنوا عليَّ التراب، فان جنبي الايمن ليس بأحق بالتراب من جنبي الايسر، ولا تجعلنّ في قبري خشبة ولا حجراً، وإذا واريتموني فاقعدوا عندي قدر نحر جزور وتقطيعه، أستأنس بكم،

وانظر ماذا أوّامر رُسل ربي»[١].

وهذه الشهادة الصريحة من قبل عمرو بن العاص حجة عليه وإقرار بانه مدان ومخاصم يوم القيامة، وكيف لا وقد خالف الحق الذي تجسد في علي امير المؤمنين عليه السلام وهو يعلم ذلك، حتى انه كشف سوأته للنجاة من سيف علي في احدى منازلات صفين، وقد بقيت عاراً يلاحقه بعد مماته.

كان عمرو بن العاص قصير القامة، معروفاً بالمكر والخديعة، وعدم الشجاعة، يحب السلطان ويسعى بكل الوسائل للوصول اليه، ويبغض الامام علي عليه السلام ويحارب أتباعه وهو يعلم ان الحق مع أمير المؤمنين عليه السلام ولا يجهل ذلك.

يذكر المؤرخون ان عمرو بن العاص كان من أشد الناس حقداً وعداءً وأذىً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين الاوائل، وهو الذي أرسلته قريش الى النجاشي يسلم اليهم من عنده من المسلمين المهاجرين بقيادة جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه.

وقد اسلم قبل الفتح بستة أشهر، استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عُمان، فلم يزل عليه حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم جعله

---

(١) أسد الغابة ٤/ ٢٤٧.

ابو بكر اميراً على الشام وولاه عمر بن الخطاب على فلسطين، ثم سيره في جيش مصر فافتتحها، عزله عثمان وكان يذمه، فلما قتل عثمان سار عمرو الى معاوية(١) في الشام وعاضده ضمن صفقة سياسية دنيئة وشهد معه صفين، وهو احد الحكمين في هذه الواقعة مع ابي موسى الاشعري، ثم سيّره معاوية الى مصر لمقاتلة محمد بن ابي بكر، الذي ولاه الامام علي عليه السلام عليها بعد عزل قيس بن سعد بن عبادة الانصاري، فقتل عمرو بن العاص محمد بن ابي بكر وأحرق جثته.

كان موته في مصر ليلة عيد الفطر ودفن في المقطم.

---

(١) معاوية بن أبي سفيان، وأمه هند بنت عتبة آكلة الاكباد، أسلم هو وابوه واخوه يزيد وامه في فتح مكة فكانوا من الطلقاء.

عينه الخليفة الثاني والياً على الشام وأقره عليها عثمان بن عفان، وكانت الشام جميعاً تحت إمرته وخاضعة لسلطته وقد اظهر فيها الترف والجبروت، حتى ان عمر بن الخطاب حينما دخل الشام ورأى ما فيها عند معاوية من قصور وأبهة قال: «هذا كسرى العرب».

وبعد مقتل عثمان لم يبايع علياً كما بايعه المسلمون وباقي الولاة في الامصار، واعلن التمرد والعصيان وشق عصا الطاعة بحجة المطالبة بالثأر لدم عثمان، فكانت وقعة صفين بينه وبين جيش علي امير المؤمنين عليه السلام وكانت نهايته فيها، لولا خدعة رفع المصاحف التي أشار=

= بها عمرو بن العاص، والتي احدثت جدلاً وبلبلة في جيش الكوفة، مما ادى الى ظهور الخوارج، الذين شهروا السيف بوجه الامام علي عليه السلام ان لم يتراجع عن قتال جيش الشام والقبول بحكم القرآن كما زعموا.

عرف معاوية بالمكر والغدر، والدهاء وكان لا يسلم من عارضه او عاداه من مكره وخداعه، لاحق اصحاب امير المؤمنين بالقتل والتشريد فقتل منهم حجر بن عدي واصحابه ورشيد الهجري، وميثم التمار، وعمرو بن الحمق الخزاعي، ومالك الاشتر، ومحمد بن ابي بكر، وغيرهم من الصحابة والتابعين.

وكان يتبجح بقوله: **«ان لله جنوداً من عسل»**

حارب الامام الحسن بن علي«عليه السلام» وأحدث الفتنة والفرقة في صفوف جيشه، ثم هادنه على شروط للمصالحة، ولكنه حينما دخل الكوفة لأول مرة بعد الصلح قال قولته الشهيرة:

«ما قاتلتكم لتصوموا او لتصلوا أو تحجوا أو تزكوا.. إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد شارطتُ الحسن شروطاً وها هي تحت قدمي هاتين».

وهذه الكلمة ان دلت على شيء، فإنما تدلُّ على طبيعة هذه الشخصية المخادعة، التي لم تؤمن بدين، ولا تلتزم بقيم، ولا تحترم العهود والمواثيق.

لقد فرض معاوية على المسلمين بالترغيب والترهيب البيعة لولده يزيد وهو الشاب النزق الفاجر المتهور.

هلك معاوية في النصف من رجب عام ٦٠هـ وله من العمر ٧٨ سنة وقبره في الشام لا يزار.

مالك الاشتر

اسمه ولقبه:

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة ابن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج.

واسم النخع: «جسر» وإنما لقب بالنخع لانه انتخع من قومه -أي بعد عنهم- أصله من اليمن، وهو ينتسب الى قبيلة كبيرة جداً، تعدّ من أعرق وأشرف قبائل اليمن وأقواها، وهي قبيلة مذحج، حتى قال مالك مفتخراً بها:

لست من الحي ربيع أو مضر
لكنني من مذحج الغر الغرر

لقب بـ«الاشتر» وبه ذاع صيته، وأشتهر، حتى كان لا يعرف الا به، وهناك عدة روايات عن سبب تلقبه بـ«الاشتر» لكن أرجح الروايات كان بسبب ضربة أصابته من رجل يوم واقعة اليرموك على راسه، فسالت الجراحة الى عينيه فشترتها[1].

(١) والشتر هو انقلاب جفن العين من اعلى وأسفل وتشنجه.

وقد اسلم مالك على عهد رسول الله ﷺ وحسن اسلامه، ولم يذكر لنا التاريخ شيئاً يذكر عن حياته في الجاهلية قبل الاسلام، ولم يشر كذلك الى انه شهد مع النبي ﷺ حروبه ومعاركه، وغزواته، الا ان الرسول ﷺ قد شهد لمالك بالايمان، في قصة حضوره مشهد وفاة الصحابي الجليل «ابي ذر الغفاري» ودفنه بعد الصلاة عليه من قبل مالك الاشتر في فلاة من الارض حيث علته ساحبة من الحزن وهو يودع أبا ذر الغفاري بقوله:

«اللهم هذا ابو ذر صاحب رسول الله ﷺ عبدك في العابدين، وجاهد فيك المشركين، لم يغير ولم يبدل، ولكنه راى منكراً فغيره بلسانه وقلبه، حتى جفي ونفي وحرم واحتقر ثم مات غريباً اللهم فخصم من حرمه ونفاه من مهاجره وحرم رسول الله ﷺ».

ويُعدُّ مالك الاشتر من وجوه الصحابة وخيارها، وأحد الشخصيات القيادية الفذة المقربة من الامام علي عليه السلام والمعتمدة لديه، وذلك لما تنطوي عليه شخصيته من امكانات وقدرات كبيرة أهلته لان يحظى بهذه المنزلة الرفيعة في مدرسة الإمام علي عليه السلام.

قال العلامة الحلي:

- مالك الاشتر - قدس الله روحه ورضي الله عنه، جليل القدر، عظيم المنزلة، كان اختصاصه بعلي عليه السلام اظهر من ان يخفى، وتأسف امير المؤمنين عليه السلام بموته وقال: «لقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله».

شارك مع الامام علي عليه السلام في حروبه، ومعاركه في صفين والنهروان، وكان رجلاً شجاعاً صلباً شديداً في ذات الله[1].

حياته ومواقفه:

لا تذكر مصادر التاريخ والسير والتراجم، البدايات الاولى من حياة الصحابي الجليل مالك الاشتر رضي الله عنه الا ان التاريخ يسلط اضواءه عليه عندما تسلم عثمان بن عفان منصب الخلافة بعد وفاة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، عندما شكّل مالك الاشتر وكثير من الصحابة والمسلمين قوة معارضة لسياسة عثمان، واصراره على تسليط أهله وقرابته والاستئثار بالسلطة خصوصاً عندما بدّل وغيّر، وعزل عمال

(١) معجم رجال الحديث ـ للامام الخوئي ١٥/١٦٩.

الخليفة الثاني عن الامصار وتولية من ليس اهلاً لتلك المهمات عليها.

وفي بعض البلاد المهمة جعل عليها من هو متهم في دينه واخلاقه، فقد عين الخليفة عثمان اخاه لامه الوليد بن عقبة بن ابي معيط على الكوفة، وكان الوليد هذا خماراً مستهتراً، كله فسق وفجور، وقد نزل بفسقه القرآن، وشهد النبيﷺ بانه من اهل النار، ولما قدم الكوفة جعل يستأثر بفيء المسلمين، ويبتز الناس حقوقهم، ويعلن بشرب الخمر، ويكثر من مجالسة الندماء والمغنين، حتى انه شرب ذات يوم الخمر الى الصباح، فلما اذن المؤذن بالصلاة خرج الى المسجد وتقدم الى المحراب، فصلى بالناس صلاة الصبح اربعاً، ولما فرغ الوليد من الصلاة التفت الى الناس وقال لهم:

أتريدون ان ازيدكم؟

ثم صعد المنبر يريد ان يخطبهم فحصّبه الناس بحصباء المسجد، وشاع فعله في الكوفة وقامت قيامة أهلها، وكان على رأسهم مالك الاشتر، الذي بدوره خرج مع نفر من اعيان الكوفة الى المدينة قاصدين الخليفة عثمان، يشكون له امر الوليد، وبيدهم خاتمه الذي انتزعوه من يده وهو لايحس

من السكر، بعد حوار وجدال شديد اضطر عثمان الى عزل الوليد عن الكوفة، وهكذا الأمر بشأن عبد الله بن سعد بن ابي سرح، وسعيد بن العاص، الذين قاما بامور منكرة تخالف الشرع والاخلاق، وتغاضى الخليفة عثمان عن محاسبتهم ومعاقبتهم.

ويسجل لنا التاريخ موقفاً رائعاً تتجلى فيه الحكمة والتدبير، والشجاعة، و القدرة على الحسم لمالك الاشتر، وذلك حينما أبطأ الامام الحسن عليه السلام وعمار بن ياسر في تحشيد وتعبئة المجتمع في الكوفة، إذ حذر ابو موسى الاشعري الناس من الخروج الى صفين، وأخذ يثبط الامة ويثني عزيمة الناس، ودخل الجميع معه في سجال عقيم، فثار الناس وارتفعت اصواتهم، بين مجيب وممتنع، وطال الامر على الامام امير المؤمنين عليه السلام وانقطعت عنه أخبارهما، فقلق أشد القلق، واغتم لذلك كثيراً، فقام اليه البطل الاشتر وقال له: يا أمير المؤمنين، قد بعثت رجلاً قبل هذين -يعني الحسن وعمار- فلم أره احكم شيئاً، ولا قدر عليه، ولست ادري ما يكون، فان رأيت أكرمك الله يا امير المؤمنين ان تبعثني في أثرهم، فان اهل المصر -أي اهل الكوفة- أحسن شيء لي طاعة، وان قدمتُ عليهم رجوت ان لا يخالفني منهم أحد.

فقال له الامام عليه السلام: «إلحَقْ بهم».

فأقبل الاشتر مسرعاً حتى دخل الكوفة، فجعل لا يمرّ بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس او مسجد، الا أمرهم ان يتبعوه الى القصر، ثم انتهى الى القصر والناس خلفه، فاقتحمه، ودخل فيه وأخرج غلمان ابي موسى بالسوط، فهرعوا يركضون الى المسجد -وكان فيه ابو موسى يخطب الناس ويثبط عزائمهم عن الخروج، والحسن يقول له: إعتزل عملنا وتنحّ عن منبرنا لا أم لك، وعمار ينازعه ويسبه، فدخل الغلمان ينادون: يا أبا موسى هذا الاشتر قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا.

فنزل أبو موسى عن المنبر ومشى الى القصر، فلما دخله صاح به الاشتر: أخرج من قصرنا لا أم لك أخرج الله نفسك، فوالله انك لمن المنافقين قديماً.

فالتفت إليه أبو موسى وقد أخذه الخوف وقال له: أجّلني هذه العشية.

فقال الأشتر: هي لك ولا تبيتن في القصر.

فخرج من القصر، وهو لا يكاد يصدق بسلامته، ودخل الناس ينتهبون متاعه، فمنعهم الأشتر وقال لهم: إني قد أجرته وأخرجته وعزلته عنكم، فكفّ الناس حينئذ وانصرفوا.

ثم خرج الأشتر الى المسجد وخطب خطبة طويلة حرّض فيها الناس على الخروج لنصرة أمير المؤمنين عليه السلام، فخرجوا طائعين، فسار مع الحسن عليه السلام على طريق البر تسعة آلاف مقاتل، وسار على الماء ما يقاربهم حتى وافوا الامام جميعاً بذي قار[١].

شجاعته:

أما الحديث عن شجاعته فقد اجمع المؤرخون وارباب السير والتراجم، على ان مالك الأشتر كان من الابطال في ساحات الوغى، إذ كان لا يهاب الموت، ولا يرهبه بريق السيوف، وكثرة الرماح، فلم يعهد عنه انه تردد او احجم عن منازلة فارس او صنديد.

حتى فرض هيبته في نفوس محبيه وأعداءه.

قال ابن ابي الحديد:

«لله أم قامت على الأشتر، لو ان انساناً يقسم ان الله تعالى ما خلق في العرب ولا في العجم اشجع منه الا استاذه علي بن ابي طالب عليه السلام لما خشيتُ عليه الأثم، ولله در

(١) ينظر: شرح بن ابي الحديد. و مالك الاشتر ـ للسيد محمد رضا الحكيم ص٩٨.

القائل وقد سئل عن الأشتر: ما أقول في رجل هزمت حياته أهل الشام، وهزم موته أهل العراق»

وقال زهير بن قيس: دخلت مع ابن الزبير الحمام، فاذا في رأسه ضربة، لو صُبَّ فيها قارورة دهن لاستقر فيها، : فقال لي: أتدري من ضربني هذه الضربة. قلتُ: لا. قال: ابن عمك الأشتر النخعي، وقد لاقيته يوم الجمل فما ضربته ضربة حتى ضربني ستاً أو سبعاً، ثم أخذ برجلي وألقاني في الخندق»[١].

وقد تجلت شجاعته وبطولاته في أيام صفين العصيبة، التي اتعبت الشجعان، وأثخنت فيهم الجراح، وفي ليلة الهرير التي ضرب فيها مالك اروع الامثلة بالثبات والعزيمة، حيث كان قطبها الذي لا يجارى، وفارسها المقدام الذي افزع الجموع، وأخاف ابدال الشام من جيش معاوية، وكادت ان تحسم المعركة لصالح جيش الكوفة، لولا مكيدة عمرو بن العاص وخدعته برفع المصاحف، وفتنة الخوارج.

شعره وأدبه:

لا شك ان شخصية مالك تأثرت تأثيراً كبيراً بشخصية

(١) المصدر نفسه

استاذه الامام علي بن ابي طالب عليه السلام اذ برز هذا التأثير الثقافي والروحي والاخلاقي والادبي في سيرته ومواقفه وشعره وخطبه، التي عكست اصالته الفكرية، وقيمته الاخلاقية، والانسانية.

وهذه سنة واضحة من سنن الحياة الاجتماعية، وهي ان الانسان يقرن بصاحبه، ويقاس بصديقه ورفيقه، فاذا كان هذا الصاحب شخصية قوية مؤثرة، وتمتلك امكانات ومؤهلات فكرية وروحية استثنائية، فانها تؤثر تأثراً ايجابياً بالغاً بمن حولها، اذا كان للشخص الاخر استعداد نفسي، وقدرة على التلقي والاستيعاب.

وهذا ما حصل بالفعل عند مالك في صحبته وعلاقته الحميمة، والتصاقه بالإمام علي عليه السلام فقد اخذ من فكره وأدبه وخلقه، واستلهم من روحه وشجاعته الشيىء الكثير.

وهذا الامر لم يكن مختصاً بمالك وحده، انما جرى عند كل من صاحب الامام عليه السلام وتعلم من خلقه وانسانيته، كأبي ذر الغفاري، وقيس بن سعد بن عبادة، وحجر بن علي، وميثم التمّار، ورشيد الهجري، وسلمان الفارسي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، ونظائر هؤلاء الرجال الافذاذ من الصحابة والتابعين.

وفي ضوء ذلك، فقد ذكر المؤرخون ان مالكاً كان سيد قومه، اذ كان خطيباً مفوهاً، ومتكلماً بارعاً، وشاعراً وأديباً، وكان اكثر شعره في مناسبات الحرب، والمنازلات، ولم يعرف عنه حالة الابتذال او الخوض في ميادين الشعر الرخيصة.

فمن شعره بعد الانتصار في واقعة الجمل ودخوله على أم المؤمنين عائشة في البصرة ومعاتبتها له عما صنع بابن اختها عبد الله بن الزبير:

أعايش لو لا انني كنت طاوياً
ثلاثاً لألفيت ابن اختك هالكا

غداة ينادي والرماح تنوشه
كوقع الصياصي اقتلوني ومالكا

فلم يعرفوه اذ دعاهم وغمّه
خدبٌ عليه في العجاجة باركا

فنجاه مني شبعه وشبابه
وإني شيخ لم اكن متماسكا

وقالت على أي الخصال صرعته
بقتل أتى ام ردة لا أباً لكا

أم المحصن الزاني الذي حلّ قتله
فقلت لها: لا بدّ من بعض ذلكا

وقال في صفين مهدداً معاوية لما اراد أمير المؤمنين عليه السلام ان يحمل على جيش الشام في صبيحتها:

قد دنا الفصل في الصباح وللـ
ـسلم رجال وللحروب رجالُ

فرجال الحروب كل خدب
مقحم لا تهده الأهوالُ

يضرب الفارس المدجّج بالسـ
ـيف إذ فلّ في الوغى الأكفالُ

يا بن هند شدّ الحيازيم للموت
ولا يذهبن بك الآمالُ

إن في الصبح إن بقيت لأمراً
تتفادى من هوله الأبطالُ

فيه عزّ العراق أو ظفر الشام
بأهل العراق والزلزالُ

فاصبروا للطعان بالأسل السمر
وضرب تجري به الأمثالُ

إن تكونوا قتلتم النفر البيض
وغالت أولئك الآجالُ

فلنا مثلهم وإن عظم الخطب
قليل أمثالهم أبدالُ

يخضبون الوشيج طعناً إذا
جرّت من الموت بينهم أذيالُ

طلبوا الفوز في المعاد وفي ذا
تستهان النفوس والأموالُ

قال نصر بن مزاحم: ان معاوية لما بلغته هذه الابيات قال: شعر منكر، من شاعر منكر، رأس أهل العراق وعظيمهم، ومسعر حربهم، وأول الفتنة وآخرها(١)

هذا الى غير ذلك مما هو مذكور في كتب التاريخ والتراث والادب.

واما الكلام عن ثقافته النثرية، وخطبه التي لم تكن يوماً من وحي الخيال، وصناعة الانشاء في الاجواء المترفة، إنما كانت خطبه زمجرات تتحدى في ساحات الحرب والوغى،

(١) ينظر المصدر نفسه.

ففي أيام صفين وفي ليلة الهرير التي سقطت فيها الرؤوس والأيدي وبلغت القلوب الحناجر، وقف مالك كالطود الأشم بين الجيشين، فحمد الله واثنى عليه، ثم صلى على النبي ﷺ وقال:

«أما بعد، فإنه قد كان من قضاء الله وقدره اجتماعنا في هذه البقعة من الارض، لآجال قد اقتربت وأمور قد تصرمت، يسوسنا سيد المسلمين، وأمير المؤمنين، وخير الوصيين، وابن عم نبينا، واخوه، ووارثه، وسيف من سيوف الله صبه على أعدائه، ورئيسهم ـ يعني رئيس اهل الشام ـ ابن آكلة الأكباد، وكهف المنافقين وبقية الاحزاب، يسوقهم الى الشقاء والنار، ونحن نرجوا بقتالهم من الله الثواب، وهم ينتظرون العقاب، فانظروا إذا حمي الوطيس، وثار القتام، وتكسر المران، وجالت الخيل بقتلانا وقتلاهم، رجونا بقتالهم النصر من الله، فما أسمعن إلا غمغمة أو همهمة.

أيها الناس، غضوا الابصار، وعضوا على النواجذ من الاضراس، فإنها أشدّ لصرر الرأس. واستقبلوا القوم بوجوهكم، وخذوا قوائم سيوفكم بايمانكم، فاضربوا الهام، واطعنوا بالرماح مما يلي الشرسوف[1]، فإنه مقتل، وشدوا

(١) الشرسوف: مقاطع الاضلاع، وهي اطرافها التي تشرف على البطن.

شدة قوم موتورين بآبائهم واخوانهم حنقين على عدوهم، قد وطّنوا انفسمهم على الموت، لكيلا تذلوا، ولا يلزمكم في الدنيا عار»[١].

ومثل هذه الخطبة في القوة والبيان والوعي والحماس، خطب كثيرة، يجدها القارئ في مواقفه التي وقفها، في كل الحروب والمعارك التي خاضها، وتشهد له بثبات الإيمان، وقوة الجنان، وفصاحة اللسان.

صبره وحلمه:

بعد الذي مرّ من حياة مالك ومواقفه وبطولاته، لا يتوهم القارئ الكريم، ان شخصية مالك هي شخصية شديدة، قاسية، لا تجيد الا القتال، ولا تفقه الا خوض غمرات المعارك والحروب، فان ذلك لا يمثل الا جانباً من الجوانب المتنوعة في حقيقة شخصية هذا الرجل العظيم، وهو الجانب الذي برز بحكم الظروف وطبيعة المرحلة التاريخية.

غير ان هناك جوانب أخرى تنطوي عليها شخصية هذا

(١) ينظر: وقعة صفين - لنصر بن مزاحم. وأعيان الشيعة - لسيد محسن الامين العاملي.

القائد الفذ، وهي لا تقل بروزاً ولا عطاءاً عن جانب شجاعته وبطولاته النادرة، وهو صبره وحلمه، وزهده وعفوه، واخلاقه، وحبه للخير، ومشاريع البر، وخدمة الانسان.

فقد جاء في صفحات التاريخ ان مالكاً كان يجتاز احد اسواق الكوفة، متجهاً نحو المسجد، وعليه قميص خام، وعمامة منه، فرآه بعض السوقه فأزرى بزيه، فرماه ببندقة تهاوناً به، فمضى مالك ولم يلتفت، فقيل للسوقي: ويلك أتعرف لمن رميت؟ قال: لا. قال له: هذا مالك صاحب أمير المؤمنينعليه السلام فارتعد الرجل ومضى إليه ليعتذر، وقد دخل الأشتر المسجد، فدخل عليه فرآه قائماً يصلي، فلما انفتل من صلاته إنكبّ الرجل على قدميه يقبلهما، فقال: ما هذا؟ قال: أعتذر إليك مما صنعت. قال: لا بأس عليك، والله ما دخلت المسجد الا لأستغفر لك.

هذا هو الحلم الرزين الذي يحمله مالك الاشتر رضوان الله عليه، ولعل الذي يراجع العهد الشريف يدرك مدى عمق انسانية مالك، ورأفة قلبه، ورجاحة عقله، وسماحة نفسه واخلاقه، وان الامامعليه السلام حينما كلفه بحمل هذا العهد الى مصر كان يعرف انه الشخصية القيادية ذات الاخلاق العالية التي تستحق شرف مثل هذه المهمة الكبيرة، والمسؤولية الرسالية.

مالك بعد جهاد المعارك:

بعد انتهاء خوضه للمعارك كقائد لجيش امير المؤمنين علي عليه السلام في الجمل وصفين والنهروان عاد مالك الاشتر الى عمله في حفظ الامن العام في الجزيرة البادية مما يلي الشام. وكان مستقره في منطقة نصيبين، ولما اضطربت الامور السياسية في مصر واشتدت الفتنة على محمد بن ابي بكر، كتب الامام علي عليه السلام يخبره بذلك ويقول له:

«فان كان لك في ارض مصر حاجة فامددني بالاموال والرجال».

فلما قرأ الامام علي عليه السلام كتاب محمد ساءه ذلك كثيراً وقال: «ما أرى لمصر الا احد الرجلين: صاحبنا الذي عزلناه بالأمس -يعني قيس بن سعد بن عبادة- أو مالك بن الحارث الاشتر».

ولما كان قيس بن سعد بن عبادة مقيماً في الكوفة على شرطة أمير المؤمنين عليه السلام أبقاه الامام على مهمته، وكتب الى الاشتر -رجل المهمات الصعبة- يستدعيه ويستعجله بالمجيء ويستحثه بالقدوم عليه للنظر في أمر مصر، فاستخلف الاشتر على عمله شبيب بن عامر الازدي، وأقبل مسراعاً الى الكوفة ودخل على الامام علي عليه السلام فحدثه الامام عليه السلام حديث مصر واخبره باوضاع امرها، وأمره

بالسفر اليها، وقال له:

«اخرج إليها رحمك الله، فاني لا أوصيك اكتفاءً برأيك، واستعن بالله على ما أهمك، واخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق ابلغ، واعتزم على الشدة حين لا تغني عنك الا الشدة».

ولم يكن من الاشتر الا السمع والطاعة.

ولايته على مصر:

ووجه الامام علي عليه السلام رسالة خاصة الى اهل مصر يعرفهم فيها بشخصية مالك ومنزلته العظيمة، ويحثهم فيها على الطاعة والالتزام بتوجيهات مالك، وكان نص الرسالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الى الملأ من المسلمين سلام عليكم اما بعد:

فاني قد وجهت اليكم عبداً من عباد الله لا ينام ايام الخوف ولا ينكل عن الاعداء حذّار الدوائر اشد على الفجار من حريق النار وهو مالك بن الحارث الاشتر اخو مذحج اسمعوا له واطيعوا، فانه سيف من سيوف الله لا يأتي الضريبة ولا كليل الحد، فان امركم ان تنفروا فانفروا، وان امركم ان تقيموا فأقيموا، وان امركم ان تحجموا فاحجموا، فانه لا يقدم الا بأمري، فقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم،

وشدة شكيمته على عدوكم، عصمكم ربكم بالهدى وثبتكم باليقين»[١].

فحمل مالك الرسالة والعهد بقوة، وسار الى مصر لا يلوي على شؤء غير الوصول إليها، وإطفاء الفتنة فيها.

شهادته:

ويروي لنا التاريخ روايات عدة عن سفر الاشتر وشهادته في مصر.

الرواية الاولى:

لما بلغ معاوية خروج الاشتر الى مصر زاد غمّه وكثر همه، فما كان منه الا ان بعث له احداً من أهل الخراج يثق به في القلزم.

وقال له: ان الاشتر قد ولي مصر، فان كفيتنيه لم أخذ منك خراجاً ما بقيت وبقيت، فاحتل في هلاكه ما قدرت عليه، فلما انتهى الاشتر الى القلزم، استقبله ذلك الرجل وعظّمه وقال له: هذا منزل فيه طعامٌ وعلف، واني رجل من أهل الخراج، فأقم واسترح.

---

(١) ينظر: مصادر نهج البلاغة ٣/ ٣٣٥، وشرح بن ابي الحديد.

فنزل الاشتر عنده، فقدم له ذلك الرجل الطعام، حتى إذا أكل سقاه شربة من عسل، قد جعل فيها سماً، فلما شربها، مات من ساعته.

الرواية الثانية:

لما خرج مالك الى مصر، وصل منطقة «الأبلة» فصحبه نافع مولى عثمان بن عفان، -وكان معاوية قد ارسله لاغتياله- فلم يزل يخدمه ويلطف اليه، حتى أنس من الاشتر، وارتاح إليه، وأخذ يسأله عن حاله وشأنه وبلده.

- ممن أنت
- من أهل المدينة
- واين تريد
- مصر
- وما حاجتك بها
- اشبع من الخبز فانا بالمدينة لا نشبع منه

فخرج الاشتر من «الأبلة» وسار مجداً يحثُ الخطى في سيره، ونافع معه يخدمه، ويكثر في الثناء على بني هاشم، ويشيد بفضل علي أمير المؤمنين عليه السلام وقد لازمه ملازمة شديدة.

وحين بلغ الاشتر القلزم نزل على امرأة من جهينة، فرحبت به تلك الامرأة، وأكرمت حفاوته كثيراً، وسألته: أي الطعام أعجب بالعراق، فاعالجه لكم؟ قال لها: الحيتان الطرية. فقدمته له أكلاً طرياً شهياً.

فلما أكل منه الأشتر، عطش عطشاً شديداً، وكان الوقت حاراً جداً، فأخذ يكثر من شرب الماء، حتى انتفخت بطنه، فقال له نافع: ان الطعام لا يقتل سمه الا العسل، فدعا الاشتر باحضاره، من ثقله فلم يكن فيه، فقال نافع: هو عندي فآتيك به. قال له الاشتر: نعم اتني به.

فذهب نافع الى رحله فاحضر شربة من العسل قد دافها بالسمّ وقدمها إليه، فشربها، فلما استقرت في جوفه اضطربت حالته، واختل مزاجه، وأخذه الموت من ساعته، فامر الاشتر بطلب نافع ـ وكان قد انسل في ظلمة الليل وهرب متخفياً ـ فطلب فلم يعثر عليه، واشتدت حالة الأشتر، وسرى السم في جميع بدنه، واستولى على جميع عروقه، حتى قضى عليه.

فأخذ في تجهيزه ودفن فيها، وكانت وفاته في سنة ٣٨ هجرية وقيل في سنة ٣٧ هجرية.

روايات أخرى

وهناك روايات أخرى في قصة شهادة مالك، ومهما تختلف الروايات فانها تشترك في حقيقة واحدة، وهي ان معاوية هو الذي كان يقف وراء اغتيال صاحب امير المؤمنين عليه السلام مالك الاشتر، وليس هذا الاسلوب الجبان بجديد على معاوية، ومنهجه في تصفية معارضيه، فهو الرجل المعروف بالمكر والحيلة، والغدر، والنفاق، فعندما يعجز عن المواجهة المكشوفة مع الخصوم، يلجأ الى هذا الاسلوب الغادر في تصفية مناوئيه ومعارضيه.

ولما بلغ معاوية نبأ وفاته قام خطيباً في اصحابه فقال: إن علياً كانت له يمينان قطعت احدهما بصفين -يعني عمار بن ياسر- والاخرى اليوم.

ثم قال قولته المشهورة: **«ان لله جنوداً من عسل»**.

وأما أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فانه حينما وصله نبأ نعي مالك الاشتر اليه قال:

«رحم الله مالكاً وما مالك عزّ علي به هالك، لو كان صخراً لكان صلدا، ولو كان جبلاً لكان فندا، وكأنه قدّ مني قدا، لله مالك وما مالك وهل قامت النساء عن مثل مالك».

وقوله ايضاً عليه السلام:

«لقد كان لي مالك كما كنتُ لرسول الله صلى الله عليه وآله».

هكذا كان موقع مالك الاشتر ومكانته العظيمة في نفس امير المؤمنين عليه السلام، فسلام عليه يوم ولد، ويوم جاهد بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام، وسلام عليه يوم مات شهيداً، وسلام عليه يوم يبعث حيا.

دفن مالك في مصر قرب القاهرة ولا يزال قبره مزاراً يأمّه العارفون بفضله وجلالة قدره[١].

وفي نهاية هذا المدخل الذي تعرضنا فيه الى حياة أمير المؤمنين عليه السلام في محطات سريعة، وقيمة نهج البلاغة في التراث الاسلامي، ودراسة سنده ومعطياته، ودلالاته، وأشرنا الى الاسلوب والمنهج الذي اتبعناه في شرح عهد الامام علي لمالك الاشتر، كما قد سلطنا الضوء على المبادئ العامة

---

(١) ينظر في ترجمته: معجم رجال الحديث - للامام الخوئي ١٥/١٦٩.
وأعيان الشيعة - للسيد محسن الامين العاملي. وكتاب: مالك الاشتر - للسيد محمد رضا الحكيم.
وغيرها من كتب الرجال والتراجم.

والمرتكزات الاساسية لادارة الدولة وقيادة المجتمع، أضافة الى ترجمة الشخصيات القيادية التي تعاقبت على ولاية مصر في عهد الامام علي عليه السلام.

كل ذلك من اجل ان يكون هذا الكتاب مساهمة متواضعة في احياء التراث الاسلامي، والاستفادة منه في ترشيد الواقع السياسي، والاداري، وتطوير مؤسسات الدولة، وبناء العراق الجديد.

وأخيراً لا يفوتني ان أقدم جزيل الشكر والأمتنان إلى سماحة العلامة الجليل آية الله الشيخ الدكتور أحمد البهادلي «دامت بركاته» على ملاحظاته القيّمة التي تفضل بها بعد مراجعته هذا الكتاب، والتي طوقني فيها بحبه وتواضعه ورعايته، وكانت بحق ملاحظات نافعة تعبر عن سعة علمة ودقة نظراته وعمق معرفته بالتاريخ وفقه اللغة، فضلاً عن إحاطته بفقه الشريعة وعلومها.

أسأل الله تعالى ان يديم وجوده علماً من أعلام الإسلام ورائداً من رواد جامعة النجف الأشرف العريقة.

كما أسأله تعالى أن ينفع بهذا الجهد المتواضع جميع المسلمين، خصوصاً ابناء الشعب العراقي الكريم، وان

يجعله ذخراً لي يوم القاه، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم.

والحمد لله رب العالمين.

حسين بركة الشامي
رجب الخير ١٤٢٩هـ
بغداد - الكاظمية

نص العهد الشريف

ومن عهد له عليه السلام كتبه للاشتر النخعي رحمه الله

لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر رحمه الله وهو أطول عهدٍ كتبه وأجمعه للمحاسن.

بسم الله الرحمن الرحيم

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلاهُ مِصْرَ: جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وَ جِهَادَ عَدُوِّهَا وَ اسْتِصْلاحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلادِهَا.

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ إِيْثَارِ طَاعَتِهِ وَ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ الَّتِي لا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلا بِاتِّبَاعِهَا وَ لا يَشْقَى إِلا مَعَ جُحُودِهَا وَ إِضَاعَتِهَا. وَ أَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَ لِسَانِهِ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ. وَ أَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ اللَّهُ.

ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ: أَنّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قبلَك، مِنْ عَدْلٍ وَ جَوْرٍ. وَ أَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ، فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاةِ قَبْلَكَ. وَيَقُولُونَ فِيكَ، مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ. وَ إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ.

فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ. فَامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لا يَحِلُّ لَكَ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الأَنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ.

وَ أَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَ الْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَ اللُّطْفَ بِهِمْ وَ لا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَ إِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وَ تَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَ يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَإِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَ صَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَ صَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَ وَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَ اللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلاكَ، وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وَ ابْتَلاكَ بِهِمْ.

وَ لا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ وَلا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَ رَحْمَتِهِ، وَ لا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ وَ لا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ وَ لا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً

وَلا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ وَ تَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ.

وَ إِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ وَ قُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ وَ يَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ وَ يَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ، إِيَّاكَ وَ مُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ وَ التَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَ يُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.

أَنْصِفِ اللَّهَ وَ أَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَ مِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَ مَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلاّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ وَ مَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ وَ مَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَ كَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ وَ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَ تَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَ هُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ.

وَ لْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَ أَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَ إِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ، وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَئُونَةً فِي الرَّخَاءِ

وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاءِ وَ أَكْرَهَ لِلأَنْصافِ وَ أَسْأَلَ بِالأَلْحَافِ وَ أَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الأَعْطَاءِ وَ أَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ وَ أَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وَ إِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَ جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَ الْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ وَ مَيْلُكَ مَعَهُمْ.

وَ لْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَ أَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ وَ اللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ.

أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ وَ اقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ وَ تَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لا يَضِحُ لَكَ وَ لا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَ إِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

وَ لا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَ يَعِدُكَ الْفَقْرَ وَلا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الأُمُورِ وَ لا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَ الْجُبْنَ وَ الْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ.

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً وَ مَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ فَلا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثَمَةِ

وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ وَ أَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَ نَفَاذِهِمْ وَ لَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَآثَامِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ وَ لا آثِماً عَلَى إِثْمِهِ أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَئُونَةً وَ أَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً وَ أَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً وَ أَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً، فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلاتِكَ ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لأَوْلِيَائِهِ وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ.

وَ الْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَ الصِّدْقِ ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلا يُطْرُوكَ وَلا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ فَإِنَّ كَثْرَةَ الأَطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَ تُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ.

وَ لا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَ الْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الاحْسَانِ فِي الاحْسَانِ وَ تَدْرِيباً لأَهْلِ الاسَاءَةِ عَلَى الأَسَاءَةِ وَأَلْزِمْ كُلاً مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ، وَ اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَ تَخْفِيفِهِ الْمَئُونَاتِ عَلَيْهِمْ وَ تَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً وَ إِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاؤُكَ عِنْدَهُ وَ إِنَّ

أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاؤُكَ عِنْدَهُ.

وَ لا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الأُمَّةِ وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الأُلْفَةُ وَ صَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ وَ لا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.

وَ أَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَ مُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلادِكَ وَ إِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلا بِبَعْضٍ وَلا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ، وَ مِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَ الْخَاصَّةِ، وَ مِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَ مِنْهَا عُمَّالُ الانْصَافِ وَ الرِّفْقِ، وَ مِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ، وَ الْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَ مُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَ مِنْهَا التُّجَّارُ وَ أَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَ الْمَسْكَنَةِ، وَ كُلٌّ قَدْ سَمَّى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ وَ وَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وآله) عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً.

فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ وَ زَيْنُ الْوُلاةِ وَ عِزُّ الدِّينِ وَ سُبُلُ الأَمْنِ وَ لَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلا بِهِمْ.

ثُمَّ لا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ

الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ وَ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ وَ يَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ.

ثُمَّ لا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إلا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَ الْعُمَّالِ وَالْكُتَّابِ لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ وَ يُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الأُمُورِ وَعَوَامِّهَا.

وَ لا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إلا بِالتُّجَّارِ وَ ذَوِي الصِّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ وَ يُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ.

ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَ الْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ وَ فِي اللَّهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ وَ لِكُلٍّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إلا بِالأهْتِمَامِ وَ الأسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ وَ الصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ.

فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ وَلأَمَامِكَ وَ أَنْقَاهُمْ جَيْباً وَ أَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ وَ يَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ وَ يَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ وَ يَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ وَ مِمَّنْ لا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ وَ لا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ.

ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَ الأَحْسَابِ وَ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَ الشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَ السَّمَاحَةِ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وَ شُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ.

ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا وَ لا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ وَ لا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَ إِنْ قَلَّ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ وَ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ وَ لا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ.

وَ لْيَكُنْ آثَرُ رُءُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ وَ أَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ وَ يَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ.

وَ إِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلادِ وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ و إِنَّهُ لا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلا بِسَلامَةِ صُدُورِهِمْ وَ لا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلا بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلاةِ الأُمُورِ وَ قِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ وَ تَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ.

فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ وَ وَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ

وَتعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلاءِ مِنْهُمْ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ وَ تُحَرِّضُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى وَ لا تَضُمَّنَّ بَلاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ وَلا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلائِهِ وَ لا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً وَ لا ضَعَةُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً.

وَ ارْدُدْ إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الأُمُورِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ فَالرَّدُّ إِلَى اللَّهِ الأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ وَ الرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ.

ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لا تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ وَ لا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ وَ لا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ وَ لا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ وَ لا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ وَ لا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ وَ آخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ وَ أَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الأُمُورِ وَ أَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ مِمَّنْ لا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ وَ لا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ

وَ أُولَئِكَ قَلِيلٌ.

ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ وَ افْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ وَ تَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ وَ أَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَراً بَلِيغاً فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى وَ تُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا.

ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً وَ لا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَ أَثَرَةً فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَ الْخِيَانَةِ وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَ الْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَ الْقَدَمِ فِي الأَسْلامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاقاً وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً وَ أَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقاً وَ أَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الأُمُورِ نَظَراً.

ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلاحِ أَنْفُسِهِمْ وَ غِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وَ ابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَ الْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الأَمَانَةِ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ.

وَ تَحَفَّظْ مِنَ الأَعْوَانِ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً

فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ وَ أَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ وَ وَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ.

وَ تَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلاحِهِ وَصَلاحِهِمْ صَلاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ وَ لا صَلاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلا بِهِمْ لأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَ أَهْلِهِ.

وَ لْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلابِ الْخَرَاجِ لأَنَّ ذَلِكَ لا يُدْرَكُ إِلا بِالْعِمَارَةِ وَ مَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلادَ وَ أَهْلَكَ الْعِبَادَ وَ لَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلا قَلِيلاً فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً أَوْ عِلَّةً أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّةٍ أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ.

وَ لا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمَئُونَةَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلادِكَ وَ تَزْيِينِ وِلايَتِكَ مَعَ اسْتِجْلابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَ رِفْقِكَ بِهِمْ فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا وَ إِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا

لاشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلاةِ عَلَى الْجَمْعِ وَ سُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ وَ قِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ.

ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَايِدَكَ وَ أَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ الأَخْلاقِ مِمَّنْ لا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ فَيَجْتَرِئَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلا وَ لا تَقْصُرُ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ وَ إِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَ يُعْطِي مِنْكَ وَ لا يُضْعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ وَ لا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ وَ لا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الأُمُورِ فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ.

ثُمَّ لا يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَ اسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَ حُسْنِ خِدْمَتِهِمْ وَ لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالأَمَانَةِ شَيْءٌ وَ لَكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ فَاعْمِدْ لأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَراً وَ أَعْرَفِهِمْ بِالأَمَانَةِ وَجْهاً فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَ لِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ.

وَ اجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ لا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا وَ لا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا وَ مَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ

عَيبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ.

ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَ ذَوِي الصِّنَاعَاتِ وَ أَوْصِ بِهِمْ خَيْراً الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَ الْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ وَ الْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ وَ أَسْبَابُ الْمَرَافِقِ وَجُلابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وَ بَحْرِكَ وَ سَهْلِكَ وَ جَبَلِكَ وَ حَيْثُ لا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَ لا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لا تُخَافُ بَائِقَتُهُ وَ صُلْحٌ لا تُخْشَى غَائِلَتُهُ.

وَ تَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَ فِي حَوَاشِي بِلادِكَ وَ اعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً وَ شُحّاً قَبِيحاً وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ وَ تَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ وَ ذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَ عَيْبٌ عَلَى الْوُلاةِ فَامْنَعْ مِنَ الأحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) مَنَعَ مِنْهُ وَ لْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً بِمَوَازِينِ عَدْلٍ وَأَسْعَارٍ لا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ وَ عَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ.

ثُمَّ اللَّهَ اللَّهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَ أَهْلِ الْبُؤْسَى وَ الزَّمْنَى فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَ مُعْتَرّاً وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ وَ اجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكِ وَ قِسْماً مِنْ غَلاتِ

صَوَافِي الاسْلام فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ لِلأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنَى وَ كُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ.

وَ لا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ فَإِنَّكَ لا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لأَحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ فَلا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ وَ لا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ وَ تَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَ تَحْقِرُهُ الرِّجَالُ فَفَرِّغْ لأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَ التَّوَاضُعِ فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ.

ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ فَإِنَّ هَؤُلاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَ كُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ.

وَ تَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَ ذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لا حِيلَةَ لَهُ وَ لا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ وَ ذَلِكَ عَلَى الْوُلاةِ ثَقِيلٌ وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ وَ قَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ وَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ.

وَ اجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ وَ تَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ وَ تُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَ أَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ:

«لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ»

ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَ الْعِيَّ وَ نَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَالأَنَفَ يَبْسُطِ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ وَ يُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ وَ أَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً وَ امْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ.

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ وَ مِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ وَ أَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ.

وَ اجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ وَ أَجْزَلَ تِلْكَ الأَقْسَامِ وَ إِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ وَ سَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ. وَ لْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَ نَهَارِكَ وَ وَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ وَ لا مَنْقُوصٍ بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ وَ إِذَا قُمْتَ فِي صَلاتِكَ لِلنَّاسِ فَلا تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَ لا مُضَيِّعاً فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَ لَهُ الْحَاجَةُ وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى

الْيَمنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ فَقَالَ صَلِّ بِهِمْ كَصَلاةِ أَضْعَفِهِمْ وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً.

وَ أَمَّا بَعْدُ فَلا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ وَ قِلَّةُ عِلْمٍ بِالأُمُورِ وَ الأحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ وَ يَعْظُمُ الصَّغِيرُ وَ يَقْبُحُ الْحَسَنُ وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ وَ يُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَ إِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الأُمُورِ وَ لَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ وَ إِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ فَفِيمَ احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ أَوْ مُبْتَلَى بِالْمَنْعِ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لا مَئُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ مِنْ شَكَاةِ مَظْلِمَةٍ أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَ بِطَانَةً فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَ تَطَاوُلٌ وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ وَ لا تُقْطِعَنَّ لأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَ حَامَّتِكَ قَطِيعَةً وَلا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَئُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ

فَيكُونَ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وَ عَيبُهُ عَلَيكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَ أَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَ الْبَعِيدِ وَ كُنْ فِي ذَلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيثُ وَقَعَ وَ ابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيكَ مِنْهُ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ.

وَ إِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ وَ اعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ وَ إِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ

وَ لا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيهِ عَدُوُّكَ و لِلَّهِ فِيهِ رِضًا فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ وَ رَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَ أَمْناً لِبِلادِكَ وَلَكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ فَخُذْ بِالْحَزْمِ وَ اتَّهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ.

وَ إِنْ عَقَدْتَ بَينَكَ وَ بَينَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ وَ ارْعَ ذِمَّتَكَ بِالأَمَانَةِ وَ اجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيتَ فَإِنَّهُ لَيسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيهِ اجْتِمَاعاً مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وَ تَشَتُّتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَ قَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَينَهُمْ

دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ فَلا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ وَ لا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ وَ لا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ فَإِنَّهُ لا يَجْتَرِئُ عَلَى اللَّهِ إِلا جَاهِلٌ شَقِيٌّ وَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ وَ حَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ فَلا إِدْغَالَ وَ لا مُدَالَسَةَ وَ لا خِدَاعَ فِيهِ.

وَ لا تَعْقِدْ عَقْداً تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ وَ لا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَ التَّوْثِقَةِ وَ لا يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَ فَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ وَ أَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللَّهِ فِيهِ طِلْبَةٌ لا تَسْتَقْبِلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَ لا آخِرَتَكَ.

إِيَّاكَ وَ الدِّمَاءَ وَ سَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ وَ لا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ وَ لا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَ انْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَ يُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ وَ لا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَ لا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ لأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ وَإِنِ ابْتُلِيتَ بِخَطَإٍ وَ أَفْرَطَ عَلَيْكَ

سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً فَلا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ.

وَ إِيَّاكَ وَ الأعْجَابَ بِنَفْسِكَ وَ الثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا وَحُبَّ الأَطْرَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ.

وَ إِيَّاكَ وَ الْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الأَحْسَانَ وَ التَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ وَ الْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللَّهِ وَ النَّاسِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ﴾.

وَ إِيَّاكَ وَ الْعَجَلَةَ بِالأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا أَوِ التَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ وَ أَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ.

وَ إِيَّاكَ وَ الأَسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ وَ التَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ وَ عَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الأُمُورِ وَ يُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ.

امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ وَ سَوْرَةَ حَدِّكَ وَ سَطْوَةَ يَدِكَ وَ غَرْبَ

لِسَانِكَ وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ وَ تَأْخِيرِ السَّطْوَةِ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الأَخْتِيَارَ وَ لَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ.

وَ الْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا (صلى الله عليه وآله) أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا وَ تَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا وَ اسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ لِكَيْلا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا.

وَ أَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ أَنْ يُوَفِّقَنِي وَ إِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الأَقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَ إِلَى خَلْقِهِ مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ وَجَمِيلِ الأَثَرِ فِي الْبِلادِ وَ تَمَامِ النِّعْمَةِ وَ تَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَ لَكَ بِالسَّعَادَةِ وَ الشَّهَادَةِ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ وَ السَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَ سَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً وَ السَّلامُ.

البرنامج الأمثل
لادارة الدولة وقيادة المجتمع
في عهد الامام علي عليه السلام لمالك الاشتر

العهد الشريف ... المفاهيم والدلالات

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ(١) فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلاهُ مِصْرَ(٢) جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وَ جِهَادَ عَدُوِّهَا وَ اسْتِصْلاحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلادِهَا.

العهد

هو الوصية، والأمر، مأخوذ من عهد اليه يعهد اذا وصّاه

---

(١) تنظر ترجمته في المدخل.

(٢) مصر: من البلدان العربية والاسلامية الكبيرة، التي تعاقبت عليها حضارات، ودول متعددة، فهي ذات تاريخ عريق في الحضارة الانسانية والاسلامية، وقد ذكرها القرآن الكريم في مواطن عدة بهذا الاسم منها. قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١]. ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا﴾ [يوسف: ٢١].

وقد فتح المسلمون مصر في ايام الخليفة الثاني، وكانت قبل دخول الاسلام اخلاطا من الناس بمختلف الثقافات والديانات، والتقاليد، والعادات منهم القبط والروم والعرب، والبربر، والكرد، والديلم، والارمن، والاحباش، وغير ذلك من الاصناف، وكانوا في القديم يعبدون الاصنام ويجيدون صنع الهياكل، ونحت صور الآلهة وظلوا على ذلك الى ان فتحها المسلمون، فاسلم اكثرهم وبقي البعض على دين النصرانية.

ينظر: معجم البلدان-للحموي. ٥/ ١٦٠.

وأمره.

قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ [البقرة: ١٢٥]

أي وصّيناه وأمرناه(١).

وولاية العهد هي ولاية سياسية لقيادة الامة وادارة أمرها الخاص والعام.

وعهد الامام علي عليه السلام لمالك الأشتر يُعدُّ الكتاب، والبرنامج، والمنهج، والوصايا، والتعليمات السياسية، والاقتصادية، والأخلاقية التي يجب ان يعمل الوالي على تجسيدها في حياة الأمة.

ويعتبر هذا العهد من أهم الوثائق الدستورية في ادارة الدولة وقيادة المجتمع، وهو أطول عهد كتبه أمير المؤمنين عليه السلام في حياته، ولم يكتب أحد من الخلفاء والحكام كتابا يجاريه، وهذا ان دل على شيء، فأنما يدل على سعة علم الامام عليه السلام وشمول نظرته، وعمق تجربته، وتنوع ثقافته وخبرته في الحياة الفردية والاجتماعية.

ومن هنا فان من يتفحص مضامين هذا العهد الشريف،

---

(١) مجمع البحرين: مادة (عهد).

ويسبر كلماته ودلالاته ومعانيه، فانه يجد ان هذا العهد المبارك ينطوي على نظرة فلسفية شاملة للحياة والانسان والتاريخ، ويحتوي على العديد من الافكار والمبادئ، والقيم الانسانية، والمفاهيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والاخلاقية.

واذا اردنا ان نقف على ابرز هذه المضامين والمفاهيم والدلالات للعهد العلوي الشريف، فاننا نراها تتمثل بالنقاط التالية:

أولاً: ان العهد الشريف عهد عام شامل لأهم قضايا وشؤون الانسان المتنوعة، ولم يختص بجانب دون جانب، بل احاط بعظم المفردات الحياتية للانسان الفرد والجماعة.

ثانياً: ان هذا العهد المبارك يعالج مسألة اساسية طالما عانى منها الانسان منذ القدم، ألا وهي مسألة الظلم والاستبداد والاستغلال التي مارسها الطغاة بحق الشعوب المستضعفة، كما اننا نكتشف في ثنايا هذا العهد تطلعات الانسان نحو العدالة والانصاف وتطبيق القانون وتركيز مبادئ الحق والكرامة الانسانية.

ثالثاً: ان الجانب الاخلاقي، والقيمي للعهد الشريف قد طبع جميع نصوصه وفصوله، بحيث اصبح كل جانب من جوانبه وكل فقرة من فقراته تشع بالبعد الاخلاقي المتميز، لان الاخلاق ليست مفاهيم مجردة عن الواقع، فهناك الاخلاق السياسية، والاخلاق الاقتصادية، والاخلاق على صعيد المجتمع في آفاقه ومجالاته المختلفة، كل ذلك من اجل إحياء القيم الحضارية والمثل العليا التي يجب ان تحكم الحياة والانسان.

رابعاً: اهتم العهد الشريف بشخصية الحاكم والمسؤول المتصدي للشأن العام، وضرورة اعدادها روحياً واخلاقياً قبل التصدي وبعده، بحيث تتمتع على الدوام بالوعي، والحضور، والكرم، والشجاعة، والكفاءة، والتقوى، وهذه الصفات والخصائص التي يجب توافرها في الشخصية التي تتصدى لادارة الدولة وقيادة المجتمع هي التي تحقق النجاح والرضا في المهمة المطلوبة.

خامساً: تميز العهد الشريف بعدم الانحياز للطبقة الخاصة، وهي النخبة التي تعمل مع الحاكم وتحيط به على حساب العامة وجماهير الامة من الناس، فوضع

الامام عليه السلام في هذا العهد المبارك ميزاناً يحكم المعادلة الحساسة بين الخاصة والعامة، وكان ميله واهتمامه للعامة باعتبارها تشكل القاعدة الصلبة لحماية الدولة والنظام، وتعمل على اسناد الحاكم ودعم مشاريعه وبرامجه، وبناء مؤسساته.

سادساً: اتسم العهد العلوي الشريف بالتوازن الدقيق بين الشدة واللين، وبين الحسم والمرونة، وهي قضية مهمة واساسية وحساسة، ومطلوبة في الادارة والقيادة، فهناك مواقف يجب ان يكون الحاكم فيها صارماً وشديداً، لا يتراجع عن قراراته ولا يتردد في مواقفه، وهناك امور تتطلب من المتصدي استخدام اللين والمرونة والتغافل احياناً، ما دامت لا تؤثر على مسيرة الدولة، ولا تؤدي الى الاضرار بالمؤسسة العامة، والمسألة المهمة في هذا الموضوع كله، هو معرفة استخدام مواقع الشدة واللين وتشخيص هذه المصاديق الموضوعية، وهنا تكمن الحكمة في شخصية القائد المتصدي.

سابعاً: تؤكد نصوص العهد على ضرورة ان تكون العلاقة بين الحاكم وبين شعبه، بين المسؤول وأمته،

والعاملين معه، قائمة على اساس الحب، والعطف، والشفقة، والرحمة، بعيداً عن التعالي والغرور والتعسف في استخدام السلطة.

ثامناً: ركز العهد العلوي على مسألة الزراعة واحياء الارض ودورها الفعّال والمؤثر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وحث الحاكم على ان يكون التعامل مع الارض الزراعية، نابعاً من الشعور بالمسؤولية والحرص على استصلاحها، واستخراج كنوزها بشكل ايجابي، لا ان تكون العلاقة معها علاقة استنزاف واستغلال سيء.

تاسعاً: ان حركة الحياة الاقتصادية هي بحركة التجار، وأهل المصانع والحرف، وكلما كانت الدولة أكثر اهتماماً، ودعماً لهذه الفئات الحيوية من المجتمع، كلما كانت اكثر استقراراً، وازدهاراً، ورفاهية.

عاشراً: ان حفظ النظام العام وحماية المواطنين يتوقف على رعاية الجنود، واعداد القوة العسكرية والامنية في البلاد، لهذا نجد ان نصوص العهد الشريف قد أولت اهتماماً خاصاً بهذا الصنف من

المجتمع، ووضعت لهم الوسائل، والسبل الكفيلة لضمان حياتهم وحياة أهليهم.

الحادي عشر: لقد اعتبر العهد الشريف ان الانسان قيمة حضارية كبرى لا تعادلها قيمة، فلا يجوز المساس بدمه وعرضه وامواله، وان سفك دم المسلم أو غيره من دون وجه حق، يعدُّ من أكبر الجرائم التي يهتز لها العرش، ويحاسب عليها الشرع والقانون بالقصاص وعدم الرأفة.

الثاني عشر: لقد ركز العهد الشريف على اعتماد المقاييس الموضوعية في اختيار الاشخاص المتصدين للعمل في مؤسسات الدولة، فركز على الكفاءة والنزاهة، والاصالة، والكرم، والشجاعة، وان يكون من ذوي البيوتات الصالحة، وحذر من تدخل البخلاء والجبناء، وذوي النفوس المريضة، والسمعة السيئة في قرارات الدولة وادارة شؤونها.

الثالث عشر: لقد أولى الامام علي عليه السلام في عهده لمالك الاشتر اهتمامه بالطبقة الفقيرة والمحرومة، حيث اوصى بها في اكثر من موضع، وهذا ان دل على شيء، فانما يدل على اهتمام الاسلام بالانسان،

وكرامته، وعزته، سواء أكان شاباً قوياً منتجاً، أو كان شيخاً ضعيفاً وعاجزاً.

الرابع عشر: لقد شدد العهد العلوي الشريف على مسألة التوثيق وضرورة التدوين وضبط الامور في ادارة الدولة، وفي شؤون القضاء، والعهود والمواثيق والاتفاقيات السياسية، والاقتصادية في الداخل والخارج، وذلك من اجل ان يكون عمل الدولة ومسار مؤسساتها المدنية محفوظاً بالكتب والمستندات، لا ان يكون قائما على اساس المشافهة والارتجال، او الحالات العاطفية والمزاجية المخلة.

الخامس عشر: لقد حث الامام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الاشتر على الاستفادة من تجارب التاريخ باعتباره مصدراً من مصادر الثقافة والمعرفة والحضارة الانسانية، سواء في مجالات تقدمها وتفوقها او في مجالات انهيارها وسقوطها.

هذه اهم وابرز المفردات والموضوعات التي يمكن اكتشافها لاول وهلة في عهد الامام علي عليه السلام لصاحبه مالك الاشتر «رضوان الله تعالى عليه» حين ولاه مصر.

ولربما يجد القارئ الكريم في طيات هذا العهد الشريف مفردات كثيرة أخرى مليئة بالمعاني والدلالات في مجالات الفكر، من الفلسفة، والسياسة، والاجتماع، والاقتصاد، والاخلاق، وعلم النفس التربوي، وان هذه المفردات هي من أهم العناصر الاساسية لبناء الدولة وادارة مؤسساتها وقيادة المجتمع المدني.

وقد جسّدها أمير المؤمنين عليه السلام بفكره، وروحه ومواقفه، باعتباره رئيساً نموذجياً عادلاً للدولة الاسلامية وقائداً فذاً للقوات المسلحة، ورائداً عظيماً من رواد الحضارة الانسانية، فهو شجرة برية صحراوية مباركة، لم تنشق الارض عن نبتة اطهر منها، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

أربعة مرتكزات لبناء الدولة

يبدأ الامام علي عليه السلام عهده لمالك الاشتر «رضوان الله عليه» بهذه الكلمات الأربع: «**الجباية، والجهاد، والاستصلاح، والعمارة**» وهي تمثل المرتكزات الاساسية، والاركان المهمة التي تقوم عليها الدولة، وتبنى عليها مؤسسات المجتمع المدني، وهي تغطي الجوانب الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، وآفاق التنمية والاعمار، وهذه الجوانب تتفاعل، وتتداخل بصورة وثيقة وحساسة.

والعلاقة بينها تحتاج الى قيادة إدارية واعية تمتلك القدرة على التخطيط والموازنة، بشكل لا يطغى فيها جانب الاقتصاد على جانب السياسة، ولا تنفرد السياسة عن غيرها من الجوانب الاخرى.

فالأساس الأول: قوله عليه السلام:

«**جباية خراجها**»:

تعني هذه الكلمة من النص جانباً من المسار الاقتصادي للدولة بكل ما لهذا الجانب من أبعاد، ومعطيات، وخطط، ومشاريع، لان الخراج يعني دفع الضرائب والرسوم المالية بمختلف أشكالها وأصنافها من قبل الناس الى الدولة،

خصوصاً ضرائب الارض الزراعية من أجل ان تقوم الدولة بمهماتها الاخرى من الاعمار والتنمية والصحة والتعليم، ومشاريع الحياة العامة.

الاساس الثاني: يتجسد في قوله عليه السلام:

«وجهاد عدوّها»:

ويعني به الجانب العسكري والأمني الذي يحمي ويحفظ للدولة وجودها، وهيبتها، ومصالحها العليا من مخططات الاعداء في الداخل والخارج، وهذا الجانب شائك وخطير ومعقد، وهو يحتاج الى قيادة ذات عقلية واعية وارادة قوية وتمتلك القدرة على التخطيط وادارة الحوار والمفاوضات، والشجاعة على اتخاذ القرارات الصعبة في الوقت المناسب.

الأساس الثالث: يشير اليه في قوله عليه السلام:

«واستصلاح أهلها»:

فهو يعني الجانب السياسي الاجتماعي، والاخلاقي، والاهتمام برعاية شؤون الامة والمجتمع، وضرورة توعية المواطنين على مبادئ الحق والعدل، وارادة البناء، ومشاريع الخير والبر والاحسان، وتنمية مواهبها وقدراتها، وتوظيف طاقاتها في مجال التكافل، والتضامن، والتوازن الاجتماعي، وإشاعة ثقافة الوحدة والاخاء، والتعاون، وترسيخ مفاهيم

التسامح، والمحبة، والإيثار، والانسجام بين جميع المكونات الاجتماعية.

الأساس الرابع: فيعبر عنه عليه السلام بقوله:

«وعمارة بلادها»:

حيث تنفتح للحاكم المتصدي مجالات التنمية، وافاق التطوير، والموضوعات المستجدة، وحركة الحياة والتطور المدني «التكنولوجي»

إلا ان إعمار البلاد على اهميته ودوره الكبير في توفير الخدمات والرفاه الاجتماعي، لا يتوقف عند حدود انشاء المباني والطرق، والجسور، وبناء المستشفيات، والعمارات السكنية المرفهة، وانما هو منهج في التفكير وفي التخطيط والعمل، لا بدّ ان يحكم كل الحياة، من خلال فتح أفاق تنموية رحبة في مجالات التعليم، والصحة، والادب والثقافة، والتكنولوجيا العالية، وتوجيه الامة بكل قطاعاتها الى استثمارها بالشكل الذي يخدم حياة الانسان الفردية والاجتماعية ومراعاة الصالح العام في الحاضر والمستقبل.

شخصية القائد

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ إِيْثَارِ طَاعَتِهِ وَ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَ سُنَنِهِ الَّتِي لا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلا بِاتِّبَاعِهَا وَ لا يَشْقَى إِلا مَعَ جُحُودِهَا وَ إِضَاعَتِهَا. وَ أَنْ يَنصُرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَ يَدِهِ وَ لِسَانِهِ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَ إِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ. وَ أَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَ يَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ اللَّهُ.

يكسر نفسه من الشهوات: يمنعها من ارتكاب المعاصي وفعل المنكرات.

يزعها عند الجمحات: يحبسها ويكفها ويمنعها عن الاهواء والميول والرغبات، مأخوذ من جمح أي: أسرع اسراعا لا يرده شيء، ومنه فرس جموح، والجموح من الرجال الذي يركب هواه فلا يمكن رده.

وفي مطلع هذا العهد الشريف يتناول الامام علي عليه السلام شخصية القائد الذي يدير الدولة ويقود المجتمع، فيجب ان يكون هذا الحاكم الذي يقف على قمة الهرم الاداري، والمنصب السياسي من المتقين العاملين بطاعة الله، والبعيدين عن ارتكاب المعاصي والآثام.

فان التقوى هي الزاد والحصن وصمام الامان لاستقامة شخصية الحاكم، من خلال التزامه الواعي بتطبيق احكام الشريعة، وما يريده الله تعالى، وما ينهى عنه.

لان عكس ذلك معناه ان الحاكم المتصدي يكون عرضة للانحرافات، ونهباً للاهواء والشهوات وبالتالي الى السقوط والشقاء.

فلا بد للحاكم المتصدي لقيادة الامة ان يكون مستقيماً في سلوكه، ثابتاً في نهجه، ورعاً في أحكامه، وتصرفاته، محتاطاً في قضايا الناس، واموره‍م، وان ينصر الله في كل حركة من حركاته، أي ان ينصر دين الله، ويشفق على عباده بقلبه، وعزيمته، ويده، وقوته، ولسانه، وكل جوارحه، ولا شك ان الله سينصره ولا يخذله، فان الله تعالى يقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ محمد.

وهذه المعادلة في باب النصر ليست كلمات تقال، انما هي حقيقة قرآنية، وقانون رباني، فانه تعالى لا يدع أولياءه تحت وطأة الظالمين، ولا يتخلف عن نصرة من ينصره في السراء والضراء.

قال تعالى:

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ المجادلة.

أي ان الله تعالى قوي لا يغلب، وعزيزٌ لا يقهر.

وقال تعالى:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠].

وقوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وروي عن الامام الحسن العسكري عليه السلام قوله:

«اذا اردتَ عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذل معصية الله الى عزّ طاعة الله عزّ وجل»[1].

ثم يختم الامام علي عليه السلام هذا النص من عهده بالتوصية على نقطة مهمة للحاكم، باعتباره عرضة اكثر من غيره لمغريات السلطة، واجواء الحكم، بان يردع الحاكم نفسه عن الشهوات، ويمنعها عن الرغبات المحرمة، ويسعى

(١) اخلاق أهل البيت -للسيد مهدي الصدر/ ١٠٢.

بكل ارادة وعزم ان يكفها عن النزوات والميول والاهواء الجامحة.

فان النفس هي النفس تأمر بالسوء، وترتكب الفحشاء، ولذلك تحتاج الى مزيدٍ من المراقبة، والمحاسبة، والمعاهدة، والا فسوف تركب الشهوات، وتميل نحو المطامع والملذات المحرمة.

وما اصدق قوله تعالى حيث جاء على لسان يوسف الصدّيق عليه السلام:

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾﴾ يوسف.

العبرة من التاريخ

ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَ جَوْرٍ وَ أَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاةِ قَبْلَكَ وَ يَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ وَ إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ.

يحكي هذا النص من العهد الشريف قضية مهمة، وهي ان بلاد مصر من البلدان ذات التأريخ الشائك المعقد، وذلك بسبب تعاقب الدول والحكومات عليها بالعدل والجور.

فلابد للحاكم المسؤول المتصدي من ان يستفيد من تجارب التأريخ، وان لايعيد سنن الحكام الجائرين، لأن الناس تنظر اليه بعين القياس لتلك التجارب التأريخية، والعهود الظالمة.

فالتاريخ ليس سجلاً صامتاً لحياة الماضين، وما تزخر به حياتهم من انتصارات وهزائم، إنما هو دروس وعبر، ومنهج وسنن وقوانين تحكم حركة الاجتماع الانساني، ويدخل في ميدان الفلسفة والسياسة، والتربية، والثقافة والادب والحضارة، وعلى هذا فان التاريخ يشكل مصدراً مهماً لكل هذه الحقول المعرفية والسياسية.

وعلى هذا فيجب على كل حاكم أو مسؤول متصدي

للشأن العام، ان لا يهمل دراسة التاريخ، ولا يتعامل معه بالغفلة والاسترخاء، بل عليه ان يقرأ التاريخ بتمعن وان يتعامل معه بكل وعي ويقظة وتأمل.

وان علامة ذلك في وعي التاريخ، والافادة منه في الحاضر، ألسنة الأمة ورأي الجماهير والجماعات المؤمنة الخيرة فانها مرآة تعكس الحقيقة في مرضاة الله، أو غضبه على هذا الحاكم أو ذاك، وهي سنة من سنن التاريخ وقانون من قوانين النجاح، أو الفشل في الحياة السياسية والاجتماعية.

العمل الصالح

فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَامْلِكْ هَوَاكَ وَ شُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الأَنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ.

الذخائر: ما يختاره الانسان ويجمعه ليوم حاجته.

ومما لاشك فيه ان خير ما يذخره الأنسان لدنياه وآخرته هو العمل الصالح، لأن المال الى نفاد وزوال، وان البنون قد يكون اشقياء غير بارين أما العمل الصالح فهو الرصيد الذي يبقى ليلحق الأنسان المسلم بعد وفاته، وينفعه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم.

قال تعالى:

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ الكهف.

والباقيات الصالحات هي الرصيد الذي يختزنه الانسان في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى، وهي من أعز الذخائر التي يقدمها الانسان بين يدي ربه في يوم حاجته وفاقته.

كما ان أصدق مصاديق العمل الصالح أداء العبادات الشرعية الواجبة والمستحبة، وقضاء حوائج الناس، وملازمة

التقوى، وعدم اتباع الهوى والشهوات، وأما الشح بالنفس عما لا يحل، فهو تعبير دقيق عن الكف والامتناع عن المعاصي من خلال تقوية الارادة والاستقامة والثبات على الحق، وعدم الانحراف أو الانجرار وراء الرغبات والمغريات، أو التثاقل والتراخي والتهاون عن أداء الواجبات والمسؤوليات أمام الله والمجتمع.

قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ النحل.

فأملك هواك وشح بنفسك لان اعلى درجات التقوى هو سيطرة العقل على الاهواء والشهوات والعواطف الميول والرغبات، فإذا تمادى الانسان في اتباع هواه وغرائزه ورغباته الجامحة، وأطلق لنفسه عنان الشهوات، بعيداً عن التعقل والتقوى، فقد يصل الامر به الى الخروج عن دائرة الايمان ويضيع في متاهات الكفر والشرك.

وقال تعالى:

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ الفرقان.

ولا شك ان الانسان لا يتخذ إلهه هواه من أول خطوة في طريق المعصية، إنما بتراكم الذنوب والتوغل في الآثام والموبقات، يتحول بالتدريج من دائرة الإيمان الى الكفر وعلى هذا فان التمسك بالتقوى وعدم الميل مع الهوى كفيل بنجاة الانسان وفوزه بالجنة والرضوان.

قال تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ النازعات.

قيمة الانسان في التشريع الاسلامي

وَ أَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَ الْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَ اللُّطْفَ بِهِمْ وَ لا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَ إِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وَ تَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَ يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَ الْخَطَإِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَ صَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَ تَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَ صَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَ وَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَ اللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلاكَ، وَ قَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وَابْتَلاكَ بِهِمْ.

الرحمة، والمحبة للناس: عنصران أساسيان من عناصر نجاح القائد المتصدي في الأمة، ولقد كان رسول الله ﷺ مشروعاً للرحمة والمحبة لجميع البشر.

قال تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ الأنبياء.

وقال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ آل عمران.

وقال تعالى:

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ البلد.

وروي عن رسول الله ﷺ انه قال: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**»[1].

وعنه كذلك:

«**والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة الا رحيم. قالوا: كلنا رحيم. قال: لا، حتى ترحم العامة**»[2].

وكلما كان المتصدي لشؤون الامة رحيما بالناس، محبا لهم، كان أكثر تأثيرا فيهم، وكانوا أكثر طاعة له، والعكس صحيح، وذلك لأن المتصدي هو جزء من ابناء المجتمع، وأن المجتمع أهله وشعبه، وأبناء أمته.

فعن الامام السجاد عليه السلام قال:

«**يا زهري، وما عليك ان تجعل المسلمين بمنزلة اهل بيتك، فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك، وتجعل صغيرهم بمنزلة**

---

(١) كنز العمال: ح ١٥٦١٤.

(٢) المصدر نفسه.

ولدك، وتجعل تربك، بمنزلة أخيك، فأي هؤلاء تحب ان تظلم؟ وأي هؤلاء تحب ان تدعو عليه؟ وأي هؤلاء تحب ان تهتك ستره؟»(١)

وأما تعبير الامام علي عليه السلام في نص العهد الشريف ـ فانهم صنفان -فهو قانون ينظم طريقة التعامل مع المجتمع بكل اصنافه ومكوناته العقيدية والاجتماعية، على اختلاف انتمائاتهم وألوانهم ولغاتهم، فالناس إما أن يجمعهم الدين، وتوحدهم العقيدة، وإما ان يجمعهم المشترك الانساني الذي يتسع لكل ألوان البشر.

فما أعظم قول أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال حيث يوصي عامله مالك الاشتر، وهو يتولى ادارة بلدٍ واسعٍ ومعقدٍ كمصر، ويقود شعباً متنوعاً في عقائده واتجاهاته الثقافية والسياسية كالشعب المصري الكريم إذ يقول له:

«فَإِنَّهُمْ صِنفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَ إِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»

فمهما كانت نظرة المتصدي، وطريقة تفكيره، وفلسفته في الادارة والعمل، فانه يجب أن لا ينحاز في نظرته،

---

(١) بحار الانوار ٧١/ ٢٣٠.

وتعامله مع فئة دون أُخرى، وان لا يفرق ولا يميز بين أبناء الأمة الواحدة، والوطن الواحد, لأن الناس أما ان يشترك معهم في الدين، واللغة، والتأريخ، والثقافة، والعادات، والتقاليد.

قال الامام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق:

وأمّا حقّ أهل مِلّتك (عامَّةً):

- فإضمار السلامة.
- ونشر جناح الرحمة بهم.
- والرفق بمسيئهم.
- وتألّفهم.
- واستصلاحهم.
- وشكر محسنهم إلى نفسه، وإليك، فإنّ إحسانه إلى نفسه إحسانٌ إليك، إذا كَفَّ أَذاه، وكفاك مؤونته، وحبس عنك نفسه.
- فَعُمَّهم - جميعاً- بدعوتك.
- وانصرهم - جميعاً- بنصرتك.
- وكُفَّ الأذى عنهم

- وتُحبُّ لهم ما تُحبّ لنفسك، وتكرهُ لهم ما تكره لنفسك.

- وأنْزِلُهم - جميعاً- منك منازلهم: كبيرهم بمنزلة الوالد، وصغيرهم بمنزلة الولد، وأوسطهم بمنزلة الأخ، وعجائزهم بمنزلة اُمّك.

- فَمَنْ أتاك تعاهَدْتَه بلُطفٍ ورحمةٍ

- وصِلْ أخاك بما يجبُ للأخ على أخيه.

فعلى الحاكم المسؤول ان يتمتع بصفة العفو، والصفح، والاحسان، وان يستحضر دائماً في علاقته مع الناس، وتعامله مع المجتمع قدرة الله فوقه، فلا يطغى، ولا يتجاوز على حقوق الآخرين، وان لا يغتر بغرور السلطة، وتأثيرها في نفسه، فيصاب بالعجب، والتكبر، والشعور بالمنة على الناس، فانه مهما كانت سلطته، وقدرته، فان الشرع، والقانون فوقه، والله فوق الجميع.

واما أن يشترك معهم في الانسانية، وهو المشترك الأعظم بين جميع البشر، وهذا المشترك لا يسمح للمتصدي مهما كان عذره، وتفكيره، ان يغفل هذا الجانب، أو يتجاهله، وهذا المشترك في الانسانية هو آخر ما توصلت اليه

البشرية واستقرت على تبنيه عبر الاعلان العالمي لحقوق الانسان وميثاق الامم المتحدة.

فالناس صنفان كما جاء على لسان أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الاشتر قبل حوالي خمسة عشرة قرناً من الزمن، وهو مقياس اسلامي وانساني رفيع، يعبر عن نظرة عميقة وشاملة للتعامل مع المجتمع الحضاري في الأطار الاسلامي، وهذه النظرة تتسم بالموضوعية، والتوازن، والعدالة، وهي أرفع وأسمى من نظريات الدولة القومية الحديثة وأفرازاتها العنصرية والطائفية والطبقية، التي ما زالت تعاني منها في عصر النور والتكنولوجيا العالية وزمن الارقام والاتصالات السريعة.

فالإسلام في بعده الحضاري والانساني، قد سبق الامم المتحدة في هذه الرؤية لإقامة الدولة من خلال فلسفة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام وفكره القرآني ونظرته ذات القيم الانسانية السامية.

مخاطر السلطة

وَ لا تَنصِبَنَّ نَفسَكَ لِحَزبِ اللّهِ فَإِنَّهُ لا يَدَ[١] لَكَ بِنِقمَتِهِ وَ لا غِنَى بِكَ عَن عَفوِهِ وَ رَحمَتِهِ، وَ لا تَندَمَنَّ عَلَى عَفوٍ وَ لا تَبجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ وَ لا تُسرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدتَ مِنهَا مَندُوحَةً وَ لا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدغَالٌ فِي القَلبِ وَ مَنهَكَةٌ لِلدِّينِ وَ تَقَرُّبٌ مِنَ الغِيَرِ.

لا يدَ لك بنقمته: أي لا طاقة لك تدفع بها نقمته وغضبه.

لاتبجحنَّ: أي لا تظهر الفرح، والغرور، والأفتخار.

مندوحة: المبرر، والعذر، والمخرج.

الادغال في القلب: قساوة القلب وفساده.

منهكة للدين: التجاوز على احكامه والمبالغة في التعدي على حدوده وحرماته.

تقرب من الغِيَر: أي الإقتراب من التبدل، والتحول

---

(١) وفي نسخة «يدي».

التاريخي نحو حال أخرى.

ان السلطة السياسية واستخدام القوة العسكرية قد توهم الانسان، انه أقوى الأقوياء في الأرض، فيتجرأ على الناس، ويعلن المعاصي، ويبارز الله في سلطانه، غير أن ذلك عين الجهل، والوهم، والمكابرة، لان الانسان خلق ضعيفا، مهما أمتلك من سلطان القوة، فانه لا يحقق كل ما يريد، ولن يستطيع أن يخرق الأرض، أو يبلغ الجبال طولا.

فان القوة والعزة لله جميعا، والله سبحانه لا يغلب في قدرته، وملكه، وارادته, وأن الانسان مهما كان قوياً أو بلغ أعلى درجات العزة، فانه يحتاج الى رحمة الله، وعفوه، وتأييده.

وقد يتخيل الانسان أن الرئاسة والسلطة ملك له، أو حق طبيعي حصل عليه بقدرته، وكفائته، ومواهبه، وهو مأمور ومسلّط، ويجب على الناس طاعته، واتباع أوامره، ورغباته كيفما اتفق، لأنه مؤمر عليهم، وبالتالي فهو القدر الذي لا بد من الاستسلام له.

وهذا الشعور مدخل من مداخل الشيطان لأفساد القلب، وأضعاف الدين، وبداية النهاية والانهيار.

وان التاريخ البشري حافل بالشواهد، والتجارب التي عكست نهاية الدول، والحكومات بسبب طغيان حكامها، وفساد رؤسائها، وهي سنة من سنن التاريخ، وقانون من قوانين الحياة الاجتماعية، والسياسية، وهي تجري على الحكام، والدول والشعوب على حد سواء.

ولهذا ينبغي على الحاكم ان يكون دائماً مع الله، يخشى رقابته ويرجو عفوه ورحمته في جميع اعماله واموره وتصرفاته، لانه مهما بلغ هذا الحكم من القوة والغنى في السلطة والنفوذ فانه لا غنى له ابدا عن رعاية الله ورحمته وتسديده وتوفيقه، وعليه ان لا يندم على عفو او مكرمة قدمها الى الاخرين وكذلك ان لا يغتر باجواء السلطة ومغرياتها، لان ذلك متاع زائل لا يدوم.

وعليه ان يكون عادلاً ومنصفا مع الناس فلا يعاقب الا بالحق وضمن اقامة حدود الشرع، ومصلحة الأمن والنظام العام، لا ان يتشفى أو يفتخر بعقوبة الاخرين وتعذيبهم، فان ذلك لا يفسر الا بالجهل والظلم والانحراف.

وعليه ان لا يتسرع او يتعجل باتخاذ القرارات والاحكم بحق الاخرين طالما يجد ذلك عذرا او تبريرا او مخرجا

«مندوحة» من الشرع أو القانون.

وفي ضوء ذلك فأن من يتطاول على الله في سلطانه واحكامه او يتعدى على الناس الضعفاء من وحي سلطته وجبروته وأهوائه، فانه يعاني من مرض في النفس وفساد في القلب ولوثة في العقل.

غرور السلطان

وَ إِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ وَ قُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ وَ يَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ وَ يَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ، إِيَّاكَ وَ مُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ وَ التَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَ يُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.

يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ: أي يخفض لك من جماحك وانحرافك.

من غربك: من حدتك، وسطوتك، وانفعالاتك.

يَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عنك: أي يرجع إليك بما ذهب عنك من عقلك ورشدك في لحظة الأبهة والعُجب والغرور واختلال التوازن.

يؤكد الامام علي عليه السلام في هذا المقطع من عهده، ووصيته بأن على الحاكم، والمتصدي لادارة شؤون الناس، ان يراقب نفسه، وموقع سلطته باستمرار، ومن دون غفلة، حتى لا يصاب بالغرور، والابهة، والخيلاء، بسبب بعض

الانجازات العامة، أو مدح وسائل الاعلام، واطراء بعض الوصوليين والنفعيين من ذوي النفوس الضعيفة، فقد يتصور الحاكم، او المسؤول جهلاً منه، أنه وهو في نشوة الخيلاء والسلطة، أنه يستطيع أن يتطاول على القيم والمقدرات، أو يبارز الله في قدرته وعظمته.

وهنا يجب ان يتذكر عظمة الله، وقوة سلطانه، فان ذكر الله، واستحضار قدرته، وقوته من شأنه ان يكفكف الغرور، ويخفف الحدة والانفعال غير المبرر، ويعيد للأنسان عقله، وتوازنه، ورشده لحقيقة ما هو عليه، من الضعف والحاجة إلى الله وتوفيقه وتسديده، فان الغفلة عن ذكر الله تعني عدم الوعي والطيش في الاحلام الفارغة.

فان الله تعالى طالما أذل الطغاة المستبدين، وأهلك الفراعنة.. والحكام، والمفسدين، بسبب سوء أعمالهم، وظلمهم، واضطهادهم للناس.

قال تعالى:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾﴾ القصص.

وقال تعالى:

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ عمران.

الانصاف وعدم الظلم

أَنصِفِ اللَّهَ وَ أَنصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَ مِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَ مَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلا تَفعَلْ تَظْلِمْ وَ مَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ وَ مَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَ كَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ[١] وَ لَيسَ شَيءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَ تَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ[٢] دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَ هُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ.

ان مسألة الإنصاف، والعدالة، والتعامل بالقسط وعدم الانحياز غير الموضوعي مع الاشياء والاخرين، مسألة اساسية مهمة في حياة القادة السياسيين والمسؤولين عن الشأن العام، وانصاف الله يعني الالتزام بحقوقه سبحانه وتعالى.

قال الامام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق:

«فأما حق الله الاكبر عليك، فأن تعبده ولا تشرك به شيئاً، فاذا فعلت ذلك باخلاص جعل لك على نفسه ان يكفيك أمر الدنيا والاخرة ويحفظ لك ما تحبُّ منها»

---

(١) وفي نسخة «ويتوب» وهو أولى إذ ليس المقام مقام تخيير.

(٢) وفي نسخة «يسمع».

ومن هنا يجب على المسؤول المتصدي ان يلتزم بها، ومن الجدير بالذكر أن الامام علي عليه السلام في هذا العهد المبارك، وغيره من كتبه، وكلماته، يؤكد دائماً على مسألة العدالة، والانصاف، وعدم الظلم، والاستبداد خصوصاً للقادة المتصدين لادارة شؤون الدولة، والمجتمع، والانصاف لله تعالى يعني؛ اتباع أوامره ونواهيه، وعدم التهاون بها، أو التجاوز عليها.

وأما انصاف الناس، وابناء الوطن، وخاصة اصحابك، ومحبيك، هو اعطاء كل ذي حق حقه، بعيداً عن التمييز والتفرقة، والتحيز غير الموضوعي.

كما ينبغي على المسؤول ان يكون الانصاف ليس من قبل نفسه فحسب، بل لا بد ان يكون الانصاف منه ومن اهله وحاشيته والمقربين اليه، وعليه فان الانصاف اساس متين لديمومة النعمة، وبقاء السلطة، والذكر الخالد الطيب.

وأما عدم الانصاف وهو الظلم لله، ولعباده، فانه يقرّب من زوال النعمة، وسبب لتعجيل النقمة والعقاب.

فلا بدّ للانسان من الشفقة على الناس، والرحمة بالرعية والعباد، وان يتذكر دائماً ان الله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة، وأنه يراقب كل سلطان ومسؤول، ويسمع دعوة المعذبين، والمضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد.

التوازن بين الخاصة والعامة

وَ لْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقّ وَ أَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَ أَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَ إِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ، وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَئُونَةً فِي الرَّخَاءِ وَ أَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاءِ وَ أَكْرَهَ لِلأَنْصَافِ وَ أَسْأَلَ بِالأَلْحَافِ وَ أَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الأَعْطَاءِ وَ أَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ وَ أَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وَ إِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَ جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَ الْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ[١] لَهُمْ وَ مَيْلُكَ مَعَهُمْ.

سخط العامة: غضب جماهير الامة وعدم رضاها.

واسأل بالالحاف: اي اكثر طلبا والحاحاً، وفي الحديث: «ان الله يبغض السائل الملحف اي الملح بالطلب او المسألة»[٢]

ملمات الدهر: مصائب الدهر ودواهي الزمان.

صغوك لهم: الاهتمام بهم والاستماع اليهم باصغاء

(١) وفي نسخة «صفوك» بالفاء لا بالعين.

(٢) مجمع البحرين/ مادة «لحف».

يجحف: مأخوذ من الاجحاف، ومعناه النقص الفاحش، وأجحف به أي كلفه ما لا يطاق.

أراد الامام عليه السلام في هذا النص أن يعطي لمالك الأشتر قاعدة إجتماعية عامة، يضعها نصب عينيه في ادارة البلاد، وهي اتباع منهج الاعتدال، والوسطية، والتوازن في اطار الحق، وهو معنى الأمر الوسط في كلامه عليه السلام.

قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

الوسط هنا كما قال الراغب في المفردات: القصد المصون عن الافرا ط والتفريط فيمدح به نحو السواء والعدل والنصفة(١).

فيجب على الحاكم والمسؤول المتصدي للشؤون العامة أن يكون العدل هدفه الذي يجب ان يسود العباد ويعم البلاد، لان نظام العدل والمساواة امام القانون مطلب الانبياء وغاية العقلاء، وهو حلم الفقراء والمحرومين والمضطهدين، فإذا تحقق الحق في إطار التوازن والوسطية والاعتدال، وإذا

---

(١) المفردات/ مادة «وسط» ص ٨٦٩.

عم العدل وشاع ميزان القسط، يكون ذلك اجمع لرضى الرعية، وأقوى على توحيد كلمتها وتحشيد طاقاتها في بناء الحياة وسعادة الانسانية.

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ النحل.

فهذه الآية الكريمة منهج عمل، وهي أجمع آية لأصول الاخلاق ومبادىء العمل السياسي والاجتماعي في الحياة العامة.

وبعد ذلك يؤكد الامام عليه السلام في هذا النص من عهده الشريف على أهمية جماهير الامة والسواد الاعظم من الناس، ودورهم وأثرهم في دعم الدولة، وفرض سيادة القانون، واسناد الحاكم، قياسا الى دور الخاصة وهم «الحاشية»، أو النخبة التي تحيط بالحاكم، أو المسؤول أو المقربة عنده، مستندا في ذلك الى قانون تاريخي في المجال السياسي، والاجتماعي، وهذا القانون هو انه كلما حقق الحاكم العدل، والانصاف في الأمة، وكسب رضا الجماهير العامة، يكون ذلك أدعى لبقاءه، وأضمن لاستقرار بلاده.

أما اذا أهمل الحاكم المتصدي -من وحي الجهل او الغرور -هموم الجماهير، والعامة من الناس، وانصبَّ اهتمامه لخدمة النخبة «الخاصة» ورعاية شؤونهم الشخصية فحسب على حساب مبادئ الحق، والعدل، الى درجة انه يبالغ في تقديم الخاصة على العامة، فانه يعرض نفسه لنقد واحتجاج الجماهير العامة وسخطها وثورتها.

كما انه يضع البلاد على حافة السقوط، أو يجعلها في قلق دائم، وعدم استقرار، وبالتالي زوال الحكم والدولة.

لهذا يضع الامام علي عليه السلام تشخيصاً دقيقاً لهذه الفئة الخاصة «الحاشية» التي تحيط بالحاكم والمسؤول، ويرسم صورة واقعية لهذه النخبة التي تستغل موقعها ووجودها في الدائرة الخاصة للحاكم، فهي كثيرة الالحاح والمطالب في أيام الرفاه، وثقيلة في طلب الحاجات الشخصية، وهي لا تقدم أي عطاء، او تضحية في أيام العسرة والبلاء. وقد تخون الحاكم في ايام الشدة، او تتركه وحده يعاني المحنة في مواجهة الاخطار، وهي لا ترغب في اقامة العدل، والانصاف، وتطبيق القانون، لان ذلك يكشف زيفها، ويظهر واقعها على حقيقته، وانها لتشعر بالضيق، والتذمر الشديد من حالات النقد ومحاولات التصحيح، والمصارحة، واقامة أحكام الشرع، والقانون ونظام العدل والمساواة.

واذا سألت هذه الفئة «الخاصة» شيئاً فانها تبالغ بالطلب وتواصل الالحاح الممل حتى تحقق ما تريد، وهي بعد ان تحصل على مآربها لا تشكر العطاء ولا تقدر قيمته.

اما اذا تعذر على الحاكم تلبية حاجاتها ورغباتها، فانها لا تعذره، وقد تحمل عليه حقداً، وكرها، ولذلك فان هذه الفئة الخاصة «الحاشية» تكون دائماً اقل صبراً، واضعف تحملاً في مواجهة المحن، والتحديات التي يتعرض لها الحكم والحاكم.

وفي ضوء ذلك نستطيع أن نقول أن الخاصة يتلخص دورها بتقديم المشورة للحكام، والمساهمة في وضع الخطط، ورسم السياسة، والمشاريع العامة، واعانة الحاكم على ادارة الدولة، وتحقيق متطلبات المجتمع، لا أن تتحول «الخاصة» الى عبيء ثقيل وفئة نفعية تستغل الحاكم لتحقيق مآربها الشخصية، واكتساب المزيد من الأموال والثروات على حساب الأمة، وتتدخل في مجالات واسعة في اطار ادارة الدولة وتوجيه المجتمع.

وأما العامة من الناس «الجماهير» فانها وان كان معظمها من الطبقات الفقيرة، وليس لها دور مباشر في ادارة الدولة، ولا تعنى بالشأن السياسي والتخطيط للمشكلات الاقتصادية

والأمنية في البلاد، الا أنها تمثل القاعدة الصلبة لبناء الدولة، والرصيد الضخم لمواجهة التحديات، فاذا أحست بالأجحاف، وتعرضت للحرمان والقسوة والظلم المتعمد، فانها تكون القوة الحاسمة التي تنفجر لتسقط الحاكم، ونظام الحكم، وحينئذ لا ينفع، ولا يشفع للحاكم خاصته، وحاشيته.

فلا بد للحاكم من أن يستوعب بوعي دور العامة من الناس، وان يهتم بقضاياها، لأنها تمثل العنصر الثابت في المعادلة السياسية والاجتماعية، وتعبر عن الواقع المؤثر، بل انها القدر الذي لا يتغير في مسيرة الدولة وبناء الحضارة.

واما الخاصة ـ الحاشية ـ فان الحاكم يستطيع ان يستبدلها بعناصر كفوءة أخرى غيرها، وحينئذ لا يتأثر حكمه ولا يزول سلطانه، ومن هنا فان فلسفة الحكم ووجوده هو لخدمة العامة من الناس، فيجب على الحاكم الناجح والقائد المسؤول ان يصغي جيداً لمتطالباتهم وحاجاتهم، وان تكون مشاعره واحاسيسه معهم لا مع غيرهم.

ومن هنا يتضح الفرق بين الخاصة والعامة في حماية الدولة وقيادة ورعاية شؤون المجتمع من خلال رسم المعادلة المرتسمة بينهما كما ينص العهد الشريف وهي ما يأتي:

أولا: صفات الخاصة:

- ثقيلة في الرخاء
- قليلة المعونة والتضحية في البلاء والمحن
- تكره اقامة العدل و الانصاف
- كثيرة الالحاح في المطاليب الشخصية
- قليلة الشكر عند الاعطاء والتكريم
- سيئة الظن وبطيئة العذر في حالة المنع من العطاء والتكريم
- ضعيفة الصبر عند الازمات والمشكلات

ثانيا: صفات العامة:

- قوة للدين وقاعدة للإسلام
- أساس المجتمع الاسلامي ووحدته وانسجامه وتلاحمه
- القوة الرادعة للاعداء

التغافل عن عيوب الرعية

وَ لْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنكَ وَ أَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنكَ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ.

اشناؤهم : أبغضهم

من الامور التي يبتلي بها الحاكم في ادارة الدولة هي كثرة المتصيدين بالماء العكر، وهم السعاة الذين يبحثون وراء المسلمين والمخلصين لمعرفة عيوبهم، ونقاط ضعفهم لغرض كشفها، وفضحها أمام الحاكم، والمسؤول تزلفا له، وتقربا لموائده، وعطاياه.

فعلى الحاكم ان يترفع عن الاستماع الى هؤلاء المرضى، ويبعدهم عن دائرة عمله، وادارته، ويستر على الناس عيوبهم، وان يتمتع بالحلم، والتغافل عن هذه العيوب، ولا ينشغل بها، فان الاصغاء لهذه الوشايات والتأثر بها لا يليق بذوي النفوس الكبيرة ورجال الدولة وقادة المجتمع، ولا ينسجم مع موقعهم الحساس

ومهماتهم العامة، انما مهمة الحاكم هي ستر العيوب، وحفظ الحرمات، والتغافل، أو التغابي عن الجزئيات والصغائر.

قال الشاعر:

لـيـس الـغـبـي بـسـيـدٍ فـي قـومـهِ
بـــل إنّ سـيـــدَ قـــومـــهِ المتـــغـــابي

وهذا لا يعني ان يظل الحاكم والمسؤول في غفلة دائمة عما يجري حوله وفي دائرة عمله، فيجب ان يفتح عينيه ويراقب بوعي الاشخاص والاحداث والتحركات، وعليه ان يجمع المعلومات، ويختزن الملاحظات، الا انه لا ينبغي ان يتعجل في الاحكام ووالقرارات، فليس من مسؤوليته ان يكشف ما وراء ظواهر الأشياء، إذا كان ذلك لا يؤثر على مسيرة عمله، فان المهم ان يحقق أهدافه المرسومة دون الانشغال بالجزئيات والشائعات.

خطر أهل الغش والنميمة

أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ وَ اقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ وَ تَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لا يَضِحُ لَكَ وَ لا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَ إِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

ان أعظم ما يقدمه الحاكم لأمته هو ان يسير معهم بسيرة حسنة تمنحهم الثقة والمحبة، وتعمق في نفوسهم التآخي والتكافل، وان يعمل على ازالة عناصر الكراهية، والعداء من خلال تربيتهم على المكاشفة، والمصارحة، وعدم اختزان الرأي، والملاحظات، التي من شأنها أن تتحول الى احقاد وضغائن، سواء أكان على الحاكم والمسؤول، أم على بعضهم البعض.

وما أجمل قوله الامام علي عليه السلام:

«أطلق على الناس عقدة كل حقد»

فإن من مهمة الحاكم والمسؤول المتصدي ان لا يكرس الاحقاد والضغائن في نفوس أهله وشعبه، وأن لا يكون جزئاً سلبياً من الصراعات والنزاعات بين الاشخاص والجهات، بل عليه ان يكون مشروعاً للحب والتسامح، وان يساهم بوجوده وفكره ومواقفه في أشاعة ثقافة الاخاء

والتواصل والتلاحم وعدم التدابر والتنافر بين الناس، وعليه ان يكون عاملاً من عوامل تهيئة المناخ الطاهر بين المؤمنين من خلال إقتلاع جذور الأحقاد وروح الثأر والأعراف الجاهلية التي تساعد على القطيعة وتعمق والأنانية.

فان دور الحاكم هو تهيئة الاجواء الاجتماعية، والثقافية الطيبة التي تعمق المودة، و ترسخ التآلف والمحبة بين أبناء المجتمع الواحد، وان لا يتسرع الحاكم، أو المسؤول الى تصديق كل ما ينقله السعاة، وأهل الغش، والنميمة, لأن الساعي قد يكذب، ويفتري، ويخلط الحق بالباطل.

لانه ان كان صادقاً فيما يقول، فهو المغتاب الذي يأكل لحم أخيه ميتاً، وان كان كاذباً فهو المفتري الذي يبهت اخاه، والافتراء من اشد الكبائر والذنوب.

وفي هذا الأمر يجب على الحاكم أن يتحلى بوعي، وبصيرة، وحكمة وقدرة على الفرز والتشخيص، لأن السعاة، والمفترين يجيدون صناعة الكذب، ويحسنون التقرب للحاكم بالكلمات المعسولة والالفاظ المزخرفة. غير انهم منافقون وان تشبهوا بالناصحين على حد تعبير الامام عليه السلام .

خطورة البخلاء والجبناء وذوي الحرص

وَ لا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ وَلا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الأمُورِ وَ لا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَ الْجُبْنَ وَ الْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ.

البخل: الشح، وعدم العطاء، وهو ضد الكرم، والسخاء.

الجبن: ضعف القلب، وعدم الشجاعة.

الحرص: هو الشره والجشع وعدم القدرة على مقاومة النفس على حب المال وجمعه كيفما اتفق وهو أسوء حالاً من البخل.

لابد للحاكم المتصدي، والمسؤول عن الشؤون العامة ان يستعين بمجموعة من المستشارين، والخبراء، وذوي الرأي، والحصافة، يقومون بعملية الترشيد، والتقويم لمسيرة العمل، والنصيحة وتسديد الاعمال، والمشاريع والخطط والبرامج، واعانة المسؤول على أمره، وادارة مكتبه ومؤسسته، بأسلوب صحيح ومتقن.

لأن المسؤول مهما كان يمتلك من المؤهلات،

والقدرات الذاتية، فانه لا يستطيع لوحده أن يدير شؤون الدولة، والسياسة، أو المؤسسات الثقافية، والاجتماعية العامة، وهذه سنة طبيعية لا يستغني عنها أي مسؤولٍ في مجالات العمل والحياة الاجتماعية، قال الشاعر:

اقـرن بـرأيـك راي غـيـرك واسـتـشـر
فـالحـق لا يخـفـى عـلى الاثـنـينِ
لـلـمـرء مـرآةٌ تـريـهِ وجـهـهُ
ويـرى قـفـاه بـجـمـع مـرآتـينِ

وقال شاعر آخر:

شـاور سـواك اذا تـأتـيـك نـائـبـةٌ
فـالـعـين تـنـظـر مـنـهـا مـا دنـا ونـأى
يـومـا وان كـنـت مـن اهـل الـبـيـوتـاتِ
ولا تـرى نـفـسـهـا الا بـمـرآةِ

إلا ان هذه الاستشارة ليست كلمات مجاملة فارغة، انما هي تعبير عن الصدق في النصيحة، والشعور بالمسؤولية، فلا بدّ للشخص المستشير اذا شاور العقلاء المخلصين المحبين ان يلتزم برأيهم ويأخذ بمشورتهم.

جاء في رسالة الحقوق للامام زين العابدين عليه السلام

« **وأمّا حقّ الناصِح:**

- فان تُلين له جناحك.

- ثمّ تُشَرئب له قلبك، وتفتح له سمعك، حتى تفهم عنه نصيحته.

- ثمّ تنظر فيها: فإنْ كانَ وفِّق فيها للصواب حمدت الله على ذلك، وقبلتَ منه وعرفتَ له نصيحته.

- وإن لم يكن وُفِّقَ له فيها رحمتهَ، ولم تتّهمهُ، وعلمتَ أنّه لم يألُك نصحاً، إلاّ أنّه أخطأ، ولم تُؤاخذه بذلك إلاّ أن يكونَ عندك مستِحقّاً للتهمة، فلا تعبأ بشيءٍ من أمره على كلّ حال. ولا قوّة إلاّ بالله».

هكذا يجب ان يتعامل المسؤول مع الناصح والمستشار يستمع إليه بكل أصغاء، وينفتح على نصيحته بكل جدية، ويحمد الله على توفيقه لاتباع الصواب، ولا يستخف به الا اذا كان الناصح متهماً في نصيحته ويحمل مرضاً في قلبه، فحينئذٍ لا يؤخذ بكلامه، ولا يُعبأ بشيء من أمره على حد تعبير الامام السجاد عليه السلام.

وروي عن الامام الهادي عليه السلام انه قال:

«من جمع لك ودّه ورأيه، فاجمع له طاعتك»[١]

غير ان الرجالات التي على الحاكم ان يستشيرها ويعتمد عليها، ويستعين بها في مهماته، ومسؤوليته ان تكون على مستوى عال من صفات النبل، والايمان، والكرم، والشجاعة، والشعور بالمسؤولية، بعيدا عن التعقيدات الشخصية، والامراض النفسية، والحالات المزاجية، وعلى هؤلاء المستشارين ان يكونوا صادقين في نصيحتهم وتسديدهم، لان الحديث الشريف يقول:

«الدين النصيحة. قيل لمن يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: لله ولرسوله ولائمة المسلمين»

وقال صلى الله عليه وآله كذلك:

«لينصح الرجل منكم اخاه كنصيحته لنفسه» [٢]

ومن هنا يجب ان يبعد المسؤول عن دائرة شؤونه واعماله ثلاثة أصناف من المستشارين وهم:

---

(١) اعلام الهداية: ١٢/ ٢٣٧.

(٢) المحجة البيضاء/ ٤٠٦.

١- **البخيل**: وهو الرجل الذي يدعو الى التخلف، والامساك، وعدم العطاء والكرم، في كل موضوع، او مجال يجب فيه السخاء والعطاء فيه على الناس، بحجة ان ذلك يسبب الفقر للحاكم، او يحدث النقص أو الخلل في ميزانية الدولة، او بيت مال المسلمين.

ومن علامات البخيل قلة الاصدقاء، وكثرة الاعداء، وقلة الراحة والسعادة، والوقوع في الحرام، بسبب عدم اعطاء الحقوق الشرعية الواجبة، وقد يؤدي مرض البخل الى قطيعة الارحام.

والبخيل يعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الاخرة حساب الاغنياء.

قال الامام علي عليه السلام:

«ليس لبخيل حبيب»[1]

٢- **الجبان**: وهو ضعيف القلب، والمتردد عن مواجهة الواقع وتحدياته، وهذا الصنف من الناس لا ينبغي اشراكهم في تقرير الامور العامة، لان الادارة

---

(١) ميزان الحكمة ١/ ٢٣٢.

لا تخلو غالبا من مواقف صعبة تحتاج الى شجاعة، وعزيمة، وقوة قلب، واقدام من دون تراجع، أو نكوص، ووجود الجبناء في دائرة القرارات العامة يؤدي الى ضعفها وعرقلتها.

والجبن عارٌ ومنقصة ويتنافى مع الايمان، وهو لا يكون الا عند ضعاف النفوس، فروي عن الامام الباقر عليه السلام انه قال:

«لا يكون المؤمن جباناً ولا حريصاً ولا شحيحاً»(١)

وعن الإمام علي عليه السلام انه قال:

«شدة الجبن من عجز النفس، وضعف اليقين»(٢)

ومن اقبح انواع الجبن هو التحاشي عن الخصوم والاعداء الحقيقيين، والابتعاد عن اثارتهم، والجرأة والتطاول على الضعفاء، والاصدقاء، واصحاب الفضل والوفاء.

فقد سئل الامام الحسن عليه السلام ما الجبن؟

قال: **«الجرأة على الصديق والنكول عن العدو»**(٣)

---

(١) البحار: ٧٥/٣٠١.

(٢) غرر الحكم: ٨٩.

(٣) البحار: ١٠٠/٤٩.

٣- **الحريص**: وهو ذو الجشع والشره والشحيح المفرط، والمبالغ في البخل وتجميع المال، وعدم انفاقه، وهو أسوأ من البخيل، لأن البخيل يخشى الفقر، والفاقة، اما الحريص فهو البخيل الذي يبخل على نفسه، ويمنع غيره من العطاء والسخاء.

وقد يتجاوز الحريص على أموال الآخرين بالتعدي والظلم، لانه لا يملك ارادته امام غريزة حب المال، والحرص اقوى شعب حب الدنيا، وكله ذم ومهانة.

قال الامام علي عليه السلام:

«الحرص ينقص قدر الرجل ولا يزيد في رزقه»(١)

وعنه كذلك:

«الحريص فقير ولو ملك الدنيا بحذافيرها» (٢)

ولا يفلح الانسان الا بازالة مرض الشح، والحرص من داخل ذاته.

---

(١) ميزان الحكمة ١/ ٥٦٥.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٥٦٦.

قال تعالى:

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩﴾ الحشر.

وهذه الأصناف الثلاثة:

«البخلاء، والجبناء، وذوو الحرص «الشحّ»

وان بدت ذات طبائع مختلفة، الا انها تشترك بمحور واحد، وهو سوء الظن بالله تعالى، وعدم الثقة بما عنده من عطاء، لأن البخيل لا يعطي من ماله، لانه يعتقد ان العطاء خسارة، والجبان لا يجود بنفسه، في ساحة المعركة المقدسة لانه يعتقد انه يخسر الحياة الدنيا، والحريص لا يعطي ويمنع غيره من العطاء، لانه يعيش عقدة عدم العطاء حتى اصبح خشبة يابسة لا حياة فيها ولا ثمار.

وهؤلاء المرضى الثلاثة، يجب أن يعزلوا عن دوائر العمل العام، ومؤسسات الدولة، والمجتمع وقيادات الاحزاب، والجمعيات والنقابات والاتحادات المهنية، لأن وجودهم يعرقل مسيرة الحياة، ويمنع مشاريع البناء والتطوير والتنمية من التقدم والازدهار.

مساوىء وزراء الأشرار

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً وَ مَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ فَلا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثَمَةِ وَ إِخْوَانُ الظَّلَمَةِ وَ أَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَ نَفَاذِهِمْ وَ لَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَ آثَامِهِمْ[1] مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ وَ لا آثِماً عَلَى إِثْمِهِ أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَئُونَةً وَ أَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً وَ أَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً وَ أَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً، فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَ حَفَلاتِكَ ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ وَ أَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لأَوْلِيَائِهِ وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ.

الوزير: مأخوذ من الوزر وهو الحمل والثقل، والوزير هو الشخص الذي يحمل ثقل الملك أو الرئيس ويعينه برأيه في ادارة بلاده، ويساعده على حكمه، وتنفيذ خططه، ومشاريعه العامة.

---

(١) «آثامهم» لا توجد هذه الكلمة في بعض النسخ، لا سيما وان الآصار بمعنى الآثام.

البطانة: الهيئة الخاصة المقربة من الحاكم «الحاشية»

آصارهم: ذنوبهم وآثامهم.

أقولهم بمر الحق: أشجعهم بقول الحقيقة وأصدقهم في النقد والنصيحة للرئيس والمسؤول، ولا يخشى في ذلك لومة لائم.

بعد أن تناول الامام علي عليه السلام الشخصيات ذات النزعة السيئة، التي لا ينبغي أدخالها في الرأي، والمشورة، وهم البخلاء والجبناء وذوو الحرص والشح والطمع، أعقب بعدها في حديثه عن الوزراء، وهم السلطة التنفيذية في الدولة، وادارة الشأن العام، وقد حذر الامام علي عليه السلام من الصنف السيء من الوزراء، وهم الذين كانوا، وزراء لحكومات ظالمة سابقة شاركتها في الظلم والجرائم، فيجب أن لا يكونوا «حاشية»، وبطانة تحيط بالحاكم، وتعتاش على موائده، لانها تذكر الناس ببقاء الظلم، واستمرار نظام الجريمة والعدوان.

كما أن إبعادهم وعزلهم عن العمل السياسي، والاداري، لا يشكل فراغا في الوضع السياسي للدولة، أو تهديدا لنظام الحكم والادارة، ما دامت الأمة تمتلك طاقات، وكفاءات واعية مخلصة، لم تتلوث أيديها

بالآثام، ولم تشترك بجرائم الفساد الاداري، والمالي، والاجتماعي في العهود السابقة.

وان سنة التاريخ اثبتت ان الحياة لا تتوقف، وان الدول وانظمة الحكم لا تبقى في فراغ أو تتعطل بغياب شخص أو فئة مهما كان وزنه كبيراً، وخبرته واسعة.

وان هؤلاء الوزراء المخلصين والمسؤولين الجدد هم أكثر معونة للحاكم، وأصدق في الاخلاص له، وهم أقل كلفة ومؤونة عليه، لأن اندفاعهم للعمل يمنحهم الخبرة والوعي، وان قلوبهم المؤمنة تنطوي على الحب والرحمة، والاخلاص، للحاكم والأمة معاً.

وانطلاقا من هذه الحقيقة فان على رئيس الحكومة وقائد الدولة ان يتخذ من هؤلاء الوزراء المخلصين الجدد، جماعة خاصة يخلو معهم في مجالسه، ويستمع الى ملاحظاتهم، ونقدهم البناء، وينفتح على افكارهم ومقترحاتهم، ومشاريعهم الخاصة والعامة، وعليه ان لا يضيق أو يتأزم من قولهم الحق ونقدهم الشديد في بعض الاحيان، لأن دوافعهم مخلصة للدين والوطن، وقلوبهم مشفقة على الحاكم، وبعيدة عن التملق والمجاملات الكاذبة.

لا سيما وان طموح الحاكم واهدافه هي لخدمة الناس

ضمن مشاريع عامة يتم التخطيط لها من قبل الخبراء والموظفين المخلصين في الدولة، فعلى الحاكم ان يتقبل نقد الوزراء الاكفاء الواعين، وان يقوم بتنفيذ مشاريعهم التي هي مشاريع لخدمة الناس وبناء مؤسسات المجتمع.

أهل الورع والصدق

وَ الْصَقْ[1] بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَ الصِّدْقِ ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلا يُطْرُوكَ وَ لا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ فَإِنَّ كَثْرَةَ الأَطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَ تُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ.

رضهم: أي عوّدهم، ودربهم على عدم المدح والاطراء.

يبجحوك: أي ينسبون لك أعمالاً وانجازات لم تفعلها أنت لمجرد ادخال السرور والبهجة عليك، وهو عملٌ قبيح.

ان خير الحكام، والرؤساء الذين يختارون في دوائر اعمالهم، ومواقع مسؤولياتهم العناصر الصالحة، والصادقة، والكفوءة، والملتزمة باحكام الشرع والقانون، ويضعونهم في مواقع متقدمة، وحساسة من مواقع الادارة والمسؤولية.

ولا شك ان الامة وابناء المجتمع حينما يجدون جماعة الحاكم والمسؤول، والمقربين لديه من ذوي الصدق، والصفات الحسنة، والسجايا الحميدة، والكفاءة العالية، فانهم يلتصقون به ويلتفون حوله، ويكونون اكثر طاعة له،

(١) وفي نسخة «الصق».

واشد التزاماً بأوامره، وتعليماته، ومواقفه.

روي عن النبيﷺ انه قال:

«عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر، وان البر يهدي الى الجنة، وإياكم والكذب، فان الكذب يهدي الى الفجور، والفجور يهدي الى النار»(١).

فعلى الحاكم والمسؤول ان يركن في علاقاته، ومسؤولياته الى أهل الدين والورع والصدق، الذين يخشون الله فيما يقولون ويفعلون، وان يلازم مجالستهم، ومشاورتهم، وذلك لخطورة الموقع الذي يحتله، وحساسية الاعمال، والمشاريع التي يقوم بها، فاذا احاط نفسه بمجموعة من ذوي الكذب، والنفاق، والتزوير فانه لا يستطيع أن ينجز أعماله بدقة وبصورة صحيحة، ولا يمكن ان يؤدي مهماته بنجاح وكفاءة.

كما أن على الحاكم الذي يتصدى للشؤون العامة ان يمنع أصحابه، والمقربين اليه من الافراط بمدحه بمناسبة وبدون مناسبة، وأما الاطراء الكاذب والتبجح بانجاز المشاريع المزيفة، فأنه من أشد القبائح في مسيرة الحاكم

(١) ميزان الحكمة ٣/ ٢٦٧٥.

والمسؤول حيث ينسبون اليه اعمالا، ومشاريع لم يقم بها، وليس له علاقة بانجازها.

لأن ذلك يوجب انتفاخ الشخصية، ويؤدي الى التورم، والغرور، والعجب، وهي أمراض خطيرة تقرب نهاية الحاكم، وتمزق الحكم، والادارة، واختلال الموازين، وبالتالي ضياع المؤسسة، وانهيار الدولة.

الميزان في التعامل والتقييم

وَ لا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَ الْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الاحْسَانِ فِي الاحْسَانِ وَ تَدْرِيباً لأَهْلِ الاسَاءَةِ عَلَى الأَسَاءَةِ وَ أَلْزِمْ كُلاً مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ.

ان من مهمة الحاكم، والمتصدي لمسؤوليات الشأن العام، ان يعتمد الموازين الشرعية، والمقاييس الموضوعية في تقييم الاخرين، لا أن تكون نظرته، وتقييماته للاشخاص العاملين معه، واحدة لا تمييز فيها، ولا تقدير.

قال تعالى:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ الزمر.

وقال تعالى:

﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ الحديد.

وقال تعالى:

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ۝١٨﴾ السجدة.

فلا يمكن ان يتساوى الجاهل والعالم، والظلمة والنور، والخير والشر والمحسن والمسيء.

وهذا قانون ذكره الشرع الشريف، وأقره العقل والعقلاء في ضوء الفطرة الانسانية، وهو المقياس، والميزان لنظام الثواب، والعقاب في الاسلام.

لأن اهمال نظام الثواب، والعقاب، وعدم الشكر والتقدير تضييع للمواهب، وبخس لأهل الاحسان والعطاء، وتشجيع للمسيئين على الاستمرار في طريق الاساءة.

الاحسان وحسن الظن بالرعية

وَ اعْلَمْ أَنَّهُ لَيسَ شَيءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَ تَخْفِيفِهِ الْمَئُونَاتِ عَلَيْهِمْ وَ تَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيسَ لَهُ قِبَلَهُمْ فَلْيَكُنْ مِنكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنكَ نَصَباً طَوِيلاً وَ إِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاؤُكَ عِنْدَهُ وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاؤُكَ عِنْدَهُ.

نصباً طويلاً: تعباً كثيراً.

ان مسألة حسن الظن بالرعية من قبل الحاكم تنبع من عملية الاحسان والتكريم لهم، وهي تعبر عن العلاقة الوثيقة والثقة العميقة المتبادلة بين الحاكم ورعيته.

وبتعبيرٍ آخر لا يأتي من الفراغ إنما هو حقيقة يجسدها السلوك العملي في شخصية الحاكم من خلال احسانه وحبه لرعيته وتجربته الميدانية معهم.

وعلى هذا الاساس لا بدّ للحاكم والمسؤول من أن يبادر بالاحسان على رعيته، والجماعة التي تعمل تحت يده، وعدم تكليفهم بالمهمات الصعبة التي يثقل عليهم أداؤها، وان ينطلق هذا الاحسان من اشاعة حسن الظن من قبل

الحاكم بالرعية، وعدم التشكيك بها، لأن سوء الظن وحالة الاتهام والتشكيك بالاخرين يوجب التعب الطويل المستمر للحاكم، والمسؤول المتصدي، فلا يجعله يتقدم في برامجه، ولا يستطيع ان ينجز اعماله ومشاريعه العامة.

ولهذا فليس هناك من شيء أقوى وأدوم للعلاقة والثقة بين المسؤول، والعاملين معه من الحب النابع من حسن الظن، والاحسان الذي يأتي من خلال التجربة، وحسن الاختبار، والممارسة العملية وخصوصاً في المواقف الصعبة، وعلى هذا فان من أحسن الظن بك، فقد أحبك ومن أحبك، فقد أحسن اليك والعكس صحيح.

ذكر بن ابي الحديد رواية طريفة وهي:

«ان احد خلفاء بن العباس قال لرجل اطلب حاجتك فقال: يا أمير المؤمنين أريد ان تحب ولدي، فأجابه الخليفة: كيف احب ولدك؟ والحب من افعال القلب وهو ليس بيدي. قال ان الامر سهل يا أمير المؤمنين.. قال: كيف؟ قال الرجل: ان تحسن الى ولدي، فإذا احسنت اليه أحبك، واذا احبك أحببته»[١].

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة- لابن ابي الحديد ج ١٧ بتصرف.

نعم بهذه البساطة يستطيع الحاكم والمسؤول في أي مؤسسة ان يتحبب إلى كل العاملين معه وان يزرع حبه في قلوبهم وذلك من خلال إحسانه إليهم وتفقده لشؤونهم بحيث يشعرهم بالرحمة والرعاية والشفقة، فإذا فعل ذلك بادلوه الحب والعطف والرحمة، لان الناس أسارى الإحسان.

السنة الصالحة

وَ لا تَنقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الأُمَّةِ وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الأُلْفَةُ وَ صَلَحَتْ عَلَيهَا الرَّعِيَّةُ وَ لا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا وَالْوِزْرُ عَلَيكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.

والسنة الصالحة: هي الاعمال والمشاريع، والعادات، والتقاليد التي عمل بها السلف الصالح، في اطار الخير، والبر والاحسان، وسار عليها الناس من بعدهم.

فعلى الحاكم ان لا يغير تلك السنن، بل يعمل على تعميقها وترسيخها في وجدان الأمة، باعتبارها من الاسباب التي تساهم في وحدة الصف، وجمع كلمة المجتمع على الهدى، والايمان، والاخاء والتعاون.

ويدخل في هذا الباب مشاريع المبرّات والجمعيات الخيرية والصدقات الجارية، وبعض أصناف الاوقاف، واطعام الطعام، وأحياء المناسبات الاسلامية، ومناسك الحج، واقامة الحفلات الادبية والاجتماعية والوطنية، وتعظيم الشعائر الحسينية وغيرها من السنن والعادات الحسنة.

فان جميع هذه السنن والاعمال الايجابية من شأنها ان تعمق الشعور بالمسؤولية، وتحث على تقديم الخدمات الاجتماعية، وبناء المؤسسات ذات النفع العام.

كما ان على الحكام ان يحذر من تعطيل هذه السنن، او يختلق من وحي مزاجه الشخصي أعمالاً وسنناً أخرى سلبية تعاكس سنن الخير والاحسان، والتي بدورها تضر بالمجتمع، وتبعده عن طريق الحق، وجادة الصواب.

وقد اشار الامام الصادقعليه السلام الى قيمة السنة الصالحة في حياة الانسان.

فقد روى الشيخ الصدوق «رضوان الله تعالى عليه» عن الامام جعفر الصادق عليه السلام:

«ستة تلحق المؤمن بعد وفاته: ولد صالح يستغفر له، ومصحف يخلفه، وغرس يغرسها، وبئر يحفرها، وصدقة يجريها، وسنة صالحة يعمل بها من بعده»(١).

فهذا الحديث الشريف بما ينطوي عليه من معاني وأبعاد برنامج عملي مفعم بالحركة والعطاء، ويزخر بالحيوية من جميع جوانبه، فان الانسان المسلم لابد له من ان يتحرك

(١) من لا يحضره الفقيه ٤/٢٤٦.

ويعطي ويتفاعل مع مختلف الظروف والمجالات المتاحة.

فالمؤمن ليس كياناً صامتاً ولا شخصاً جامداً في مضمار الحياة، إنما هو حركة وعطاء ليس فيه كسل أو إسترخاء، فهو اما ان يترك ولداً صالحاً يمثل عمق وجوده، ويكون امتداداً صالحاً من بعده، واما ان يترك كتاباً وعلماً ينتفع به الاخرون من بعده، وهو اما ان يغرس الغرس ويحفر البئر ويحرث الارض ويفجر مخزونها الكامن لخدمة الانسان.

او ان يترك صدقة تجري مجرى الليل والنهار تسعف الفقير، وتغيث الملهوف.

واخيراً ان على المؤمن ان يعمل بجد واجتهاد على اثبات السنة الصالحة والعادات الحسنة، والتقاليد الحميدة، التي يسير عليها الاخرون، فتكون بمثابة المنار الذي يهدي في طريق الخير والحب والايثار.

دور العلماء في تسديد الحاكم وترشيد الدولة

وَ أَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَ مُنَاقَشَةَ[١] الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلادِكَ وَ إِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

يمثل العلم في حقوله المختلفة القاعدة الاساس التي يرجع اليها الانسان في مختلف قضاياه، وشؤونه الخاصة والعامة، وهو القيمة الكبرى التي يحتاجها الانسان، إما لمعالجة مشكلاته الحياتية والاجتماعية، وإما أن يكون طريقاً لاكتشاف اسرار الطبيعة، وفتح آفاق الكون، وقوانين الحياة، وما يحيط به من مجهول.

وما نشهده اليوم من ابداعات، وابتكارات عميقة في مجالات العلوم المتنوعة، انما جاءت عبر جهود متواصلة للعلماء، والمبدعين السابقين، سواء أكان على مستوى العلوم الطبيعية، والدينية، والفلسفية، أو على مستوى النظريات الاجتماعية، والسياسية، والادبية، كما ان نشوء الحضارات، والدول العريقة في التاريخ قامت على أيدي علماء، ومفكرين، وفلاسفة من الذين ابدعوا في تاسيسها وتطويرها.

---

(١) وفي نسخة «منافثة» وهي بمعنى المحادثة.

ولولا هؤلاء العلماء، ورواد الفكر والمعرفة لما كان للحياة معنى أو طعم، ولما توصلت البشرية الى ما توصلت اليه من تقدم، وازدهار، ومدنية.

ومن هذا المنطلق فان العلم يدخل في صميم الحياة السياسية، وادارة الدولة الحديثة.

فعلى الحاكم والمسؤول السياسي في ادارة شؤون المجتمع ان لا يستغرق وقته مع اصحاب الشأن السياسي فحسب، بل لابد له من الاستفادة من الطاقات، والكفاءات الاخرى، ومن أهمها الفقهاء والعلماء ورجال الفكر، والثقافة.

لأن العلماء والمثقفين يقرأون الاشياء وحركة الواقع بطريقة قد تختلف كثيرا أو قليلا عن فهم وقراءة المنشغلين في قضايا السلطة والسياسة, وان مقياس قوة ونجاح أي حكومة، أو مؤسسة عامة، هو بمقدار اعتمادها على العقول المفكرة، وذوي الرأي السديد من العلماء، والمفكرين، وأهل الخبرة والعقول المفكرة.

فلابد للحاكم والمسؤول المتصدي من أن يكثر من اللقاء بالفقهاء والعلماء على اختلاف اختصاصاتهم المعرفية، والاستفادة من نظراتهم، وأخبارهم، وملاحظاتهم في بناء

الدولة، وتقويم المؤسسة ذات النفع العام، وأن يعتمد على مراكز البحوث والدراسات الاستراتيجية، التي تمده بالمعلومات الدقيقة، والتحليلات الموضوعية، لتقييم الاشخاص، والجهات، والتيارات الفكرية، والسياسية، التي تتحرك من حوله، وذلك من اجل ان تكون رؤيته، وقراراته، ومواقفه منسجمة مع الواقع، وأقرب للحقيقة والصواب.

كما انه يجب على الحاكم ان لا ينشغل بالعلوم الترفية التي لا تنفعه في مهمته الثقافية والسياسية والتربوية، إنما يجب عليه ان يهتم بالعلوم النافعة في واقعه الاجتماعي والفكري، فعن الامام الصادق عليه السلام قوله:

«دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد فاذا جماعة قد أطافوا برجل، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما هذا ؟ فقيل: علآمة فقال صلى الله عليه وآله وسلم: وما العلامة ؟ فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب، ووقائعها، وأيام الجاهلية، والاشعار العربية، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ذاك علم لا يضر من جهله، ولا ينفع من علمه. ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«العلم ثلاثة: آية محكمة، أوفريضة عادلة، أو سنة قائمة، وما خلاهن فهو فضل» [١]

---

(١) اصول الكافي ١/ ٣٢

ولا يفهم من هذا الحديث الشريف بخس العلوم الاخرى أو التقليل من شأنها ودورها العلمي والعملي، إنما يفيد هذا الحديث الشريف إبراز أهمية العلوم الشرعية الأولية التي يجب تعلمها لتربية النفس وبناء الذات والتأكيد على هذه المفردات الثلاث بإعتبارها تمثل الحقائق والأسس لمعرفة الإسلام عقيدة، وشريعة، ومنهج حياة.

وعن الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

«وأعلم انه لا خير في علم لا ينفع، ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه» (١)

وعلى هذا الاساس فقد حرّم الفقهاء تعلم السحر والعمل به، والكهانة، وبعض من الاعمال التي تبدو مهمة عند بعض الناس، الا انها لا تستند الى واقع موضوعي، ولا اساس علمي، ولا تنفع الانسان في بناء الحياة والحضارة، وهذا ما عبر عنه الامام علي عليه السلام بقوله: «**الفكر في غير الحكمة هوس**».

(١) نهج البلاغة/ ٩١٠

الطبقات الإجتماعية

وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلا بِبَعْضٍ وَلا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ، وَ مِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَ الْخَاصَّةِ، وَ مِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَ مِنْهَا عُمَّالُ الانْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَ مِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ، وَ الْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَ مِنْهَا التُّجَّارُ وَ أَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، وَ مِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَ الْمَسْكَنَةِ، وَ كُلٌّ قَدْ سَمَّى اللَّهُ لَهُ[1] سَهْمَهُ وَ وَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وآله) عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً.

يشير الامام علي عليه السلام في هذا المقطع من عهده الشريف الى حقيقة ثابتة قام عليها علم الاجتماع، وأكدتها الشرائع السماوية، وهي ان الانسان اجتماعي بالفطرة، ومدني بطبعه.

قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ

(١) «له» لا توجد في بعض النسخ.

ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الحج.

وقال تعالى:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ البقرة.

أي ان الانسان يألف أبناء جنسه، ويسكن اليهم، ولا يستغني عنهم في حياته الخاصة والعامة بحال.

وحيث أن المجتمع أصناف وطبقات شتى تتعارض مصالحهم، وتتزاحم طموحاتهم، وتختلف أهوائهم وأمزجتهم، فلا بد لهم من نظام عادل يستوعبهم، ويحكم حركتهم، وينظم شؤونهم، وغاياتهم، وان أي فراغ أو خلل في هذا النظام العام؛ لاشك يؤدي الى فوضى عارمة، وصراعات مدمرة، وخراب شامل.

ومن هنا أكد الفقهاء على وجوب حفظ النظام العام اعتمادا على حكم العقل والشرع معا.

ومن الجدير بالذكر ان مفهوم الطبقة، والطبقات في الثقافة السياسية المعاصرة مصطلح خاص تبنته المدرسة الماركسية والاحزاب الاشتراكية، وتعني به في فلسفتها ان المجتمع مقسم الى شرائح وقطاعات «طبقات» تعيش صراعاً طبقياً محتوماً، ومحتدماً يحركه العامل الاقتصادي فحسب،

لينتهي في آخر المطاف الى صالح الطبقة العاملة، وهذه النظرية المادية أخفقت في تفسيرها لحركة التاريخ والمجتمع، ولم تعد اليوم ذات قيمة فلسفية وفكرية وسياسية في الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي.

ولا شك ان الامام أمير المؤمنين عليه السلام وهو تلميذ القرآن وربيب رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يقصد في كلامه عن الطبقات الاجتماعية هذا المعنى الضيق كما في المصطلح الماركسي -آنف الذكر- انما يعني عليه السلام بـ«الطبقة» الفئة الاجتماعية، والتصنيف الطبيعي في حياة الناس.

وفي ضوء هذه الرؤية الرحبة لمفهوم الطبقة يقسم الامام عليه السلام طبقات «فئات» المجتمع الى الاصناف التالية:

الجنود:

وهم القوة العسكرية والأمنية، التي تحفظ نظام الدولة، وتحمي أرض الوطن من الاعتداءات والاختراقات، ولولا الجند لانعدم الأمن والاستقرار في البلاد، ومن الملاحظ في هذا النص ان الامام علي عليه السلام ينسب الجنود الى الله تعالى، وفي ذلك اشارة منه عليه السلام الى ان الجنود والقوات الامنية، يجب ان يكون عملهم خالصاً لله، ومن اجل الدين وحماية

الانسان والوطن، بعيداً عن نزعات الاهواء، أو التحرك لخدمة الاشخاص والمصالح الفئوية الضيقة، أو بدافع الميول القومية والطائفية أو سوء استخدام القوة العسكرية ضد المدنيين الابرياء.

الكتّاب:

وهم الهيئة الوزارية أو الموظفون الاداريون الكبار، الذين يضبطون شؤون الدولة، وينظمون المعاملات، والعقود، والمعاهدات، والوثائق، والمراسلات الرسمية في داخل البلاد وخارجها.

القضاة:

وهم السلطة القضائية، والحكام الذين يحسمون النزاعات، ويفصلون بين الناس وفق موازين الحق والعدل، وأحكام الشرع والقانون.

عمّال الانصاف والرفق:

وهم المسؤولون عن الشكاوى، ومتابعة شؤون المواطنين، وتقديمها بين يدي القضاة، والكتّاب للنظر فيها ومعالجتها.

أهل الجزية:

وهم الموظفون المكلفون بأخذ الأموال من أهل الجزية، وهم أهل الذمة من النصارى واليهود، وغيرهم من الديانات السماوية الأخرى والذين يعيشون في الوطن الاسلامي كأقليات يمنحهم الشرع الاسلامي الحماية ويحفظ القانون حقوقهم.

عمّال الخرَاج:

وهم الموظفون المسؤولون عن جمع المال وضبطه، من أهل الخراج «المزارعين» الذين أحيوا الأرض وعمروها من المسلمين الذين، وجب عليهم دفع الضرائب المالية لخزينة الدولة.

التجّار:

وهم الذين يقوم عليهم اقتصاد الدولة والمجتمع من خلال ما يستوردونه، أو يصدرونه في عملية العرض، والطلب، والبيع، والشراء في الاسواق المحلية والعالمية.

أهل الصناعات:

وهم اهل الصناعات والحرف، اليدوية، والمهن، واصحاب المعامل، الذين ينتجون ما يحتاجه المجتمع من

مواد انشائية، وغذائية، وآلات، وسلع وغيرها.

الفقراء والمساكين:

ويشمل هذا الصنف من الناس كل المحتاجين، والبائسين، وممن ليس لهم مؤونة، أو دخل يغنيهم أو يكفيهم، وكذلك يشمل اليتامى، والثكالى، والمحرومين، وأبناء السبيل، وغيرهم.

القوة العسكرية

فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ وَ زَيْنُ الْوُلاةِ وَ عِزُّ الدِّينِ وَ سُبُلُ الأَمْنِ وَ لَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلا بِهِمْ.

بعد ان ذكر الامام علي عليه السلام أصناف المجتمع كافة شرع في توضيح مهمات هذه الاصناف، ودورها في بناء الدولة، والحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، فعبر عن الجنود بأنهم :

حصون الرعية:

أي ان الجنود أسوار الوطن وحماة المواطنين من أي اعتداء غاشم من الخارج والداخل.

وزين الولاة:

أي ان العسكر «الجيش والشرطة» مظهر القوة، والعزة لقادة البلاد، وان الحكومة بدون قوة عسكرية لا يعبأ بها، ولا تستطيع أن تتخذ القرارات الصعبة في المجالات المختلفة.

عز الدين:

لأن الدين ينتصر بسببهم، ويزداد قوة ومهابة في نفوس معتنقيه، واعداءه على حد سواء.

سبلُ الأمن:

لأن الجيش، والقوة الأمنية أدوات لحفظ الطرق العامة، وتأمين حركة الناس بين المدن والقرى، والقصبات، من تعدي قطاع الطرق، وعصابات الجريمة المنظمة.

بعد هذا الاستعراض لخصائص وصفات الجنود، ودورهم الاساسي في حفظ الأمن، والاستقرار، وحماية القانون، يصل الامام عليه السلام في عهده الشريف الى النتيجة الطبيعية لوجودهم، وهي أن المجتمع لا يقوم الا بالجنود، وان الحكومة لا تنجزُ أعمالها ولا تنفذ برامجها ومشاريعها الا بحمايتهم وقوتهم.

مع ملاحظة ان طبقة الجنود وهم القوة العسكرية والأمنية، هي من اخطر الفئات في البلاد، اذ ان السلاح بيدها، وانها تمتلك أسباب القوة والحسم، ولا حاجز يحول بينها، وبين التمرد على القانون، أو التعسف في التعامل مع الرعية.

فلا بد من الاهتمام بهذه الطبقة، ومراقبتها، وضمان عدم طغيانها، كما يجب الاهتمام باشباع حاجاتها الطبيعية خشية ان تتحول الى جهة معادية تعمل بالضد من مصلحة الوطن وحياة المواطنين.

أهل الخراج

ثُمَّ لا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إلا بِمَا يُخرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَى[1] جِهَادِ عَدُوِّهِمْ وَ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ وَ يَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ.

وفي هذا المقطع من النص الشريف يبدأ الترابط بين الفئات، والطبقات التي اشار اليها الامام عليه السلام فلا يمكن للجنود، وقوى الامن، وحفظ النظام والقانون ان تؤدي دورها بشكل صحيح ومتكامل ما لم تخصص لها ميزانية مالية مناسبة من الدولة تلبي حاجات الجنود المعاشية، والاجتماعية لهم ولعوائلهم، وذلك من اجل ان يكونوا أكثر قدرةً على الاستمرار في أداء واجباتهم لخدمة الوطن وحفظ النظام وتطبيق القانون في الداخل، والمضي قدماً في جهاد العدو وصد المخططات، والمؤامرات الخطيرة على الوطن وابناءه من الخارج.

ومن المعروف ان المصادر المالية للدولة تتكون من مجموع الثروات الطبيعية للبلاد كالنفط، والغاز، والمعادن

---

(١) وفي نسخة «في»

الاخرى، والعائدات المالية من الضرائب والرسوم، والمؤسسات الاستثمارية والشركات العائدة للدولة.

وكذلك من الضرائب المفروضة على أهل الخراج «المزارعين» وموارد الحقوق الشرعية من الزكوات وغيرها.

وفي ضوء ذلك فلا بدَّ للحاكم السياسي ورئيس الدولة من ان يهتم بتنظيم، وتطوير ومراقبة الجانب المالي للدولة، إذ ان أي خللٍ أو تقصيرٍ في هذا المجال سينعكس سلبياً بالتخلف والتراجع على اداء الحكومة في كل مرافقها ومجالات عملها.

كما ان تداعياته السلبية تطال وتمتد على المجتمع ومؤسساته العامة، وخصوصاً على المؤسسة العسكرية والامنية في البلاد.

القضاة والموظفون

ثُمَّ لا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنفَيْنِ إلا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَ الْعُمَّالِ وَ الْكُتَّابِ لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ وَ يُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الأُمُورِ وَعَوَامِّهَا.

وهنا يأتي دور القضاة، والعمال «الموظفين»، والكتّاب، وهم الوزراء، ووكلاؤهم في تنظيم وادارة شؤون الدولة، ومؤسساتها من خلال ضبط العقود في البيع والشراء، وسائر المعاملات المالية، والاقتصادية، والفصل بين النزاعات، والخصومات الفردية، والاجتماعية، وتسهيل معاملات المواطنين وحل مشكلاتهم.

ولا شك ان صلاح، أو فساد النظام القضائي، واجهزة الدولة ينعكس سلباً، او ايجاباً على جميع مرافق الحياة العامة، وامور المجتمع.

وقد جمع الامام عليه السلام هذه الطبقات «الفئات» في كلام واحد، لأن دائرة عملها متقاربة ومتداخلة، ودورهم مشترك، وان الحاجة اليهم من قبل المواطنين واحدة ومشتركة كذلك.

التجار وأصحاب المصانع

وَ لا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلا بِالتُّجَّارِ وَ ذَوِي الصِّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ وَ يُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَ يَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ.

لا يستقيم أمر القضاء والجهاز الاداري والتنفيذي في الدولة، الا من خلال الاستقرار الاقتصادي الذي يساهم به التجار، وذوو الصناعات واصحاب المعامل، فهم يمثلون مادة الحركة لجميع الاصناف السابقة، فلا يمكن الاستغناء عنهم في الاقتصاد الوطني، وحركة السوق وذلك من خلال ما يجلبونه من مواد انشائية وغذائية، وسلع، وملابس، وحاجات ضرورية، وكمالية في حياة الناس.

وكذلك الحال فيما يقدمه الصّناع، وأهلُ الحرف اليدوية، والمعامل، والمصانع من أدوات منزلية، ومواد انشائية وغيرها، مما لا يمكن أن يحصل عليها المواطن الا من خلالهم.

فلا بد من الاهتمام بالتّجار واصحاب المصانع بتحريك العجلة الاقتصادية ودفعها الى الامام من خلال تسهيل مهماتهم، وازالة العقبات عن مشاريعهم، وذلك من أجل تحقيق التقدم والتنمية وتحسين الحياة المعاشية للمواطنين.

الفقراء والمساكين

ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَ الْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ وَ فِي اللَّهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ وَ لِكُلٍّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ، وَلَيسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلا بِالأَهْتِمَامِ وَ الأَسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَ تَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ وَ الصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ.

بعد ان أجمل الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام حديثه عن الطبقات «الفئات» الاجتماعية الاساسية، وأهميتها، وخصائصها، ودورها في حركة الحياة، وبناء الدولة، ومؤسسات المجتمع، يركز في هذا المقطع من النص الشريف على الاهتمام بطبقة الفقراء، والضعفاء من اهل الحاجة، والمسكنة، الذين وجبت مساعدتهم، ومدّ يدّ العون لهم، فان على الدولة، ومؤسسات المجتمع المدني التابعة لها ان ترعى هذه الطبقة وتعتني بها اعتناءً خاصاً.

والغريب في الامر أن الامام عليه السلام يجعل هذه الطبقة من الناس، وهم الفقراء، والمساكين، والبائسين من الاصناف الحية التي تساهم في حركة الحياة، وبناء الدولة رغم أنهم طبقة مستهلكة غير منتجة، وليس لها دور ايجابي ظاهر في

البناء العلمي والمدني الاقتصادي، والتقدم في الحياة العامة.

غير انه عليه السلام ينظر الى البعد الآخر في الاهتمام بهؤلاء، وذلك لأن العناية بالفقراء والمساكين من خلال مشاريع البر والاحسان التي يجب ان تسود في المجتمع من شأنها ان تعالج مشاكل الفقراء، والاغنياء على حدٍ سواء، حيث ان مشاريع الخير في الوقت الذي تحل مشكلات الضعفاء، والفقراء الحياتية، الا انها تعمق في نفوس الاغنياء حب العطاء، ومشاريع البر، والخير والاحسان وتطهرهم وتزكيهم من الاستغراق بالانانية وحب الذات.

وقد أثبتت تجارب الشعوب، والامم ذات القيم الانسانية، ان المشاريع الخيرية تؤدي بطبيعتها الى تطهير الحياة الاجتماعية من أمراض الأنانية وحب الذات، وتدفع الجميع نحو المساهمة في مشاريع، ومؤسسات النفع العام، اضافة الى الجانب الآخروي الذي يعني ضمان حصول الاجر والثواب من الله تعالى، وما عند الله خير وابقى.

حيث ان وجود هذه الطبقة الفقيرة مدعاة لاستنزال الرحمة والبركة من السماء، التي تنزل على البلاد، والعباد بسبب هؤلاء الفقراء الذين جعل الله لهم حقا ثابتاً في عهدة الوالي والمجتمع على حد سواء.

قال تعالى في محكم كتابه:

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾﴾ التوبة.

فهذه الآية الكريمة حددت بشكل واضح وصريح الاصناف الثمانية التي تستحق أموال الصدقات كما ذكرها الفقهاء في مدوناتهم ضمن بحثهم في مصرف الزكاة.

قال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ المعارج.

وقال تعالى:

﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[التوبة: ١٠٣].

فيجب على الحاكم أن يستعين بالله تعالى على أداء مهماته، السياسية والاجتماعية وأن يتوكل عليه في رعاية الطبقة الفقيرة، وأن يصبر على حاجاتها الكثيرة التي عادة ما تكون حاجات تفصيلية، ومتعبة لا يتحملها الانسان الاعتيادي.

وقد يضيق الحاكم أو المسؤول المتصدي بهذه الحاجات

والطلبات، وكثرة الالحاح من قبل الفقراء واصحاب الحاجات، غير انه يجب عليه ان يتمتع بالحلم، وسعة الصدر، والقدرة على الاستيعاب، والتحمل لمشكلات هؤلاء المساكين والمحرومين الذين يرون أن من مهمات المتصدي للشأن العام ان يوفر لهم ما يحتاجون وأن يعيد الأمل المنطفئ في نفوسهم بسبب الفقر والفاقة، فان الفقر يؤدي الى الانحراف وقد يؤدي الى الكفر.

ولله در الامام السجاد زين العابدين عليه السلام حيث يقول في أحد أدعيته:

«اللهم حبّب اليّ صحبة الفقراء، واعنّي على صحبتهم بحسن الصبر»(١)

وذلك لأن الفقراء قد يُلحّون في طلبات صعبة لا تتحقق، فيجب على المسؤول أن ينفتح على هذه الشريحة المعذبة في المجتمع من خلال ما يبذله لهم من عطاء، وحب، وصبر، وايثار.

(١) الصحيفة السجادية/ دعاء رقم ٣٠.

قادة الجيش

فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ وَلأَمَامِكَ وَ أَنْقَاهُمْ جَيْباً وَ أَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ وَ يَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ وَ يَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ وَ يَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ وَ مِمَّنْ لا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ وَ لا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ.

يستعيد الامام عليه السلام في هذا المقطع الحديث عن خصائص، وصفات قادة الجيش، والضباط الذين يتولون مسؤولية ادارة حركة الجند، وتدريبهم في مواقع المسؤولية العسكرية لحماية البلاد، وحفظ القانون، والنظام العام، فيجب ان يتم اختيارهم وفقاً للشروط والأسس التالية:

أولاً: «النصيحة»:

أي ان يكون من ذوي الصدق، والسيرة الحسنة وتقديم المشورة، والملاحظة مع الاخلاص لله، والرسول، وولي الأمر، وهو الامام القائد عليه السلام ومن يقوم مقامه.

ثانياً: «النزاهة والامانة»:

وهي العفة، والتورع، وعدم التعدي على الاموال العامة سواء أكانت من أموال الدولة، أو الغنائم، أو أموال المواطنين، وكلمة الجيب في النص تأتي بمعنى القلب

والصدر «وأنقاهم جيبا» وهي كناية عن عفة النفس، ونقائها من الخيانة والسرقة، لأن الجيب هو الموضع الذي يوضع فيه الشئ المسروق، وهو تعبير مجازي جميل.

ثالثاً: «الأناة والحلم»:

وهو سعة الصدر، والقدرة على تحمل أعباء الاخرين، ومشاكلهم، وهذه من صفات القادة المخلصين الكبار، الذين يتصدون لادارة الشأن العام باعتدال واتزان.

فهؤلاء القادة لا يغضبون لاتفه الاسباب، بل يتمتعون بالصبر، والعفو، والتسامح، والاحسان، كما أنهم يقبلون العذر من الآخرين، ويسكنون اليه من دون تعقيد أو تهويل، لأن ثقتهم بأنفسهم، وقوة شخصيتهم تمنعهم من التصرف في المواقف بعنف وحمق، وهم يرأفون بالضعفاء، ويحنون عليهم، لأن مشروعهم في الحياة نشر الرحمة والمحبة والتسامح في التعامل مع الناس.

وهكذا كان رسول الله ﷺ منبعاً للرحمة والرأفة والعفو.

قال تعالى:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ التوبة.

وقال تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ الأنبياء.

فعن النبي ﷺ انه قال:

«لا تصلح الامامة الا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الولاية على من يلي، حتى يكون لهم كالوالد الرحيم»[1]

فمن لم يكن يتمتع بشيء من الرحمة فليس له علاقة برسول الله ﷺ من هذه الناحية، ولكن هذه الرحمة الحانية على الضعفاء تنبو على الاقوياء، أي تجفوهم ولا تخضع لهم، بل ان هؤلاء القادة العسكريين المخلصين الشجعان يقومون بدورهم الرادع ضد الظالمين والمتكبرين والمفسدين، ويفرضون عليهم الالتزام بمبادىء الشريعة وتعاليم القانون.

كل ذلك من اجل ان لا تحدث الفوضى العامة في البلاد، أو تهان الحرمات والكرامات، فمهمة الجيش هي بناء ذاته العسكرية، والابتعاد عن دوائر الظالمين ومنعهم من التعدي على الآخرين.

(١) اصول الكافي ١/ ٤٠٧.

قال تعالى:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

فهذه الآية الكريمة تحدد موقع الرسولﷺ باعتباره القائد المتصدي لقيادة جنوده المؤمنين المخلصين، وتحدد كذلك مهمة هؤلاء الجنود الحساسة، فهم من ناحية أشداء على الكفار، أي يتعاملون معهم بالقوة والحسم وعدم المهادنة، ومن ناحية اخرى فهم رحماء بينهم تجمعهم وشائج الإيمان وتشدهم أواصر الأخاء والمحبة.

ومن هذا المنطلق فان القادة العسكريين الافذاذ يستمدون من الرسول الاكرمﷺ وأهل بيته الاطهار، وأصحابه الابرار -وهم القدوة الحسنة- القوة والروح المعنوية والعزم والجد والثبات، من ناحية، ومن ناحية أخرى فلا يثيرهم العنف والارهاب وقسوة الأعداء، بل يتصرفون معهم بشجاعة وحسم وحكمة، فهم ليسوا بالعاجزين الذين يقعد بهم الضعف عن مواجهة التحديات في المواقف الصعبة، بل يؤدون واجبهم بكفاءة، ويواجهون القوى المضادة بكل ثقة وتخطيط وبصيرة.

البيوتات الصالحة

ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَ الأَحْسَابِ وَ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَ الشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَ السَّمَاحَةِ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وَ شُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ.

بعد ان عرفنا قيمة القوة العسكرية «الجند»، ودورها في حفظ البلاد، والعباد من الفوضى، والفساد، يشرع الامام عليه السلام في ذكر النماذج التي يجب ان يعتمد عليها الحاكم في ادارة بلاده، والعناصر المقربة لتنفيذ مشاريعه، وقراراته، فهؤلاء يجب ان يكونوا من ذوي الأصالة والشرف، والمروءات، والاحساب الكريمة، والبيوتات الصالحة، والتأريخ المشرّف، والسوابق الحسنة في الجهاد، والتضحية، والعطاء.

وان يعتمد على هؤلاء في أداء المسؤوليات الكبيرة، والتصدي للخدمات العامة، لأن هؤلاء يمتلكون عناصر قوة الشخصية والضمانات، التي تمنعهم من التدني الى مواقع الرذيلة، أو خيانة الامانة، أو التكبر على الناس.

وقد اثبتت تجارب التاريخ ان الشخصيات التي تستند الى هذه الصفات الحسنة والخلال الحميدة، وتتميز بهذه الخصائص النبيلة، يمنعها شرفها وتاريخها المشرق العريق،

ونسبها الاصيل من الوقوع في الانحرافات والمحرمات والرذائل أو تتلوث بالفساد المالي والاداري.

فوجود هؤلاء على رأس اجهزة الدولة يكون عاملاً مهماً من عوامل نجاح الحكومة، وامكانية تقدمها وتطورها، وتطبيق برنامجها الثقافي، والسياسي، والاجتماعي على احسن وجه، ويندرج في هذا السياق أهل النجدة، والشجاعة، والسخاء والسماحة.

والنجدة: بفتح النون، الشجاعة، وقد جاء في الحديث عن علي عليه السلام: «**أما بنو هاشم فأنجاد**» **أي أشداء شجعان**»[1].

الشجاعة: هي قوة القلب عند البأس، ورجل شجاع؛ قوي قلبه واستهان بالحروب جرأة واقداماً.

السخاء: الجود والكرم، وهو ملكة بذل المال لمستحقه بقدر ما ينبغي ابتداءً.

السماحة: في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله «ما بعثت بالرهبانية الشاقة، ولكن الحنيفية السمحة» أي السهلة التي لا ضيق فيها، ولا حرج، والسماح،

(١) مجمع البحرين/ مادة: نجد

الجود، والسماحة مثله، وفي الحديث: «**السماحة البذل في العسر واليسر**»(١).

وعلى هذا الاساس، فان هؤلاء الموظفين الشرفاء لا يخونون الامانة، ولا ينقضون الكلمة، ولا ينكصون عند الوثبة، ولا يتراجعون في المواقف الصعبة، وانما يواصلون مسيرتهم، بارادة صلبة، وعزيمة لا تلين، وما أروع كلام الامام عليه السلام حيث يقول:

«**فانهم جماعُ الكرمِ، وشعبُ العُرف**».

فكأن الشرفاء هم عصارة الكرم والمعروف، بل ان صفاتهم وسماتهم هي مجموع هذه الصفات الحميدة والخلال الشريفة.

---

(١) مجمع البحرين/ مادة «سمح»

رعاية القائد لجنده والعاملين معه

ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ[١] الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا وَلا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ وَ لا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَ إِنْ قَلَّ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ وَ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ وَ لا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ وَ لِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ.

وفي هذا النص ايضاً يواصل الامام أمير المؤمنين في عهده المبارك عليه السلام اهتمامه بالجنود وهم القوة العسكرية والأمنية التي تحفظ البلاد من كيد الاعداء، ويؤكد على ضرورة رعايتها، وعدم اهمال قضاياها، ومشاكلها النفسية، والاجتماعية، الاقتصادية، لان العناية والاهتمام بأوضاع وشؤون هذه القوة الفاعلة يعني اشعارها بان الدولة هي المؤسسة الأم، التي تحتضن وجودها، وتحنو عليها، ولا تبخس دورها، وتضمن حقوقها الطبيعية، والقانونية، وهذا يعني دفع هذه القوة الى مزيد من العمل، والتفاني، والاخلاص لحفظ الامن وحماية الوطن والمواطنين.

---

(١) وفي نسخة «ما يتفقده» وهو الأنسب.

ومن هذا المنطلق ينبغي على الحاكم ان يتفقد أمور الجيش والجنود تفقد الوالدين لابنائهما، وهذا التعبيرُ منه عليه السلام في غاية الشفقة، ومنتهى الرحمة، فليس بعد الوالدين من هو أرأف وأرحم بالأولاد منهما.

كما ينبغي على المسؤول والحاكم ان لا يغفل عن مسألة كتب الشكر والتقدير والتكريم، وأن لا يعدَّ شيئا من هداياه، أو عطاياه أمرا كبيرا يذكرّهم به دائما، أو يتبجح به عليهم، أو يشعرهم بالمن والتفضل، وعليه ان لا يتجاهل الأمور البسيطة، والهدايا الصغيرة اعتمادا على ما قدمه لهم من هدايا كبيرة.

فان الالتفاتات اليسيرة، والهدايا الصغيرة لها موقع خاص في النفوس، وهي تعبير عن مدى اهتمام القائد بجنده، والأب باولاده.

فان هذه اللفتات الحانية، وان كانت تبدو انها ليست لها قيمة مادية، الا ان من شأنها ان تعمق العلاقة الروحية والمعنوية وتدعو الى تقديم النصيحة من الجنود لقائدهم بكل أريحية وشفافية، بعيداً عن التكلف والطرق الرسمية المعقدة، فالقائد مسؤول عن الجيش من الناحية القانونية، ولكنه والد للجنود من الناحية الاجتماعية، وصديق حميم لهم من

الناحية العاطفية والنفسية.

فلا بدَّ للقائد من الرعاية التامة للجنود، وتفقدهم في حاجاتهم الكبيرة، والصغيرة على حد سواء، وهذا التفقد والعناية أدعى لدوام الطاعة، وأدوم لبقاء المودة والمحبة بين الجند وقائدهم.

وفي رواية مشهورة ان الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام أعطى غلامه قنبر دراهم ليشتري بها ثوبين، متفاوتي القيمة، فلما احضرهما الغلام اعطاه ارقهما نسيجاً وأغلاهما قيمة، وحفظ لنفسه الآخر، وقال له: أنت أحق مني بأجودهما، لأنك شابٌ تميل نفسك للتجمل، أما أنا فيكفيني هذا[1].

(١) محمد الغزالي: حقوق الانسان.

مواساة القائد لجنده

وَ لْيَكُنْ آثَرُ رُءُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ وَ يَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ.

رؤوس الجند: هم الضباط والمراتب الذين يتولون قيادة الالوية، والفرق والأفواج، وهم حلقة الوصل بين قطاعات الجيش، وبين القائد العام للقوات المسلحة.

ولا بدّ من ان يكونوا على مستوى عالٍ من الشعور بالمسؤولية الاخلاقية، وان يتم اختيارهم حسب الشروط، والمواصفات المطلوبة في القائد العسكري المنضبط المسؤول.

ويؤكد الأمام عليه السلام على هذه المواصفات ومنها:

- المواساة للجند ومساعدتهم، وعدم التكبر عليهم، والترفع عنهم، فانهم جنوده، ومعه في ساحة المعركة، فبهم يخوض الحرب، وبهم يحقق الانتصار فيجب الاهتمام بشؤونهم المادية

والمعنوية.

- تقديم المساعدات المالية، والمنح، والهدايا لغرض رفع المستوى المعيشي لهم، ولذويهم الذين خلفوهم وراءهم من اجل خدمة الدين، والدفاع عن الوطن وبناء مؤسساته العلمية والاجتماعية.

فاذا أحس الجند انهم في كفالة، وان أهلهم في رعاية الدولة، فانهم يشعرون بالاستقرار النفسي، وعدم القلق على اهليهم، فيخلصون في واجبهم، ويندفعون بقوة لاداء مسؤولياتهم الجهادية في صف واحد، وارادة واحدة، لان جهاد العدو أصبح الهدف الذي يجمعهم والشعار الذي يوحدهم، وهو الهم الذي يحملونه في قلوبهم.

وينتهي كلام الامام عليه السلام في هذا المقطع الى معادلة دقيقة المعنى، وكبيرة المضمون، وهي ان عطف القائد على جنده يوجب عطفهم عليه، واخلاصهم له، وبذلك تتحقق القوة التي بها يكون النصر بارادة الله تعالى.

استقامة العدل

وَ إِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلادِ وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ و إِنَّهُ لا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلا بِسَلامَةِ صُدُورِهِمْ وَ لا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلا بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلاةِ الأُمُورِ[١] وَ قِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ وَ تَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ.

وقرة العين كناية عن الرضا، والاطمئنان، والسعادة للحاكم بسبب قيام العدل في البلاد، وسيادة القانون في حياة مواطنيه، ومحبة الرعية له، ورضاهم عن شخصيته، وعن حكومته العادلة التي تسعى لتطبيق القانون على الجميع بالحق والعدل والمساواة.

وان هذه المحبة، والرضا ليس شيئا مفتعلا، أو شكلياً، وانما هو حقيقة تنبع من القلوب، وتتفاعل معها النفوس بمشاعر التقدير، والاحترام، والطاعة، بين الحاكم العادل وبين جماهيره التي تؤمن به وتدافع عنه.

وتتعمق هذه الحقيقة في قلوب المواطنين اذا تجاوزت

---

(١) وفي نسخة «أمورهم» ولعله أولى في سياق صدروهم قبلها.

الأمة مرحلة الحب والمودة، الى مرحلة التفاعل والانسجام، والنصح، والتسديد، والنقد البناء لاجهزة الحكومة، ومؤسساتها، الادارية، والخدمية، وهذا لا يتم إلا من خلال وعي الأمة ومعرفة المجتمع بسياسة الدولة، وبرامجها، واحاطتهم بشؤون الحاكم، وظروفه، واستيعابهم للتحديات، والمشكلات التي تواجه الحكومة في الداخل والخارج.

وعند هذه المرحلة من الوعي، والمعرفة والتفاعل بين الحاكم، والمواطنين، فان الامة لا تشعر بثقل التكاليف، واعباء المسؤولية الملقاة على عاتقها من قبل الدولة، وحينئذ لا تتمنى زوالها أو تغييرها بحكومة أخرى، فلا يهمها مواصلة التعب، والسير، وعدم الراحة لخدمة الحكومة، وبناء الدولة، اذا كانت الامة تتفهم الواقع، وتعي المشكلات، والتعقيدات السياسية والاجتماعية والأمنية.

شكر وثناء القائد لجنده

فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ وَ وَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلاءِ مِنهُمْ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ وَ تُحَرِّضُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ان من أهم عوامل نجاح القائد، أو المسؤول المتصدي أن يكون محط آمال جنده، والعاملين معه، وذلك من خلال الانفتاح على قضاياهم، وتطلعاتهم لا أن يكون خشبة يابسة لا تعطي ولا تثمر، وفي نفس الوقت يجب عليه ان يجيد حسن المدح، والثناء، والتقدير للعاملين المبدعين، والموظفين المخلصين في أعمالهم، ومواقفهم، بل عليه أن يشير بالتحديد، والتشخيص، الى مآثر وابداعات، ومواقف جميع الذين قدموا لبلادهم، ووطنهم ما يستحقون عليه الثناء العطر والاشادة والتقدير.

فان الإشادة والمدح، والثناء، والتبجيل لهؤلاء المبدعين، والافذاذ اشعارٌ لهم بالقيمة والأهمية، وأن ذلك يزيدهم عزيمة في العمل، وتواصلاً في العطاء، ويحرك في الاخرين روح الشجاعة، والاقدام على خطى أولئك العاملين المخلصين، والمبدعين الابطال، ويدفع بكل المتخلفين، والقاعدين والكسالى الى الحركة، والمضي قدماً في طريق العمل الجاد، والعطاء المتواصل.

الدقة في تقييم الاشخاص والمواقف

ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنهُمْ مَا أَبْلَى وَ لا تَضُمَّنَّ[١] بَلاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ وَ لا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلائِهِ وَ لا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً وَ لا ضَعَةُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً.

ان من خصائص القائد الناجح ان يكون عارفاً بدقة طبيعة جنوده ومواقفهم، ومطلعاً على جهود وافعال العاملين معه، وان يكون واعياً في تقدير حقوقهم وتقييم مواقفهم وتضحياتهم.

على ان يكون ميزانه الاساس في تقييم الشخصيات والمواقف، الموضوعية والدقة، والانصاف، بعيداً عن العواطف والسطحية.

وبتعبير آخر ان على الحاكم ان يعطي كل ذي حق حقه بما قدم وأعطى، فلا يخلط الجهود، ولا يبخس حق العاملين المخلصين، او يقصر في تثمين جهودهم، وأن لا يقع في خطأ أو أن يضيف لآخرين أفعالاً لم تصدر منهم،

(١) وفي نسخة «تضيفنّ»

لان ذلك من شأنه ان يحدث ضعفاً في الادارة والقيادة، أو يسبب اختلالاً في توازن العلاقة بين القائد المسؤول، وبين العاملين تحت إمرته.

ومن دون ريب ان هذه العملية الحساسة ليست بالامر الهين، وانما تتطلب الحكمة، والحصافة، والنظر العميق، والتجرد عن الذات، والموضوعية، والصدق، والانصاف، والتقوى والاخلاص.

ومع هذا فان المسؤول المتصدي لا يتوقع ان يحظى برضا الآخرين دائماً مهما جسّد ميزان الحق ومعيار العدالة، لان رضا الناس غاية لا تدرك.

فعليه ان يصالح وجهاً واحداً يغنيه عن سائر الوجوه، وهو الباري سبحانه الذي يعلم النوايا ويدرك الخفايا ولا يعزب عنه مثقال ذرة.

قال تعالى:

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ غافر.

الرجوع الى الله ورسوله

وَ ارْدُدْ إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الأُمُورِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ﴾.

فَالرَّدُّ إِلَى اللَّهِ الأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ وَ الرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ.

مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ: أي ما يثقلك، ويتعبك من الدواهي، والامور الجسام.

محكمُ الكتاب: نصوصُ القرآن الصريحة، التي لا تحتمل التأويل، والتفسير على خلاف الظاهر.

السنة الجامعة: هي قول النبي ﷺ، وفعله، وتقريره، وسنة أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم المباركة التي تجمع المسلمين على كلمة سواء، ولا تفرقهم.

يتعرض الحاكم في ادارة بلاده الى أمور صعبة، واحداث جسام تختلط فيها الاشياء، وتتداخل فيها الاحكام،

فيقع في حيرة وتردد، ولا يمكن ان يعتمد فيها على فهمه الخاص، واجتهاده الشخصي.

بل لا بد من ان يرد تلك القضايا والامور الى كتاب الله ومحكم آياته، فهو الهادي الى الرشد والعاصم من الانحراف والزلل.

فإذا لم يجد في كتاب الله نصاً واضحاً لمعالجة ما أشكل عليه فعليه ان يرد ذلك المشكل الى السنة النبوية المطهرة، وأحاديث العترة الطاهرة بأعتبارها العدل الثاني لكتاب الله، كما في حديث الثقفين المستفيض.

فان اهل البيت عليهم السلام يشكلون العمق والامتداد لرسالة النبي الاكرم صلى الله عليه واله وقد طهرهم الله من كل ذنب كما في آية التطهير:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فان هذه الآية الكريمة صريحة في عصمة اهل البيت عليهم السلام فهم سفينة النجاة ونهج السلام، والأمان من الوقوع في الاخطاء والشبهات، خصوصاً في فهم الاحكام الشرعية، وتطبيقها في مجالات الحياة المختلفة.

ومدرسة أهل البيت عليهم السلام خط موصول لا يتوقف عند مرحلة من مراحل التاريخ.

وفي هذا السياق فان الفقهاء العدول ومراجع الدين الاكفاء يمثلون الامتداد الطبيعي لهذه المدرسة المباركة، لانهم يستقون علومهم من منابعها، ويستنبطون فتاواهم ونظرياتهم من تراثها الذي هو تراث الاسلام بكل ما يزخر به من معارف وأفكار وأخلاق.

صفات القاضي

ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْم بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لا تَضِيقُ بِهِ الأمُورُ وَ لا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ وَ لا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ وَ لا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ وَ لا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ وَ لا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْم دُونَ أَقْصَاهُ وَ أَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ وَ آخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ وَ أَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْم وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الأمُورِ وَ أَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ مِمَّنْ لا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ وَ لا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ وَ أُولَئِكَ قَلِيلٌ.

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ النساء.

ذكر الفقهاء، ورجال القانون في مدوّناتهم الفقهية، والقانونية العديد من الشروط، والصفات التي يجب توافرها في شخصية القاضي، والطريقة التي يجب ان يعمل على وفقها في الحكم بين الناس، وحل نزاعاتهم، وخصوماتهم، ويقع في مقدمة هذه الشروط، والصفات: المستوى العلمي، والعدالة، والامانة، والشجاعة، وسعة الصدر، والاحاطة

بالامور، والموضوعية، والحياد في التعامل مع المتخاصمين، الى غير ذلك مما ذكروه وأكدوا عليه.

غير ان امير المؤمنين عليه السلام في هذا النص، ونظراً لخطورة موقع القاضي، في الحياة الاجتماعية وأهمية دور القضاء في استقرار الامن، واثبات الحقوق بين الناس، جعل للحاكم شروطاً، وصفاتٍ تكميلية اخرى تضاف الى ما ذكره الفقهاء في مصنفاتهم، وهي أمور، وخصائص لا تلمس بالحس، ولا يدركها الا اهل الوعي والمعرفة، والبصيرة، وذلك من خلال التجربة الثرة، والخبرة، والممارسة العملية في شخصية القاضي.

وقبل استعراض هذه المواصفات في شخصية القاضي نود ان نقف عند مسألة؛ آلية اختيار القاضي، وطريقة ترشيحه لمهمة القضاء.

فان المعروف في بعض الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة الامريكية، ان عملية اختيار القاضي تتم في بعض الولايات من خلال الانتخابات العامة، باعتبار ان هذه العملية أفضل السبل لاختيار احسن القضاة في نظرهم، ولكن التجربة اثبتت ان القاضي المنتخب يكون مديناً، ومحكوماً لفضل الناس الذين انتخبوه، وخاضعاً لارادتهم، ورغباتهم،

وبالتالي يقع ضحية المجاملات، والمهادنات لارضاء منتخبيه، سواء كان يشعر بذلك، او لم يشعر.

وعندها يخرج القضاء عن اهدافه، وقيمه، وغاياته، واستقلاله عن المؤثرات السياسية والاجتماعية، والشخصية وغيرها.

في حين ان القضاء في الاسلام، وكما في كلام امير المؤمنين عليه السلام يتم من خلال عملية الاختيار المباشر، وهو التعيين وفق الشروط، والمواصفات الصارمة في شخصية القاضي انطلاقاً من مؤهلاته الذاتية، وخبرته العملية، وحياته المشهود لها بالعلم والتقوى، والسيرة الحسنة، وقوة الشخصية.

اما الشروط والصفات التي جاءت في عهد الامام علي عليه السلام فهي ما يأتي:

لا تَضِيقُ بِهِ الأمُورُ:

أي ان يتحلى برحابة الصدر، والاخلاق الفاضلة، وسعة الافق، وان لا يسمح للسأم، والضجر ان يأخذ طريقه الى نفسه، فان من طبيعة القضاء، وعمل القاضي ان يواجه صنوفاً شتى من الناس، والواناً من الطبائع، والاخلاقيات، يتطلب في معالجتها رحابة الصدر، وانفتاح القلب على

الجميع، وعدم التذمر، أو الانزعاج لأدنى سبب.

ولا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ:

أي لا يثيره المتنازعون بالشكل الذي يستدرج الى مناقشات، ومجادلات جانبية، وفي أمور هامشية، أو جزئية خارج نطاق الدعوى، والقضية المتخاصم عليها، أو يكون لجوجاً مجادلاً مصراً على رأيه الخطأ، إنما عليه ان يكون واعياً لموقعه، واضحاً في تحديد موضوع حكمه، محيطاً بجميع جوانب القضية المتنازع عليها بين يديه.

ولا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ:

أي لا يتوغل في الاثم، ولا يصر على الخطأ اذا عرف انه حاد عن جادة الصواب، وهذا الامر يحتاج الى اصالة في العقيدة، وثبات في الموقف، وورع في الدين والتزام بالقانون.

وان اخطر شيءٍ يقع فيه القاضي، أو الوزير، أو السياسي المتصدي هو شرعنة الاخطاء، والتنظير المجرد لها، والتفلسف لقبول الواقع المنحرف، لانه بذلك يعرض القضاء، والحياة المدنية الى الانحراف، والانهيار، ومن ثم الفوضى في مفاهيم الدين، والقانون -لا سمح الله-

فمن الشجاعة الامساك عن الخطأ، والعودة الى نهج الحق اذا اتضحت معالمه وبانت علائمه، ولا يضر حينئذٍ قول القائل، وعتب العاتب، فانّ الحق أحق ان يتبع، وان كلف ذلك بعض التضحية، او الخسران.

ولا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ:

ان موقع القاضي، وطبيعة عمله محط اغراءات الناس، فلا بد من ان يكون من ذوي النزاهة، والعفة والامانة، وصفاء النفس، والضمير، كي يعتصم بالتقوى، و يحفظ موقعه واستقلاله ويؤدي دوره بصدق ونزاهة واخلاص، وعدم الجور في الحكم، او الخيانة لامانة المسؤولية.

ولا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ:

أي ان يكون محيطاً، ومستوعباً، لجميع جوانب القضية المطروحة وتفاصيلها، وان لا يقف عند التحليلات الظاهرية، والتفسيرات، والاستنتاجات السطحية لها، فان بعض القضايا الجنائية، والاقتصادية، والاجتماعية، تحتاج الى نفَس طويل، واستعانة بالخبراء، وتعمق في الفهم، وبحثٍ وتحرٍ دقيق، والتأمل في الأدلة والمرجحات، وذلك نظراً لما فيها من تداخلات، وملابسات معقدة، تقتضي التعامل معها بدقة، وصبر، وأناة، حتى ياتي الحكم مناسباً لمقتضاه.

أَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ:

سُميت الشبهة «شبهة» لانها تشبه الحق في بعض جوانبه، وهي توجب الابهام، والالتباس، والتشكيك، وعدم الوضوح في الادلة المطروحة امام المحكمة، وهنا يبرز دور القاضي، ووعيه وذكاؤه وورعه، بعدم التسرع في الحكم، أو التعجل في اتخاذ القرار، لان المسألة تحتاج الى التريث، والاحتياط، حتى تعود القضايا والحوادث الى أصل صحيح، لان المتهم بريء حتى تثبت ادانته.

فان براءة ألف مجرم بسبب عدم كفاية الادلة خيرٌ من تجريم بريء واحد، وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال:

«ادرأوا الحدود بالشبهات» (١)

وقال كذلك:

«إدراوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فان وجدتم للمسلم مخرجاً فخلوا سبيله، فان الإمام لأن يخطئ في العفو خيرٌ من ان يخطئ في العقوبة»(٢)

---

(١) الصدوق- من لا يحضره الفقيه ٤/ ٧٤

(٢) كنز العمال/ ١٢٩٧١، وسنن ابن ماجه/ ٢٥٤٥.

فأصبح هذا الحديث الشريف قاعدة شرعية، وقانونية يعتمدها الفقهاء، ورجال القانون، في مجالات عملهم.

وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ:

الحجة هي الدليل الذي يحتج به في المنازعات، وأهم الحجج، الوثائق والمستندات والعهود والوصايا المكتوبة والاقرار من قبل المتهم والشهود العدول وهم البينة الشرعية.

فقد جاء في الحديث الشريف:

«اقرار العقلاء على انفسهم حجة - أو جائز»

وعن ابي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

«انما اقضي بينكم بالبينات والأيمان وبعضكم ألحن بحقه من بعض، فايّما رجل قطعتُ له من مال أخيه شيئاً، فأنما قطعتُ له به قطعة من النار»[(١)].

فلا ينبغي للقاضي ان يتجاوز البينات، والايمان، او يتجاهل الوثائق الصحيحة، والمستندات في حكمه، وقضائه، انما عليه ان يتبع الدليل، وان يميل معه حيثما يميل.

---

(١) وسائل الشيعة: ١٨/ باب صفات القاضي.

والشهود امام القضاء سواء، فلا تمايز لشخص دون آخر إلا بالصفات المشرعة في الشاهد مهما كان موقعه في المجتمع ومنصبه السياسي في الدولة.

قال عمر بن الخطاب للناس يوماً: ما قولكم لو ان أمير المؤمنين شاهد امرأة على معصية؟! يعني أتكفي شهادته في إقامة الحد عليها؟! فقال له علي ابن ابي طالب عليه السلام: يأتي بأربعة شهداء، أو يجلد حد القذف، شأنه في ذلك شأن سائر المسلمين[١].

وعلى الطرف الذي كسب القضية ظلماً وكان حكم القاضي لصالحه خطأ أو زوراً ان يعود الى نفسه، وان يتذكر حكم الله وشدة عقابه، فلا يتمادى في الجور، ويأكل أموال الناس بالباطل، فانه وان كان قد كسب الحكم في المحكمة في الدنيا وهو على نفسه بصيره، فان محكمة الله لا تخطئ ابداً ولا تجور، وان الله يعلم خائنه الاعين وما تخفى الصدور، فعليه ان يعود الى الحق ولا يتوغل في طريق الجور والخيانة والزور والباطل.

وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ:

---

(١) نقلاً عن كتاب حقوق الانسان لمحمد الغزالي/ ٢٧.

التبرم: الملل، والضجر.

وتعني هذه الكلمة من العهد الشريف ان يكون القاضي واسع الصدر، صبوراً لسماع المترافعين وجدل المتخاصمين، وينبغي عليه ان يحسن الاصغاء للطرفين، وان لا يسأم، ولا يضجر من تصرفاتهم، ولجاجة بعضهم، او تماديه في العناد، وأن يمتلك القدرة على التحمل ويصبر على الاستماع والتعب والمراجعة، حتى يتبين له وجه الصواب، وينكشف حكم القضية المطروحة بين يديه وينبلج الحق كضوء الصبح لذي عينين.

وَ أَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الأمُورِ:

هناك بعض القضايا المعقدة المطروحة بين يدي القاضي لا يتضح الحكم فيها رغم كثرة الادلة والقرائن والمستندات، انما تحتاج الى مزيد من الوقت والصبر، حتى تتبين الحقائق من خلال المراجعة والتدقيق والتأمل، وربط الموضوعات والاحداث والقرائن، وهنا يدخل الزمن كعنصر من العناصر المساعدة لكشف حقيقة القضية المطروحة.

ومن هنا يجب على القاضي ان يتمتع بالصبر والتحمل حتى تتجمع خيوط الحكم والقضاء بالتدريج، وبعدها يصدر الحكم النهائي في القضية وفق مقاصد الحق والعدل

والقانون.

والصبر هنا لا يعني الاستسلام للواقع المعقد، انما يعني التأمل والقدرة على التحمل لهذا الواقع.

وأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ:

أَصْرَمَهُمْ: أي اقطعهم للخصومة، وأقواهم في تحمل مسؤولية نتائج الحكم، وأمضاهم عزيمة في إحقاق الحق بعدما تبين من دون تردد أو وجل، ولا يخشى في ذلك لومة لائم.

ولا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ وَ لا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ:

الاطراء: هو الثناء والمدح، ومعنى ذلك؛ ان على القاضي ان لا يستخفه المدح، وكثرة الثناء من قبل الاشخاص، والجهات المتخاصمة، او الاشادة به من قبل القنوات الفضائية والمراكز الاعلامية والصحف، التي تهدف من وراء مدحه التأثير على حكمه، وقضاءه.

فعلى القاضي ان لا ينخدع بالاغراءات، او الترهيب والتحريض، والحرب النفسية، والاشاعات، فيحجم عن اصدار الحكم المستوفي لشروطه، ولوازمه.

ويختم الامام علي عليه السلام كلامه بعد ذكره هذه الصفات

والشروط للحاكم المتصدي للقضاء بقوله:

وَ أُولَئِكَ قَلِيلٌ:

أجل والله انهم قليل: أي ان من يتصف بهذه الصفات والطبائع الذاتية والاخلاقية التي عرضناها ضمن كلامه عليه السلام قليل جداً من الناس، واحياناً يصل الى حد الندرة، وبهذا يتضح ان مهمة القضاء مهمة صعبة، لانها ترتبط بتحقيق العدل، بين الناس، وحسم النزاعات، وارجاع الحقوق الى اهلها.

وان ذلك لا يتحقق الا من خلال القضاة الذين يتحلون بالعلم، والورع، والكفاءة، والامانة، والنزاهة، والاخلاص، والشجاعة، والشعور بالمسؤولية العامة امام الله تعالى، والوطن، والمجتمع.

ومن هنا نفهم مغزى، وعمق قوله عليه السلام لشريح القاضي حينما ولاه القضاء في الكوفة:

«يا شريح قدجلست مجلساً لا يجلسه إلا نبي، أو وصي نبي، أو شقي»(١)

---

(١) وسائل الشيعة ١٨/٧.

كما ان على القاضي ان لا يتهاون في تنفيذ احكام الله مستجيباً لضغوط شخصية، او اجتماعية، فان الناس سواسية امام الشرع والقانون، وانهم جميعاً لآدم، وآدم من تراب.

وقصة جبلة بن الايهم معروفة.

فقد كان هذا الرجل زعيماً وله شارات السيادة في الجاهلية والاسلام، وكان اول عمره نصرانياً، فأسلم مع من دخل من جماهير العرب في هذا الدين، وفي يوم كان يطوف بالكعبة فزاحمه اعرابي من العامة، وداس ثوبه غير قاصدٍ، فاستشاط الزعيم جبلة بن الايهم غيظاً ولطم الاعرابي على وجهه، ورفعت القضية الى عمر بن الخطاب، فحكم بالقصاص الا ان يعفو الاعرابي، فلم يصدق جبلة وقال مستنكراً: كيف ؟ والاعرابي من سوقة الناس، وانا ملك.
فقال عمر قولته الحاسمة:

إن الاسلام سوّى بينكما..! وطلب الامير جبلة بن الايهم مهلة يراجع فيها نفسه، ولكنه هرب اثناءها الى ارض الرومان راجعاً الى النصرانية، ومرتداً عن الاسلام.

لقد ترك دار الاسلام ارض المساواة في الشرع والقانون وآثر ارض الكفر ارض الطبقات، ترك شريعة تشدد في تكريم الانسانية، تحت أي اهاب من الفقر أو الغنى، ومع أي

نصيب من المال، الى دولة فيها الملوك، والامراء، وفيها الرعاع والفقراء، وفيها ترجيح الفوارق المزعومة للنسب والدم والمال.

وقد ذكر الرواة ان جبلة بن الايهم وهو في بحبوحة القلق والهم والالم، قد استيقظ ضميره، وتحركت في نفسه هواجس الندم:

أهكذا بهذه البساطة يفقد الامير دينه وعقله ورشده ومصيره لشعورٍ جاهلي طائش يخامره بالوهم، إذن ما أخسر الصفقة..! لذلك قال:

تنصرت الاشرافُ عن عار لطمة
وما كان فيها لو صبرتُ لها ضرر
تكنفني منها لجاجٌ ونخوةٌ
وبعتُ لها العينَ الصحيحةَ بالعور
فيا ليتَ أمي لم تلدني وليتني
رجعتُ إلى الامرِ الذي قالهُ عمر

ان هذه الحكاية لا تقرر حكماً عابراً في قضية خاصة حتى يمكن علاجها بقدر أقل من الصرامة، وقدر اكبر من

التجاوز، بدلاً من شريعة المساواة التي انتهى تطبيقها بارتداد شخصية مرموقة عن الاسلام، انما هو تقرير لمبدأ عام تحتكم اليه الاجيال، فقد انتصر هذا الاعرابي الغامض المغمور في الناس، حينما انتصف له رئيس الدولة، ليظل مثلاً للانسانية كلها في صورتها العارية عن الالقاب والانساب[1].

ويذكر لنا التاريخ كذلك ان جماعة من الصحابة في عصر الرسولﷺ حاولوا ان يخترقوا قاعدة المساواة العامة امام القانون فقوبلت محاولتهم بكل شدة، وذلك في قصة المرأة المخزومية، التي تقرر قطع يدها، لثبوت جريمة السرقة عليها، فرأوا ان يستشفعوا بأسامة بن زيد الى رسول اللهﷺ كي يتجاوز عن اقامة الحد لما لأسرة المرأة من مكانة، وكان الناس يعلمون ان رسول اللهﷺ شديد الحب لاسامة ولابيه زيد الذي قتل في معركة مؤتة.

فلما تحدث اسامة في شأن المرأة، غضب الرسولﷺ منه وانتهره وقال له مستنكراً:

أتشفع في حدٍ من حدود الله ؟

---

(١) محمد الغزالي: حقوق الانسان ص ٣٩. بتصرف

ثم قام في الناس خطيباً يقول لهم:

«إنما أهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[(١)]

وبهذا القول الحاسم والغضب المقدس لله ارسى النبيﷺ حجر المساواة العامة بين الناس كلهم امام شريعة الله وقانون السماء.

---

(١) البخاري: باب الحدود والديات.

مراقبة القضاة

ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ وَ افسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ وَ تَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ وَ أَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَراً بَلِيغاً فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى وَ تُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا.

بالرغم من التأكيد على صفات القاضي ومميزات شخصيته، فان الامام عليه السلام لا يكتفي بها، انما يؤكد على الوالي والحاكم العام ان يراقب القضاة، وان يتابع بنفسه اعمالهم وأحكامهم، وذلك لحساسية موقعهم، وخطورة مسؤولياتهم، حتى يتحقق العدل والانصاف في الحياة الاجتماعية.

فقد ورد عن الامام علي عليه السلام انه قال: لما ولّى أمير المؤمنين عليه السلام شريحاً القضاء في الكوفة، اشترط عليه ان لا ينفذ القضاء حتى يعرضه عليه[1].

ويذكر هذا النص من العهد الشريف قضية مهمة في هذا

(١) وسائل الشيعة ٦/١٨.

المجال، يعالج فيها مسألة الجانب المادي لدى القضاة، وضرورة توسيع البذل والعطاء المالي لهم، من اجل تغطية امورهم المعاشية، ليقطع الطريق على محاولات استغلال ضعفهم المادي، فلا يعدلوا في احكامهم، ولا ينصفوا الناس في قضائهم.

وفي السياق نفسه على الحاكم الاعلى والشخص الأول في البلاد ان يشعر القضاة بقيمتهم المعنوية، فيتعامل معهم بروح منفتحة، مع الاحترام والتقدير، وان لا يكون أحد من خاصته أثيراً عنده كالقضاة، فهم اقرب الناس اليه واحبهم لديه، فاذا كانوا بعيدين عن نظر الحاكم ومجلسه الخاص، فقد يسمع عليهم أقاويل الرجال، واهل الوشاية، والنميمة، والنفاق.

ومن هنا يجب عليه ان يقربهم الى مجلسه الخاص، فيسمع منهم مباشرة، ويستمعون منه توجيهاته العامة لخدمة الناس والمصلحة العامة بعيداً عن السُعاة والمتصيدين بالماء العكر.

ويجب على الحاكم السياسي والمتصدي المسؤول ان يهتم في شؤون القضاء، وان يكون نظره دقيقاً وعميقاً في ذلك مستفيداً من تجارب التاريخ وسيرة القضاة السابقين

الذين كانوا ادوات طيعة بيد الحكام المستبدين.

وهنا يشير الامام الى صفحة من صفحات تاريخ قضاة بني امية في خلافة عثمان، الذين استغلوا الاسلام وحكموا باسم الدين بالظلم والجور والهوى والرغبات وتعبير الامام عليه السلام في نهاية هذا النص قوله:

«فان هذا الدين كان أسيراً في ايدي الاشرار».

لا يخلو من حسرة وحزن وعبرة وألم من تداعيات تلك الحقبة القلقة التي تسلط فيها الجهلة والاشرار على مقدرات الامة، ومصادرة حقوقها التي تعرضت للتعسف والضياع على أيدي أؤلئك الطغاة والجناة.

شروط تعيين الموظفين

ثُمَّ انظُرْ فِي أُمورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً وَ لا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَ أَثَرَةً فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَ الْخِيَانَةِ وَ تَوَخَّ مِنهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَ الْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَ الْقَدَمِ فِي الأَسْلامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاقاً وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً وَ أَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقاً وَ أَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الأُمُورِ نَظَراً.

بعد أن فرغ الامام عليه السلام من أمر القضاة شرع في أمر الموظفين الاداريين والعاملين في المجالات المالية، والصدقات، والمؤسسات الخيرية، والأوقاف ونظائرها من مؤسسات الدولة ومنظمات المجتمع المدني.

فيجب أن يكون اختيارهم وتعيينهم وفق الاسس والضوابط المطلوبة لكل عمل من أعمالهم، وذلك من خلال اعتماد ذوي الخبرة والكفاءة العملية لتلك الوظائف والمسؤوليات، لا أن يكون التعيين والاختيار حسب المحاباة والمجاملات، أو الارتجال وعدم المشورة والمعرفة الحقيقية لكفاءآتهم ونزاهتهم.

فان عدم الالتزام بالضوابط والمواصفات في اختيار

الموظفين والعاملين في مؤسسات الدولة في مختلف المهام والاختصاصات العملية والفنية، يسبب تراجعاً في مسيرة الحكومة، وتخلفاً في أداء مشاريعها وبرامجها، ويكون مدعاة لاشاعة الفوضى الادارية والفساد المالي، وعدم الامانة في أداء المسؤولية في إدارة الدولة، وبناء مؤسسات المجتمع المدني.

وكما أن على الحاكم ان يختار من الموظفين من أهل الخبرة والاختصاص والتجربة الحية، من الذين يتصفون بالعفة والحياء، والتاريخ المشرف، والبيوتات الاصيلة بالسوابق الحسنة في الاسلام والمجتمع.

فان هذه السجايا والاخلاق الكريمة من شأنها أن تحصن اصحابها عن المخالفات الشرعية والقانونية او الوقوع في الرذائل والموبقات.

كما أن لهذه الصفات الحسنة، والسمات الحميدة دوراً فاعلاً على شخصية الانسان العامل لتعميق وعيه وسعة نظره وعدم غفلته من الانزلاق في الاخطاء، أو الانجرار وراء الميول والرغبات.

الرواتب والمخصصات

ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلاحِ أَنْفُسِهِمْ وَ غِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وَ ابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَ الْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الأَمَانَةِ وَ الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ.

ثلموا أمانتك: أي خانوا امانتك.

حدوةٌ لهم: سوقهم وحثهم.

اسبغ عليهم: أي وسّع عليهم، والاسباغ التوسعة في النعمة والرزق قال تعالى:

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

وفي الدعاء:

«**اللهم أسبغ علينا نعمك، أي أفضها سابغة واسعة**»[١]

يتناول هذا النص من العهد الشريف مسألة بالغة الأهمية

(١) ينظر: مجمع البحرين: مادلة «سبغ».

في حياة الموظفين والعاملين في ادارة الدولة، الا وهي مسألة المرتبات والمخصصات المالية لأولئك الموظفين، وذلك لتأمين حياتهم، وتحسين أوضاعهم المعيشية.

ومن هذا المنطلق يوصي الامام علي عليه السلام مالك الأشتر بالاهتمام بارزاق العاملين ومرتبات الموظفين وتوسعتها عليهم، وذلك لان استقرار الوضع المالي للموظفين بل لكل انسان يمنحه الاطمئنان النفسي، ويزيل عنه القلق واليأس والاحباط ويمنع من نفسه التفكير بالطمع والتجاوز على الاموال العامة، او ما في ايدي الناس.

ولهذا فان الحكومة اذا حققت ذلك المستوى اللائق لمعيشة الموظفين العاملين في الدولة، كان ذلك مبرراً قوياً لها على محاسبة ومعاقبة المخالفين للقوانين والاوامر والتعليمات الصادرة عنها، او المرتكبين للفساد الاداري والمالي، ومعاقبة المرتشين والمتجاوزين على اموال الدولة وحقوق المواطنين.

ومن أجل اصلاح اوضاع واحوال الموظفين المالية والمعيشية، يضع الامام علي عليه السلام الاليات المناسبة والسبل الكفيلة لمعالجلة انماط الخلل ونقاط الضعف في سير العمل الاداري.

ومن أبرز تلك الآليات ان يفعّل الحاكم والمسؤول المتصدي لجان الرقابة المالية والتفتيش العام لمتابعة عمل الموظفين، وطريقة تعاملهم مع قضايا الناس، شريطة ان تكون هذه اللجان الرقابية المعتمدة لدى الحكومة تتكون من العناصر الكفوءة والنزيهة، ومن ذوي الصدق، والحرص، والامانة.

لأن متابعة الحاكم واهتمامه المباشر لعمل الموظفين والعاملين في ادارة الدولة، ومراقبة تعاملهم مع الناس، وطريقة ادائهم لاعمالهم، يدفعهم للجدية في العمل، ويحثهم على الاخلاص والاستقامة، ويزرع في نفوسهم بذور حب الوطن والمجتمع، والصدق والوفاء للدين والقانون والدولة، وعدم الجور والخيانة.

عدم التساهل مع الاعوان

وَ تَحَفَّظْ مِنَ الأَعْوَانِ فَإِنْ أَحَدٌ مِنهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً فَبَسَطْتَ عَلَيهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ وَ أَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ وَ وَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ وَ قَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ.

بعد تأكيد الامام أمير المؤمنين عليه السلام على اهمية دور اللجان التفتيشية والرقابية في متابعة وترشيد العمل الاداري للدولة، يشدد عليه السلام على المسؤول المتصدي ان لا يكتفي بهذه اللجان، او يتكل على معطيات ونتائج عملها، حيال عمل الاداريين والعاملين في اجهزة الحكومة.

وانما لا بد لهذا المسؤول من متابعة هذا الشأن الحساس بنفسه، وذلك لضبط الامور وتطبيق القانون على الجميع، وحفظ اموال وممتلكات الدولة.

واما الاعوان وهم العناصر المعتمدة في الحكومة والمقربة لدى الحاكم والمسؤول، فان الامام عليه السلام ينبه ويشدد على كل مسؤول ان لا يخضع لارادتهم او يستجيب لرغباتهم، او يمنحهم الصلاحيات الواسعة خلافاً للقانون.

لان هؤلاء الاعوان بحكم مركزهم الاداري والسياسي يستغلون مناصبهم لمصالحهم الخاصة، ويستأثرون بالاموال العامة، ويتطاولون على اموال الآخرين متجاوزين احكام الشرع والقانون.

فاذا ثبت ان هذه المجموعة من الاعوان والعناصر المحيطة بالمسؤول ارتكبت خيانة، او تجاوزت على القانون او خرق للتعليمات والضوابط الادارية، فيجب على الحاكم ان يأخذهم بالحسم، وعدم التساهل او التهاون، وعليه ان يبادر الى تطبيق القانون بحقهم بكل جدية حسب نوع وحجم الجريمة وقد يكون الاجراء وفق القانون المتبع بالتدرج من التنبيه، والفات النظر، والتحذير، ثم قرار العزل والعقوبة المناسبة لنوع التجاوز ومستوى الخيانة.

كل ذلك لكي لا تشيع ظاهرة الفساد الاداري والمالي في كيان الدولة فتتعرض الى التصدع والانهيار في مختلف المجالات والاصعدة.

أهمية الخراج

وَ تَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلاحِهِ وَصَلاحِهِمْ صَلاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ وَ لا صَلاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلا بِهِمْ لأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَ أَهْلِهِ.

الخراج: هو ما يفرضه الحاكم الشرعي، أو الدولة القانونية من مبلغ من المال، أو قدر معين من الانتاج على الارض العامرة زراعياً، أو بشرياً، وربما جاء تعبير الخراج في كلمات الفقهاء ليشمل حتى الارض الموات التي أحياها الانسان بجهده الشخصي.

ذكر الشيخ الطوسي «عليه الرحمة»:

«إن احياء الارض يؤدي لتمتع الفرد بحق في الارض، وتبقى ملكية رقبة الارض للامام».

وربما أيده بعض علماء السنة في الارض التي تسقى بماء الخراج «النهر المفتوح» والمزارع الذي يعمل في ارض المسلمين مستأجر للإمام «للدولة» ان يبدل عقد الاجارة عند الانتهاء.

وأما المحقق الحلي فقد جاء في كتابه شرائع الاسلام:

«من أحيا من الارض من المسلمين فليعمرها، وليؤدي خراجها الى الامام وله ما أكل منها».

وفي خبر حماد بن عيسى ان الامام موسى بن جعفر عليه السلام قال:

«ان الارض التي أخذت عنوة، موقوفة متروكة بيد من يعمرها، ويحيها ويقوم عليها على قدر طاقتهم من الخراج»[1].

وفي ضوء ما تقدم فان الخراج هو الضريبة المالية المجعولة من قبل الشرع والقانون على اصحاب الاراضي، والمزارعين، ويمثل الخراج العصب الحي لاقتصاد الدولة، وميزانية الحكومة لمشاريع التنمية والاعمار، والمؤسسات الخدمية، والاجتماعية.

ويجب على الحاكم المسؤول ان يهتم بتنمية هذا الجانب الاقتصادي، والحيوي، في بلاده، وان يتابع بنفسه هذا الموضوع الحساس، لأن اصلاح المجتمع وتطور

(١) يراجع كتاب: الدولة الاسلامية ـ دراسات في وظائفها السياسية والاقتصادية ـ للشيخ محمد علي التسخيري ص ٢١٧.

مؤسساته متوقف على نجاح الخطة الاقتصادية للبلاد، وان أي تخلف، أو تراجع، أو فشل لهذه الخطة ينعكس سلبياً على سائر الجوانب الحياتية الاخرى في المجتمع.

إذ لا يخفى ان المجتمعات الاسلامية في عموم الوطن الاسلامي خصوصاً في العراق، ومصر، والجزيرة العربية، كانت الى ما قبل اكتشاف النفط والثروات المعدنية الاخرى في القرن العشرين الميلادي قائمة على الثروات الزراعية، وتعيش على ما تنتجه الارض من محاصيل، وخيرات، وان اكثر المهن شيوعاً وانتشاراً في البلاد الاسلامية يومذاك الزراعة، وهي العلاقة بالارض من خلال استصلاحها وزراعتها، فبقدر ما يعطي الانسان من جهده، وعرقه لهذه الارض، فانها تعطيه ما يريد لتقوم حياته وتعيد قوته ونشاطه.

ومن دون شك فان ما يتم من استصلاح الارض، والاهتمام بها، وتنظيم عملية العلاقة بين المزارعين، والدولة، وتقديم التسهيلات القانونية، واللوجستية للمزارعين، فان ذلك ينعكس ايجابياً على عموم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكما عبر الامام عليه السلام بقوله:

«لأن الناس كلهم عيال على الخراج واهله».

عمارة الارض

وَ لْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلابِ الْخَرَاجِ لأَنَّ ذَلِكَ لا يُدْرَكُ إِلا بِالْعِمَارَةِ وَ مَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ وَ لَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلا قَلِيلاً فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً أَوْ عِلَّةً أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّةٍ أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ.

يؤكد الامام علي عليه السلام في هذا المقطع من عهده ان نقطة البداية في التطور والتنمية، هي عمارة الارض، واستصلاحها بالزراعة، وصيانتها من الآفات، والتصحر والاملاح، وذلك لكي تبقى الارض في حالة عطاء مستمر، لان عمارة الارض لا تعود بالنفع على المزارعين فحسب، انما تشمل الدولة، والمجتمع بجميع طبقاته وفئاته.

وان اهمالها باي صورة كانت يعني تعريض العباد، والبلاد للخراب، والهلاك.

ولعل من أخطر اشكال الخراب والدمار في حياة الامم والشعوب، ان يكون تخطيط الحكومة، والدولة على استحصال الخراج «الضرائب» وعوائد الارض من المزارعين

فحسب، دون الاهتمام بعمارة الارض واصلاحها، او تخفيف الاعباء على الفلاحين، والعاملين فيها.

وهناك خطر آخر يأتي في هذا السياق، وهو ان تقوم الحكومة باستيراد المواد الغذائية للشعب باصنافها المتعددة من الدول الأخرى، تاركة مشاريع الاعمار والاصلاح الزراعي في عموم أرضها الطيبة، التي بارك الله فيها، وإعمار الأرض بالمصطلح الفقهي: يعني إحياء الارض الموات وإعمارها بالزرعة والبناء.

وقد يندرج في اطار اعمار الارض تقديم الخدمات للناس بتعمير الطرق، وبناء الجسور، والمستشفيات، والمدارس، والمؤسسات الاجتماعية، وبناء المعامل والمصانع، والمؤسسات الخدمية، قبل التفكير باستجلاب «الخراج» وفرض الضرائب، والرسوم المالية، لان «الخراج» لا يحصل الا بعد العمارة، واستصلاح الارض الزراعية.

فاذا انعكس الامر وبدأ الحاكم يفكر بفرض الضرائب واستلاب الاموال فحسب، ولم يعر أية أهمية للتنمية والخدمات الزراعية والانتاجية الاخرى، فانه يسير في طريق الخراب، والانهيار الاقتصادي، والاجتماعي، ولم تدم دولته الا قليلا، والتاريخ مليء بالشواهد على ذلك.

ويذكر الامام عليه السلام الوزراء، والمسؤولين في الدولة بان يتعاملوا مع المزارعين بروح التسامح والعفو خصوصاً في الظروف الاستثنائية، والحالات الخاصة، التي يتعرضون لها مثل:

الثقل: وهو عدم القدرة على دفع الضريبة المطلوبة، أو الشكوى من شخصية العامل المكلف باستلامها.

العلة: وهو الآفة التي تصيب «الغلة» والمزارع كالجراد، أو العواصف الثلجية، أو الصواعق، والانواء الجوية.

انقطاع شرب: جفاف الارض، او نقص الماء بسبب سوء حفر الآبار، والانهار.

بالّة: ويعني المطر الغزير المضر بالزراعة.

إحالة ارض اغتمرها غرق: يعني كون الارض قد حالت أي انخفضت كثيراً بالشكل الذي غمرها الماء، واستولى عليها، وافسد زرعها.

اجحف بها عطش: أي أتلفها الجفاف.

هذه الاسباب وغيرها قد تصيب المحاصيل الزراعية فعلى المسؤول ان يراعي هذه المشكلات، وان يتعامل معها بروح واقعية، بعيداً عن التعسف والأنانية.

وان اكثر ماتحتاجه الارض هو توفير المياه لها عن طريق بناء السدود، او حفر الآبار الجوفية، وصيانة شبكة الانهار، وتنظيم الري، هذا بالاضافة الى تقوية الارض بالاسمدة، والمواد الكيمياوية، والادوية التي تحميها من الافات، وتزيد في انتاجها.

كما لا بد من رفع مستوى وعي وخبرة المزارعين وثقافة الفلاحين، وتطويرهم في مجالات الزراعة والتعامل مع الارض وفق الوسائل المتطورة.

وكذلك توفير المعدات والالات الحديثة، التي تسهم في تسهيل المهمة الزراعية.

سياسة العفو والتسامح

وَ لا يَثقُلَنَّ عَلَيكَ شَيءٌ خَفَّفتَ بِهِ الْمَئُونَةَ عَنهُمْ فَإِنَّهُ ذُخرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيكَ فِي عِمَارَةِ بِلادِكَ وَ تَزيِينِ ولايَتِكَ مَعَ اسْتِجلابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ وَتَبجُّحِكَ باسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ مُعْتَمِداً فَضلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخرتَ عِندَهُمْ مِنْ إجْمَامِكَ لَهُمْ وَالثِّقَةَ مِنهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيهِمْ وَ رِفْقِكَ[1] بِهِمْ فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الأمُورِ مَا إذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيهِمْ مِنْ بَعْدُ احتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنفُسُهُمْ بِهِ فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ وَ إِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الأرْضِ مِنْ إعْوَازِ أَهْلِهَا وَ إِنَّمَا يُعوِزُ أَهْلُهَا لاشْرَافِ أَنفُسِ الْوُلاةِ عَلَى الْجَمْعِ وَ سُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ وَ قِلَّةِ انتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ.

من الاضرار التي تلحق بالمزارعين هو استغراق الحكومة في فرض الخراج «الضرائب» الباهضة عليهم من دون مراعاة لدخلهم السنوي المحدود، مما يولد عند المزارعين شعوراً بانهم يكدّون ويعملون لغيرهم فقط، ولا يجنون من رواء جهدهم، ومعاناتهم شيئاً ذا قيمة.

أما اذا وجد المزارع دعما واهتماماً من قبل الدولة له، بان

---

(١) وفي نسخة «في رفقك»

تخفف من الضرائب «الخراج» والرسوم المالية، وتقدر دوره، وجهده، وجهاده في اعمار الارض، واستصلاحها، عند ذلك يشعر بالثقة، وينطلق للعمل من دون احباط، او يأس.

وهنا يقدم الامام علي عليه السلام درساً اخلاقياً رائعاً للولاة، والحكام، وهو انه يجب ان لا يشعروا بالندم، او المنة على أي شيء قدموه، او تسامحوا به في قضية الخراج، والضرائب المرسومة على المزارعين، لان هذا التسامح رصيد مدّخر يعود بالخير، والرفاه على الدولة، وعلى المواطنين في الحاضر والمستقبل.

فيعم العدل ويسود الاستقرار من خلال تعميق الثقة المتبادلة بين الحاكم والرعية، فاذا تعرضت البلاد في المستقبل -لا سمح الله- الى ظروف صعبة، أو أزمة سياسية، او اقتصادية، او كارثة طبيعية، فليس لها الا ابناء الشعب الذين يقفون مع الوالي وقفة جادة، ويدفعون عن بلادهم المشكلات، والأزمات.

اما اذا كانت العلاقة بين الحكومة والامة تفتقد الى الثقة، وتقوم على اساس الشك، وعدم الانسجام، فان أي مشكلة تتحول الى أزمة كبيرة تعصف باستقرار البلد وأمنه، وتمزق وحدته، وتعطل تطوره.

مسؤوليات الوزراء في الدولة

ثُمَّ انظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَايِدَكَ وَ أَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ الأَخْلاقِ مِمَّنْ لا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ فَيَجْتَرِئَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلا وَ لا تَقْصُرُ[1] بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ وَ إِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَ يُعْطِي مِنْكَ وَ لا يُضْعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ وَ لا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ وَ لا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الأُمُورِ فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَل.

الكتُاب: هم الوزراء ووكلائهم، والموظفون الخاصون بادارة شؤون الدولة، وأمور الديوان، وأمناء السرّ على سياسة الحكومة والاموال العامة، وهم حفظة الوثائق، والارشيف الخاص، والاتفاقيات السياسية، والامور المتعلقة بخطط الحكومة ومشاريعها.

قال ابن ابي الحديد:

«واعلم ان الكاتب الذي يشير أمير المؤمنين عليه السلام

(١) وفي نسخة «تقصُر».

اليه، هو الذي يسمى الآن في الاصطلاح العرفي وزيراً، لأنه صاحب تدبير حضرة الامير، والنائب عنه في أموره، وإليه تصل مكتوبات العمّال، والمهيمن عليهم، وهو على الحقيقة كاتب الكتاب، ولهذا يسمّونه: الكاتب المطلق»[١].

وهؤلاء الكتاب «الوزراء» يجب ان يتم اختيارهم بدقة، وموضوعية بعيداً عن المحسوبية والمنسوبية والمحاصصة غير الموضوعية، وان يكونوا من أهل الدين، والتقوى، والكفاءة، والشجاعة، والاخلاق الفاضلة، والصفات الحميدة.

وان لا يكونوا من اهل الاطماع، والاهواء، والشهوات، والسوابق السيئة.

فانهم يمثلون الدائرة الخاصة للحكومة التي تصدر عنها القرارات والتعليمات لدوائر الدولة، كما يجب ان يكونوا من الذين يعرفون دورهم ومهمتهم بوعي وحصافة، ولا ينسون انفسهم بسبب التكريم من قبل الحاكم «رئيس الدولة»، فيصيبهم البطر، والعجب، او التكبر أو التساهل، فيتجرأون على الحاكم امام الناس، وفي المجالس العامة، فتسقط هيبة

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٧/٧٩.

الحكومة، وتضعف امام المجتمع العام بسبب سوء تصرفهم أو فضولهم.

وكذلك يجب ان يتمتع هؤلاء الكتاب «الوزراء» بذكاء خاص، ووعي متميز، وعدم الغفلة عن متابعة البريد السري الخاص، والرسائل العاجلة، والمطالعات حول المشاريع والاشكاليات، وكيفية الاجوبة لها، والردود عليها.

التجربة أساس للإختيار

ثُمَّ لا يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَ اسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنكَ فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ[(١)] لِفِرَاسَاتِ الْوُلاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَ حُسْنِ خِدْمَتِهِمْ وَ لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالأَمَانَةِ شَيْءٌ وَ لَكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا[(٢)] لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ فَاعْمِدْ لأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَراً وَ أَعْرَفِهِمْ بِالأَمَانَةِ وَجْهاً فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَ لِمَنْ وُلِّيتَ[(٣)] أَمْرَهُ.

وبالنظر لأهمية الوزراء، ودورهم المهم في تسيير أمور الحكومة، وتنفيذ مشاريعها، وموقع الموظفين الكبار المعنيين بادارة الدولة، وإعداد المخاطبات، والمراسلات الرسمية، بين الحكومة، ومؤسسات الدولة، فينبغي على الحاكم ان يكون دقيقاً في اختيارهم، ولا يعتمد في تعيين هؤلاء، على نظره الشخصي، ومزاجه الخاص، فانه مهما كان ثاقب النظر، دقيق الاختيار، فقد يختار غير الاكفاء لهذه المهام الصعبة، والمسؤوليات الادارية والقانونية الخطيرة.

---

(١) وفي نسخة «يتعرفون».

(٢) وفي نسخة «وَلوا».

(٣) وفي نسخة «وليتَ».

لان هؤلاء الموظفين يمتلكون القدرة على الخداع، والتلون، والظهور بمظهر ذوي الكفاءة، والخبرة، والنزاهة، ويدّعون التاريخ المشرّف، والمواقف البطولية، من خلال كلماتهم المعسولة، وحالات التصنع التي يجيدونها.

وفي ضوء ذلك يجب على الحاكم ان يختارهم على اساس التجربة، ووفق الضوابط والأسس الموضوعية التي منها:

١- ان يكونوا من ذوي الاصالة، والفضل والصلاح، والاخلاص.

٢- ان يكونوا من ذوي الذكر الطيب، والسيرة الحسنة في المجتمع، ومن الذين قدموا خدمات اجتماعية، واضحة المعالم في حياة الناس.

٣- ان يكونوا من أهل الامانة والنزاهة ومن الذين لم يعرفوا بالتلاعب بالاموال العامة، أو التساهل فيها، ولم تتلوث أيديهم بالجرائم وبالفساد الاداري والمالي في مؤسسات الدولة.

فان تحققت هذه المواصفات في اختيار هؤلاء الموظفين، فيتم تكليفهم، والاعتماد عليهم، وبهذا تفرغ ذمة الحاكم ويعذر عند الله، وهو دليل على صدقه في تحمله المسؤولية وعلاقته بربه وأمته.

توزيع المهام والاعمال

وَ اجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ لا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا وَ لا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا وَ مَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ.

إن مسألة تقسيم الاعمال، وتوزيع الاختصاصات في الادارة العامة من المسائل الاساسية في نجاح العمل الاداري، ولعل هذا النص من عهد الإمام عليه السلام، هو أول نص في تراثنا الاسلامي يشير الى مسألة التخصص في الادارة ويؤكد عليها.

فلا بدّ للحاكم والمسؤول المتصدي، من ان يوزع المهمات، والمسؤوليات على موظفيه، والعاملين معه، لان ادارة الدولة عمل واسع ومعقد، فهي تحتاج الى كل التخصصات العلمية والمهنية، ولكي تنتظم امور ادارة الدولة، وبرامج الحكومة في هذا المجال، يجب اعتماد هذا المبدأ في الادارة والعمل.

قال ابن ابي الحديد:

«ثم أمره ان يقسّم فنون الكتابة، وضروبها بينهم -اي الكتّاب- نحو ان يكون احدهم للرسائل الى الاطراف،

والاعداء، والاخر لاجوبة عمّال السواد، والاخر بحضرة الامير في خاصته، وداره وحاشيته وثقاته»(١)

ومن هذا المنطلق فان الحاكم لا يعذر بتجاهله، او تغافله عن ضعف، او تقصير، او تجاوز وزرائه وموظفيه، فانه ملزم أمام الله تعالى، وأمام المجتمع بمحاسبة المقصرين، والزامهم بما ألزموا به انفسهم، حيث انهم أدوا القسم الشرعي، واليمين الدستورية بالله العلي العظيم امام الامة على ان يلتزموا بمبادئ الدستور المتفق عليه عبر استفتاء الشعب، واداء المسؤولية بتفان، واخلاص في سبيل حماية الوطن، وخدمة المواطنين.

لان الوزير المسؤول المتصدي يكون حسابه كبيراً، وعسيراً بحكم مركزه الخطير، وموقعه في الخط الاول لادارة الدولة، وشؤون الحكومة.

كما لا بد ان تسند المسؤولية لشخصيات قوية تتمتع بالمؤهلات، والملكات النفسية، والادارية كالثقة بالنفس، والشجاعة، والقدرة على اتخاذ القرارات الصعبة، وان يكونوا من الذين لا تختلط عليهم الامور من تزاحم الاعمال، وكثرة

(١) شرح نهج البلاغة: ٧٩/١٧.

المهمات.

فيجب ان يتمتع المسؤول بعقل كبير ومبرمج، وذهن وقاد بالذكاء، وفكر ممنهج، بحيث يمتلك القدرة على تشخيص الموضوعات، وفرز الحالات المتشابهة، والتعامل معها وفق الضوابط والاصول الادارية والقانونية.

الاهتمام بالتجارة والصناعة

ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَ ذَوِي الصِّنَاعَاتِ وَ أَوْصِ بِهِمْ خَيْراً الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَ الْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ وَ الْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ وَ أَسْبَابُ الْمَرَافِقِ وَجُلابِهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَ الْمَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وَ بَحْرِكَ وَ سَهْلِكَ وَ جَبَلِكَ وَ حَيْثُ لا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَ لا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لا تُخَافُ بَائِقَتُهُ وَصُلْحٌ لا تُخْشَى غَائِلَتُهُ.

استوصي بالتجار: أي اقبل الوصية مني، وأوصي بهم انت غيرك.

المضطرب بماله: المسافر بتجارته. والضرب: السير، قال تعالى:

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٠١].

المترفق ببدنه: ويشمل العمال والفلاحين وأصحاب الحرف اليدوية.

المطارح: الاماكن البعيدة.

حواشي بلادك: أطراف بلادك.

بعد ان تطرق الامام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا العهد الشريف الى الجانب السياسي، والاداري لشؤون الدولة

والمجتمع، يأتي الاهتمام بالجانب الاقتصادي من خلال العناية بالتجار، واصحاب الحرف، والاعمال، والمستوردين للمواد الغذائية، والانشائية، وغيرها.. من البلاد البعيدة.

فيجب التعامل مع هذه الطبقة باللطف والرعاية لأنهم مصدر المنافع العامة، والحركة الاقتصادية، وهم الذين يقومون بتلبية الحاجات الحياتية للناس، سواء عبر الانتاج الزراعي والصناعي وحركة التصدير والاستيراد من خلال المطارات والمنافذ البرية، او الموانئ البحرية للبلاد وغيرها.

وبهذا يؤدي التجار، واصحاب الصناعات خدمة كبيرة للمجتمع، لانه لا يتاح لكل الناس تهيئة حاجاتهم بأيديهم ولا يسعهم الوصول الى تلك الاماكن البعيدة، ولا يستطيعون الصبر على متاعب جلب تلك المواد التي يحتاجونها.

وفي نهاية هذا النص يؤكد الامام عليه السلام على قضية مهمة، وهي ان طبقة التجار واصحاب الاموال والمستوردين والعمال والفلاحين، هم أُناس مسالمون بطبيعتهم، فلا يخشى منهم الفتن، والمؤامرات، ولا يقدمون على التمرد والعصيان للحكومة في اغلب الاحيان، لان همهم هو العمل، وهدفهم كسب الرزق، ويصعب عليهم التدخل في القضايا السياسية وتعقيداتها التي تمنعهم من تحقيق اهدافهم التجارية والاقتصادية.

مراقبة السوق ومنع الاحتكار

وَ تَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَ فِي حَوَاشِي بِلادِكَ وَ اعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً وَ شُحّاً قَبِيحاً وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ وَ تَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ وَ ذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَ عَيْبٌ عَلَى الْوُلاةِ فَامْنَعْ مِنَ الأَحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) مَنَعَ مِنْهُ وَ لْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً بِمَوَازِينِ عَدْلٍ وَأَسْعَارٍ لا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَ الْمُبْتَاعِ فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ وَ عَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ.

ثم يؤكد الامام عليه السلام على متابعة أمور التجار والتجارة من قبل الحاكم مباشرة، والاطلاع عن كثب على قضاياهم، وطريقة معاملاتهم في السوق، سواء من كان في مركز العاصمة، أو في المدن والنواحي الاخرى، وذلك من أجل ارشادهم، وتوجيههم، ونصحهم بعدم استغلال الرعية، والتحكم بأسواق المسلمين، لأن من بين التجار عناصر ضعيفة النفوس لا يهمها الا كسب الارباح بكل وسيلة، والتماس الثروة على حساب الفقراء من الناس.

ومنهم البخلاء، وذوو الشح، والمحتكرون الذين يحبسون المواد الغذائية، ويحتكرونها رجاء زيادة الاسعار،

ومزيداً من الكسب والارباح، والاحتكار عند الفقهاء لا يشمل غير الاطعمة وان كان يرى بعض الفقهاء المعاصرين شموله للمواد الحياتية الضرورية وان لم تكن من الاطعمة.

وان في هذا أذى وضرراً كبيراً على العامة من الناس، وهو خلل في ادارة الحكومة، وضعف في الحاكم لعدم قدرته على مواجهة هؤلاء المتحكمين في الحياة الاقتصادية للمسلمين، وصدهم عن هذا السلوك المشين.

عن الامام الصادق عليه السلام قال:

«**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم: الجالب مرزوق والمحتكر ملعون»[١].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**من احتكر يريد أن يتغالى بها على المسلمين فهو خاطىء، وقد برئ منه ذمة الله**»[٢].

عن اليسع بن المغيرة قال:

«**مرّ رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم برجل بالسوق يبيع طعاماً هو أرخص

(١) وسائل الشيعة ١٢/ ٣١٣.

(٢) مستدرك الوسائل ٢/ ١٢ كتاب البيوع.

من سعر السوق، فقال له: تبيع في سوقنا بسعر هو أرخص من سعرنا. قال: نعم. قالﷺ: صبراً واحتسابًا؟. قال: نعم. قالﷺ: أبشر فان الجالب الى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله، والمحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله»[١].

وعن الامام علي عليه السلام عن رسول اللهﷺ:

«انه مرّ بالمحتكرين فأمر بحكرتهم أن تخرج الى بطون الاسواق وحيث تنظر الابصار اليها، فقيل لرسول اللهﷺ لو قوّمت عليهم، فغضب رسول اللهﷺ حتى عرف الغضب في وجهه. فقال:

«أنا أقوّم عليهم إنما السعر الى الله: يرفعه اذا شاء ويخفضه إذا شاء»[٢].

أي ان الحاكم الشرعي لا يتدخل في فرض الاسعار، والتحكم في الاسواق مباشرة، انما الاسعار تخضع لقانون العرض والطلب، وطبيعة الحياة الاقتصادية، والظروف الاجتماعية التي يعيشها الناس.

وعلى هذا يجب ان تكون التجارة والمعاملات بين

---

(١) نفس المصدر.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣/ ٢٦٥.

الناس قائمة على موازين انسانية، ومعايير اخلاقية منصفة من التسامح، والعدل، والتوازن، وعدم الربح المفرط، أو الجشع.

ومن خالف هذا النهج، وحاول الاحتكار، والتلاعب بالاسعار مع علمه وسبق الاصرار، فعلى الحاكم ان يؤدبه ويعاقبه بما يناسبه من العقوبة والتاديب، من غير اسراف - أي من غير تعسف وقسوة.

ومسألة العقوبة لهؤلاء المحتكرين للمواد الغذائية في السوق الاسلامية، لم يكن لها نص شرعي محدد، ولهذا فانها تترك لتقدير الحاكم، وهي تختلف باختلاف مستوى الاحتكار وطبيعة الاشخاص والظروف التي يعيشها البلد.

حقوق المحرومين

ثُمَّ اللَّهَ اللَّهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفلَى مِنَ الَّذِينَ لا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَ أَهْلِ الْبُؤْسَى وَ الزَّمْنَى فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَ مُعْتَرّاً وَ احْفَظِ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ وَ اجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكِ وَ قِسْماً مِنْ غَلاتِ صَوَافِي الاسْلامِ فِي كُلِّ بَلَدِ فَإِنَّ لِلأَقْصَى مِنهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنَى وَ كُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ.

أهل البؤسى والزمنى: الفقراء، والمعوقون، وأهل العلل، والامراض المزمنة.

القانع: الفقير الذي يقنع بما يعطى له، وتبدو عليه علامات الارتياح، والرضى بما قدم له من العطاء.

المعتر: الفقير الذي يسأل المعونة، ولا يقتنع بما يعطى لهُ، بل يحتج على ذلك ايضاً.

وقد ذكر القرآن الكريم هذين الصنفين في قوله تعالى:

﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦].

غلات صوافي الاسلام: ثمرات، ومحاصيل الاراضي الزراعية الصافية، التي فتحت بغير الحرب، وكانت لرسول الله ﷺ خاصة، ومن بعده للامام المعصوم عليه السلام لانها لم

يوجف عليها بخيل، ولا ركاب - أي لم يجتمع عليها جيش، ولم يفتحها المسلمون بقوة السلاح.

بعد ان أتم الامام علي عليه السلام حديثه عن الاقتصاد، والتجارة ينتقل في كلامه الى التذكير في الطبقات الفقيرة، والمحرومة من المجتمع، فأوصى بهم، وحث الحاكم والمسؤول المتصدي للشؤون العامة على الاهتمام بهم، ورعايتهم مادياً ومعنوياً.

بقوله عليه السلام: «**ثُمَّ اللَّهَ اللَّهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى**»

وتكرار كلمة الله.. الله في صدر الجملة مع انها مفعول به منصوب بعامل محذوف تقديره: إتق الله إتق الله، أو ما أشبه هذا الفعل مما يعبر عن منتهى الاهتمام والتوجيه والتوصية، والتأكيد على مساعدة وكفالة هذه الشريحة الاجتماعية الضعيفة.

فحق هذه الطبقة الفقيرة من حق الله، لانهم عباده الذين يستحقون الرحمة والشفقة، وهل الدين الا تعظيم الخالق والشفقة على المخلوق.

ولم يكتفِ الامام عليه السلام بالتوصية، والموعظة بالتذكير بهؤلاء الضعفاء نظرياً، بل يأمر عامله مالك الاشتر، بأن يجعل لهم حقاً ثابتاً في ميزانية الدولة، ولهم مخصصات

مالية، وعينية من الانتاج الزراعي في الاراضي، التي يتصرف بها الحاكم الشرعي، ورئيس الدولة المنتخب وفق القانون، وذلك من خلال انشاء المؤسسات الخاصة برعايتهم وضمان حياتهم، وكرامتهم من خلال المؤسسات الحكومية التي تنطلق من مبدأ الضمان والتوازن الاجتماعي في البلد الواحد، من أموال الأنفال والزكوات مما يستحقه الفقير شرعاً.

وهذه الطبقة من الفقراء، والمساكين في الوطن الاسلامي طبقة واحدة لا تمايز فيها، ولا تصنيف قومي أو طائفي، ولا تختلف باختلاف المواقع الجغرافية، فحق البعيد في المناطق النائية كحق القريب من مركز الدولة، وهم فيه سواء.

تواضع المسؤول أمام الفقراء

وَ لا[١] يَشْغَلَنَّكَ عَنهُمْ بَطَرٌ فَإِنَّكَ لا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لأَحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ فَلا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنهُمْ وَ لا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ وَ تَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لا يَصِلُ إِلَيكَ مِنهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَ تَحْقِرُهُ[٢] الرِّجَالُ فَفَرِّغْ لأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَ التَّوَاضُعِ فَلْيَرْفَعْ إِلَيكَ أُمُورَهُمْ.

البطر: الطغيان بالنعمة.

تصعّر خدك: أي لا تتكبر عليهم، أو تعجب بنفسك أمامهم.

وهنا يحذّرُ الامام علي عليه السلام الحكام، والمتصدين للشؤون العامة، بأن لا يتكبروا على الفقراء، وان لا يصابوا بمرض العجب، والغرور أمام هذه الشريحة الاجتماعية المحرومة، لان اجواء السلطة والحكم مدعاة للبطر والخيلاء، فيصاب الحاكم والمسؤول بمرض اختلال

(١) وفي نسخة «فلا»

(٢) وفي نسخة «تحتقره»

التوازن، وعدم التواضع لله امام هؤلاء البؤساء والمساكين.

بل لابد على الحاكم ان يخشى الله سبحانه في ذلك، ويحذر من رقابته، وشديد عقابه، لان حساب المسؤول عند الله سبحانه كبير وموقفه شديد واكبر من غيره من الناس، فيجب عليه الاهتمام بهذه الطبقة من المجتمع ورعايتها ومساعدتها، في جميع شؤونها وجوانب حياتها.

بل عليه ان يتابع عن كثب اولئك الفقراء الذين لم يستطيعوا الوصول اليه، ممن تصده عوامل الخجل والحياء واباء النفس وعزتها، واكثر من ذلك فان الامام عليه السلام حرصاً منه على ضمان حق الفقراء والمحتاجين والمساكين، فقد حدد آلية العمل وطريقة الرعاية لهذه الطبقة الاجتماعية، وأهتم بالوسيلة التي تحقق الرعاية الكاملة للفقراء من خلال تعيين الموظفين الثقات من أهل الدين، والشرف، والمروءة لمتابعة اعمال وحاجات الفقراء والمساكين، وهذا منتهى الحرص والاهتمام من الامام عليه السلام بهؤلاء الفقراء والمساكين في المجتمع الاسلامي.

الاعتذار الى الله في الفقراء

ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ فَإِنَّ هَؤُلاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَ كُلٌّ فَاعْذِرْ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ.

وهنا يركّز الامام أمير المؤمنين عليه السلام على نقطة مهمة وهي ان على الحاكم ان يجعل الله تعالى نصب عينيه في أداء هذه المهمة الانسانية، لان هؤلاء الفقراء، والمساكين أكثر من غيرهم يحتاجون الى مزيد من الحنان والرعاية النفسية، حتى لا يشعروا بالضعف، وعدم التكريم، لان المسؤول الكبير مهما عمل وقدم لهؤلاء الفقراء، وأعطى لهم من جهده وجهوده، الا انه يجب عليه ان يشعر دائماً بحالة التقصير ازاءهم، من اجل ان يواصل العمل، ويقدم المزيد لهذه الشريحة المحرومة من الرعاية والعطاء، فانه لا عذر له امام احد من الناس، ولكن الله الذي يعلم ضمير الصامتين يعذره على قصوره، او ضعفه إذا سلمت منه النية، وكان قد استفرغ وسعه وجهده من اجل اسعاد الاخرين، فيجب عليه ان يقدم عذره الى الله تعالى فحسب، فيما أدى للفقراء والضعفاء من عمل وخدمات، لا تخلوا من نقاط ضعف.

ولا شك ان الله تعالى يعذره بعد تأدية واجبه

ومسؤولياته، قال تعالى:

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ الإسراء.

فقد فسر علماء الاخلاق ﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ أي على نيته وبحثوا موضوع النية في أجواء ومعطيات هذه الاية الكريمة في كتبهم الاخلاقية[١].

ويستخدم الامام عليه السلام فعل الامر «**اعْمَلْ فِيهِمْ بِالاعْذَارِ إِلَى اللَّهِ**» فيجب على الحاكم والمسؤول ان يعمل في شأن هذه الطبقة الفقيرة عملاً يكون فيه معذوراً أمام الله تعالى، أو ليكن في تعاملك أيها الحاكم مع هؤلاء عذرٌ الى الله لانك أديت اليهم كلما أوجب الله عليك من شؤونهم، فأنهم أحوج من غيرهم باهتمام الحاكم وأدائه ما أوجبه الله لهم عليه من بين جيمع الرعية الذين يجب على الراعي أيضاً ان يحضر عذره بين يدي الله تعالى بشأن أداء حقوقهم.

ورغم ان الاعذار ليس عملاً جسدياً بل هو كلمات طيبة حانية على هذه الطبقة الفقيرة من الناس، ولكن الامام عليه السلام تأكيداً منه على هذه الكلمات الطيبة وطريقة التعامل الرقيق مع

---

(١) ينظر: جامع السعادات. موضوع «النية».

هؤلاء المساكين، جعله وكأنه عمل كبير لا بدّ من ان يقوم به الحاكم والمسؤول بكل وجوده ومشاعره، لانه يُسألُ عنهم بين يدي الله يوم يلقاه.

ويذكر التاريخ ان أمير المؤمنين عليه السلام كان يتمشى في شوارع الكوفة فلقي فقيراً يستعطي الناس فقال: ما هذا!! فقيل يا أمير المؤمنين انه رجل نصراني فقال عليه السلام:

ويَحكم عندما كان شاباً قوياً اشغلتموه، وحينما اصبح شيخاً ضعيفاً أهملتموه، ثم أخذ بيده الى بيت المال، وجعل له مرتباً ثابتاً من خزينة الدولة، وهذا ان دلّ على شيء انما يدل على ان الفقير مهما كان دينه او مذهبه في النظام الاسلامي، فله حق معلوم في ميزانية الدولة وعلى الحاكم والمسؤول ان يرعى ذلك ويهتم به.

ومن الملاحظ ان الامام علي عليه السلام وهو رئيس الدولة في الكوفة، وقائد الجيش، وامام الجمعة والجماعة، والمسؤول الأول في الحياة الاسلامية، قد وزع الاعمال والمهمات والمسؤوليات الكبيرة لهذا القائد أو ذاك، ولكنه كان يتولى مسؤولية رعاية الفقراء والمساكين واليتامى والبائسين بنفسه مهما أمكنه ذلك، فكان يجلس مع هذه الشرائح ويحنو عليهم ويطعمهم اللحم والعسل.

ولذلك عندما صرع في محراب صلاته خرج هؤلاء الفقراء واليتامى وابناء الشهداء يبكون على الوالد الرحيم والاب الكريم الذي كان يظلهم بحبه وعطفه، ويغذيهم من روحه وحنانه، ولهذا يطلق في التاريخ على امير المؤمنين عليه السلام بانه ابو اليتامى والمساكين.

وهذا درس بليغ يجب ان يتعلمه القادة ورجال الحكم والسياسة والمتصدون للخدمات العامة من أمير المؤمنين عليه السلام على الاهتمام باليتامى والمساكين والفقراء والمحرومين، مهما كانت ظروفهم صعبة وأوقاتهم ثمينة.

الاهتمام باليتامى وكبار السن

وَ تَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْم وَ ذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لا حِيلَةَ لَهُ وَ لا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ وَ ذَلِكَ عَلَى الْوُلاةِ ثَقِيلٌ وَ الْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ وَ قَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَام طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ وَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ.

ذوو الرقة في السن: المتقدمون في العمر، والعاجزون عن العمل.

وفي هذا المقطع من عهده عليه السلام يشدد على الحاكم أن يلتزم بأعلى درجات الالتزام، والاهتمام بصنفين من أصناف المجتمع وهما:

الأول: «**أهل اليتم**» الذين فقدوا آبائهم، وحرموا من نعمة الأُبوة وحنانها.

وفي معرض التعليق على هذا النص الشريف نقول: فعلى الدولة ومؤسسات المجتمع المدني ان تعوضهم بعض هذا الحنان، وان تمد لهم يد العون والمساعدة من اجل ان يظللوا عناصر طبيعية وفاعلة في المجتمع، حتى لا يتحولوا الى أدوات للاستغلال، وعناصر للجريمة، والارهاب، والعنف، والانحراف، وذلك من خلال انشاء مؤسسة الشهداء التي تعنى

بذوي أولئك الذين قدموا أنفسهم من أجل مقاومة الظلم والطغيان، فكانوا مصابيح تضيء الطريق للاجيال.

الثاني: «**كبار السن**» وهم الذين أتعبتهم السنون، فاصبحوا عاجزين عن مواجهة تحديات الزمن والحياة، فيجب على الدولة ان ترعاهم، وتقدم لهم الخدمات التي يحتاجونها في حياتهم، خصوصاً في مجال الصحة والسكن، فان في هؤلاء كثيراً من المتعففين، وذوي النفوس الكريمة، التي لا تتعرض للمسألة، وطلب الحقوق، والمساعدات.

فيجب على الحاكم ان يسعى بوعي، واخلاص وجد، للبحث عن هؤلاء ليؤدي اليهم حقهم.

ويختم الامام عليه السلام هذا النص بكلمة عظيمة وحكمة بالغة وهي قوله:

«**وَ ذَلِكَ عَلَى الْوُلاةِ ثَقِيلٌ وَ الْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ**».

نعم الحق ثقيل، ولكنه يهون ويسهل حمله اذا كان الانسان المتصدي يعمل لله، وبنية خالصة، وارادة صلبة، ووعي وادراك لمسؤولياته بعيداً عن امراض الانا، وحب الذات، والعجب، والرياء، فلا يواخذه الله على القصور وقد يتفضل عليه بالعفو عن وزر التقصير بلطفه ويسدد خطاه في طريق العمل والخير والبر وخدمة المجتمع.

اللقاء المباشر مع ذوي الحاجات والشكاوى

وَ اجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ وَ تَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ وَ تُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَ أَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَ شُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ:

(لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ)

ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَ الْعِيَّ وَ نَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَالأَنَفَ يَبْسُطِ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ وَ يُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ وَ أَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً وَ امْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ.

المتتعتع: التعتعة في الكلام: العي، والعجز عن الكلام، وعدم القدرة على البيان والافصاح.

الخرق: الحمق، والجهل، وضعف العقل.

واستكمالاً الى ما ذكر من كلامه عليه السلام في الفقرات السابقة، يؤكد الامام عليه السلام على ضرورة الالتزام ببرنامج زمني لاداء اعمال الحاكم، ومنها ان يخصص وقتاً معيناً

لذوي الحاجات والظلامات للاستماع الى شكاواهم وتظلمهم بكل تواضع، وانفتاح، واخلاص، وان يمنحهم حرية الكلام، والتعبير بصراحة عن معاناتهم، ومشاكلهم بعيداً عن الروتين، والمظاهر الشكلية في الدولة.

وعلى الحاكم ان يكون في اللقاءات مع الفقراء واسع الصدر، رحيم القلب، يتحمل منهم مطالبهم، وما قد يصدر من بعضهم من تصرفات غير متعارفة، أو غير مقبولة مع الحكام، والمسؤولين الكبار.

ويذكر المؤرخون ان الامام علي عليه السلام كان له بيت سمّاه «بيت القصص» يُلقي الناس فيه رقاعهم، أي أوراقهم وقصاصاتهم التي كتبوا فيها قضاياهم، ومشكلاتهم، كل ذلك من أجل ان يشعرهم بالحرية الكاملة في التعبير عن كل معاناتهم، من دون تردد، أو حرج أو حاجز من خوف، أو حياء[1].

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال:

«أحب عباد الله الى الله أنفعهم لعباده، وأقومهم بحقه، الذين يحبب إليهم المعروف وفعاله»[2].

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة ١٧/ ٨٧.

(٢) تحف العقول/ ٣٥.

وعنه ﷺ كذلك:

«إن لله عباداً يفزع اليهم الناس في حوائجهم أولئك هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة»[١].

ويذكر الامام علي عليه السلام انه يجب على الحاكم ان يوفر الاجواء الطبيعية للقاء مع ذوي الحاجات من المسلمين والمواطنين بعيداً عن التكلف وشكليات التعامل الرسمي مع الآخرين، وذلك من خلال أبعاد الجند والحراس والشرطة عن أجواء هذا اللقاء، لغرض رفع حالة التوتر والخوف واشعارهم بالطمئنينة وعدم التكلف والتردد في هذا اللقاء.

وعليه أيضاً أن يتصرف بعفوية وترسل وانبساط من اجل ان يبعث في نفوس الفقراء والمحتاجين الروح المعنوية والشجاعة الادبية التي تجعلهم يتكلمون في قضاياهم من دون ضيق أو شعور بالحرج أو الخجل.

ويختم الامام عليه السلام قوله ان الحاكم المتصدي يجب ان يعطي هؤلاء حقوقهم بكامل الاريحية، والحب، والشفقة، بعيداً عن المنة، والشعور بالتفضل، والتفوق.

وفي حالة عدم قدرته على الاستجابة لمطالب الفقراء،

---

(١) تحف العقول/ ٣٧.

لأي سبب خارج عن ارادته، يلزمه الاعتذار بالكلام الطيب السمح، الرقيق، واللغة المهذبة.

ففي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ:

«**الكلمة الطيبة صدقة**»[١].

وقوله تعالى:

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ البقرة.

(١) بحار الانوار ٨٣/ ٣٦٩. نقلاً عن ميزان الحكمة.

البرنامج الشخصي للمسؤول

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا[١] عَنْهُ كُتَّابُكَ. وَ مِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا[٢] تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ. وَ أَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ.

نعم.. هناك أمور وقضايا خاصة جداً في سياسة الدولة، وقرارات الحكومة، يجب ان لا يطلع عليها حتى الوزراء، ورجالات الدولة الكبار، انما يتكفل بمعالجتها، ومتابعتها الحاكم نفسه من قبيل بعض المراسلات السريعة للمحافظات والاقاليم، ومعالجة المشكلات التي يعجز عن اجابتها الوزراء أو غيرهم من المسؤولين الكبار.

وهنا يتوجب على الحاكم ان لا يسوّف هذه القضايا، أو يؤجل البت بها، لانها من الامور التي يتوقف عليها الاستقرار العام والامن في البلاد.

قيل لأحد الملوك: **ما الذي سلبك ما كنت فيه؟ قال:**

---

(١) وفي بعض النسخ «يعي».

(٢) وفي بعض النسخ «مما».

«**دفعُ عملٍ الى غدٍ والتماسُ عذرٍ بتضييع عمل**»[١].

وما أروع كلام الإمام عليه السلام في الاهتمام بإنجاز العمل وتنظيم شؤون الادارة، وتقسيم الاعمال وفق برنامج عملي مرسوم حسب المخطط الزمني حيث يقول عليه السلام: «**وَ أَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ**» لغرض إنجاز كل عمل في وقته، لان تداخل الاعمال واختلاط أوراق المشاريع يتعب النفس، ويضعف الانتاج، ويعرقل مسيرة الحكومة ومؤسساتها «**فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ**» من العمل والمشاريع التي يجب انجازها حسب الجدول المرسوم لها.

ومجمل البرنامج اليومي للحاكم المتصدي للشؤون العامة هو:

- اجابة العمال بما يعجز عنه «الكتاب» والمسؤولون الآخرون.
- اصدار الأوامر والتعليمات حول حاجات الناس يوم ورودها إليه مما تضيق به صدور الأعوان والمقربين.
- تنفيذ أعمال اليوم دون تأجيلها وإضافتها لأعمال

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ج ١٧.

الأيام اللاحقة.

وهذه بعض ملامح الصورة الرائعة التي يرسمها الامام علي عن البرامج الامثل لادارة الدولة وقيادة المجتمع من قبل الحاكم المسؤول العارف بمهمته والمحب لقضيته وأمته.

أهمية الاعداد الروحي للحاكم والمسؤول

وَ اجْعَلْ لِنَفسِكَ فِيمَا بَينَكَ وَ بَينَ اللَّهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ وَ أَجْزَلَ تِلْكَ الأَقْسَامِ وَ إِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ وَ سَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ. وَ لْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيلِكَ وَ نَهارِكَ وَ وَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلا غَيرَ مَثْلُومٍ وَ لا مَنقُوصٍ بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ وَ إِذَا قُمْتَ فِي صَلاتِكَ لِلنَّاسِ فَلا تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَ لا مُضَيِّعاً فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَ لَهُ الْحَاجَةُ وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيفَ أُصَلِّي بِهِمْ فَقَالَ صَلِّ بِهِمْ كَصَلاةِ أَضْعَفِهِمْ وَ كُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً.

بعد ان انهى الامام عليه السلام توصياته، وتعليماته بالرعية، وابناء المجتمع بمختلف شرائحه وطبقاته، يؤكد في هذه الفقرة من عهده الشريف على الجانب العبادي في شخصية الحاكم، وضرورة الاهتمام بالبناء الروحي، والاخلاقي لرئيس الحكومة، والمسؤول المتصدي للشؤون العامة.

العبادة ومراجعة الذات

فيجب عليه ان يختار أفضل الاوقات للوقوف بين يدي الله تعالى لاداء الفرائض، والمستحبات بكامل سننها، وآدابها، وان لا يتهاون، أو يتخلف عن أدائها بحجة كثرة الأعمال، وزحمة الأشغال، وتعدد المسؤوليات.

فقد ورد في الحديث الصحيح في الكافي عن حريز عن زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال:

قال: «لاَ تَتَهَاوَنْ بِصَلاَتِكَ فَإِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ لَيْسَ مِنِّي مَنِ اسْتَخَفَّ بِصَلاَتِهِ لَيْسَ مِنِّي مَنْ شَرِبَ مُسْكِراً لاَ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ لاَ وَاللهِ»[1].

والتهاون هو الكسل والفتور والضعف في الأمر، والنكوص في أداء العمل. قال تعالى:

﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢].

فان الحاكم وان كان يعيش في بحبوحة الهموم، والمسؤوليات العامة، فانه لابدَّ له من ساعة تأمل وتفكير يراجع فيها الذات، واخطاء العمل الذي لا يخلو منه أي

---

(١) الكافي: ٣/ ٢٦٩.

عامل من العاملين على اختلاف مستوياتهم ومواقعهم فيها، فاذا لم يتوقف المسؤول في محطات المراجعة والمحاسبة، فان الاخطاء تتراكم وتتحول الى خطايا وآثام كبيرة يصعب التخلص منها، ومن تبعاتها في الدنيا والاخرة.

وعلى هذا يجب ان يختار الحاكم والمسؤول المتصدي أفضل الاوقات للعبادة والتأمل، وان كانت كل الاوقات لله على حد تعبير الامام عليه السلام، اذا خلصت فيها النية وطهرت فيها السريرة.

أصالة النية في العمل

نعم.. ان الاعمال كلها في نظر وفلسفة الامام عليه السلام هي عبادة، طالما كانت تنطلق من نية خالصة، ودوافع نبيلة وأهداف شريفة، لان النية أساس العمل وهي مقياس التفاضل والقبول عند الله تعالى، واما الاعمال التي تفتقد النية الصالحة لا تمثل شيئاً عند الله مهما بلغت من السعة والعظمة في نظر الناس.

قال تعالى:

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ الفرقان.

لان هذا العمل يفتقد الدوافع الخيرة التي تكمن وراءه، والنية الخالصة التي يجب ان ينطلق منها.

فالنية أساس العمل ولا عمل الا بنية، كما ورد عن رسول الله ﷺ:

«يا أيها الناس إنما الاعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو أمرأة يتزوّجها فهجرته الى ما هاجر إليه»[1].

واما قوله عليه السلام: **«سَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ»**.

أي سلمت الامة من الظلم، والتعسف، والاستبداد، والتعدي على حقوقها ومقدراتها، وكرامتها.

وهكذا تتحول الاعمال، كل الاعمال الشخصية والاجتماعية الى عبادة في سبيل الله طالما كانت تنطوي على نية خالصة، وقد سلم الناس فيها من الظلم والتعديات.

المضمون الاجتماعي للصلاة

وان أصدق مظاهر العبادة أداء الفرائض اليومية، وهي

(١) الترغيب والترهيب: ١/٥٦.

الصلاة الواجبة التي جعلها الله على المؤمنين كتاباً موقوتا.

فيجب ان تقام هذه الصلاة بكل شعائرها وآدابها بالشكل الذي تعكس عزة المؤمنين وقوة وجودهم المتماسك، ولا يتحقق هذا الهدف الا باهتمام الحاكم وتصديه لاداء الصلاة جماعة من أجل تركيز التعاون والتكافل الاجتماعي، واظهار المجتمع بمظهر القوة والعزة والتماسك.

وان كلف المسؤول ذلك التعب في البدن والالتزام في الحضور، وما يتبع ذلك من تبعات، لان الاجتماع للصلاة يحقق التآلف، والتعارف، والمحبة، والتشاور بين جميع ابناء المجتمع الاسلامي الواحد، باعتبار ان صلاة الجمعة أو الجماعة تشكل مجتمعاً اسلامياً مصغراً بكل ما تعنيه كلمة المجتمع والاجتماع من روابط، وأواصر، ومضامين، وأبعاد روحية، وثقافية، وانسانية.

روي عن الامام الرضا عليه السلام انه قال:

«فإن قال: فلم جعل الجماعة؟ قيل: لئلا يكون الإخلاص والتوحيد والاسلام والعبادة لله الا ظاهراً مكشوفاً مشهوراً، لان في اظهاره حجة على اهل الشرق والغرب لله وحده، وليكون المنافق والمستخف مؤدياً لما أقر به بظاهر الاسلام والمراقبة، ولتكون شهادات الناس بالاسلام بعضهم

لبعض جائزة ممكنة، مع ما فيه من المساعدة على البر والتقوى، والترك عن كثير من معاصي الله عز وجل» [١]

فهذه الرواية الشريفة تجمع الابعاد والمضامين لفلسفة تشريع الصلاة والمصالح الاجتماعية والمنافع الروحية والمعنوية التي تنطوي عليها صلاة الجماعة، وذلك من خلال الابعاد الآتية:

أولاً: إن العبادة والتوحيد والاخلاص رغم انها أمور وحقائق تكمن في اعماق العقل والقلب، إلا انه لا بد لها من ان تظهر بمظاهر عبادية وسلوك انساني ينعكس على الفرد والمجتمع لتقوية الإيمان وتطويق مظاهر الكفر والنفاق، لان عملية الاظهار والاشهار للحالات العبادية التي تبرزها صلاة الجماعة إعلان للقوة والعزة وتأكيد للحجة البالغة على أهل الشرق والغرب، على عظمة الاسلام وصحة عقيدته ومنهجه.

ثانياً: إن صلاة الجماعة تؤكد وجوب الإلتزام على

---

(١) عيون اخبار الرضا ٢/١٠٩.

المنافقين والمستخفين بالصلاة، وذلك باقرارهم وإعلانهم انهم من أمة الإسلام، لانهم قد يتصورون إن اعلان الاسلام كلمات بلا تكاليف، وانتماء بلا مسؤوليات، وانهم قد خدعوا المسلمين بهذا الاعلان، وهنا يبرز دور صلاة الجماعة في المساجد والأماكن العامة، لتحرج موقفهم وتكشف زيفهم وتضعهم أمام الأمر الواقع، فيجب على هؤلاء المنافقين ان يقفوا في صف واحد مع المؤمنين في صلاة الجماعة وإن لم يدخل الإيمان في قلوبهم.

ثالثاً: إن الشهادة أي -البينة العادلة- مفهوم شرعي يحتاجها الناس في حلّ خلافاتهم وحسم نزاعاتهم أمام القضاء في الإسلام، ولا يمكن ان نتعرف على هذه البينات بمجرد الإدعاء، فلا بدّ من طريق ظاهري تعرف به هذه الشهادات في الحياة الاجتماعية، وصلاة الجماعة هي من أبرز الطرق التي نكتشف من خلالها طبيعة هذه البينات الشرعية، ولولاها لتعطلت الشهادات ولما عرف الناس في الاسلام بعضهم بعضا من الناحية الدينية

والاخلاقية، لان صلاة الجماعة ليست مجرد تجمع للعبادة الشكلية إنما هي عبادة جماعية مفعمة بالمعطيات وملتقى روحي وأخلاقي ومدرسة لمعرفة الشخصيات الصالحة، والعناصر المؤمنة الصادقة.

رابعاً: إن مشاريع البر والتقوى والإحسان وإنشاء الصدقات الجارية والاوقاف الخيرية تحتاج الى معرفة ووعي وإرادة وتشجيع على المبادرة والاقدام، ولا شك ان صلاة الجماعة بما تحمله من معطيات روحية واجتماعية تدفع المؤمنين نحو التسابق بالخيرات والتنافس في المشاريع ذات النفع العام، لان هذه الصلاة الجماعية تنطوي على الكلمة الهادية والتذكير بالآخرة والاستماع الى الموعظة والاهتمام بأمور المسلمين وشؤونهم ومعاناتهم هنا وهناك.

خامساً: ان صلاة الجماعة تشكل عنصر من عناصر تعميق التقوى والاعتصام عن الوقوع في المعاصي من خلال ما تخلقه من أجواء روحية واجتماعية وما ترسخه من معاني وأبعاد في

الورع والمراقبة من قبل الله تعالى والجماعة المؤمنة.

ولكن هذه الصلاة ذات الابعاد والمضامين الاجتماعية بامامة القائد المتصدي، يجب ان لا تكون مصدر ازعاج وتنفير لبعض ابناء الامة، وذلك من خلال اطالة الصلاة اكثر من المألوف، وتضييع أوقات الاخرين خصوصاً الضعاف في البدن، أو الايمان، أو من ذوي الامراض والعلل والمسنين والحاجات الخاصة.

وهنا يختم الامام عليه السلام هذا المقطع بمثال حي من تجربته الشخصية المباركة في مجال التبليغ والدعوة الى الله، وذلك حينما بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله الى اليمن اماماً في الناس ومبلغاً للدين الحنيف، وداعياً بالكلمة الواثقة الهادية، والحكمة والموعظة الحسنة.

كانت وصية النبي صلى الله عليه وآله له عليه السلام ان يصلي بصلاة أضعفهم، أي ان يراعي في صلاة الجماعة أضعف الناس في الايمان والبدن، حتى لا تكون الصلاة عاملا من عوامل الابتعاد عن الدين وتنفير الأمة عن الاجتماع لها، بل تكون عنصر استقطاب للدعوة والعقيدة، ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي يوم بعثه الى اليمن مرشداً، ومبلغاً، وهادياً:

«يا علي!! لا تقاتلن احداً حتى تدعوَه، وأيم الله لأن يهدي الله على يديك رجلاً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي»[1]

(١) الكافي ٥/٢٨.

أهمية حضور القائد وعدم احتجابه

وَ أَمَّا بَعْدُ فَلا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ وَ قِلَّةُ عِلْمٍ بِالأُمُورِ وَ الاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ وَ يَعْظُمُ الصَّغِيرُ وَ يَقْبُحُ الْحَسَنُ وَ يَحْسُنُ الْقَبِيحُ وَ يُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَ إِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الأُمُورِ وَ لَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ وَ إِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ فَفِيمَ احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لا مَئُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ مِنْ شَكَاةِ مَظْلِمَةٍ أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.

الاحتجاب: عدم لقاء الناس، وقد يكون بمعنى الاعتزال والانطواء وعدم الحضور في ساحة المسؤولية العامة.

مرَّ فيما سبق ان رئيس الحكومة والمسؤول المتصدي

للشؤون العامة، يجب ان يكون حاضراً مع شعبه وأمته، يسمع كلام الناس ويصغي لملاحظاتهم ويتقبلها بقلب منفتح وصدر رحب.

وفي هذا النص من العهد الشريف ينبه الامام علي عليه السلام كل المتصدين والعاملين في ادارة الشأن العام الى مسألة مهمة وكبيرة، وهي ضرورة تصدي الوالي والمسؤول وعدم احتجابه عن الرعية، لان اللجوء الى هذا النمط -الانعزال- من السلوك في ادارة القضايا العامة لا يفسر الا بالفشل، والتخلف، وضيق الافق أو الكبرياء والترفع، وقلة الوعي والادراك، لشؤون العمل وما يحتاجه من حضور ومبادرات.

ولم يكن الاحتجاب يوماً اسلوباً مجدياً ونافعاً في قيادة الدولة وبناء المجتمع، كما انه لا يعطي للوالي الصورة الواضحة لمجريات الامور، فتختلط عليه الاشياء، وتزداد الاوهام، وتتراكم المشاكل عليه، ومن هنا يصعب عليه اتخاذ القرارات الصائبة، أو يضع الحلول المناسبة للمشكلات.

والاحتجاب تارة يكون يسبب سوء ادارة الموظفين والمقربين للمسؤول، من الذين يضيقون بقضايا المجتمع، ويعزفون عن ابداء المساعدات، وقضاء حاجات المراجعين،

وتارة بسبب مرض البخل والشح الرذيل، ومنع العطاء من قبل الحاكم نفسه، أو المسؤول المتصدي للشؤون العامة.

وهي مشكلة ذاتية نفسية يعاني منها المسؤول نفسه، بحيث تجعله يخشى مواجهة الناس ومعالجة مشكلاتهم، لأنها تكلفه شيئاً من العطاء، وهو أمر لا يطيقه بسبب مرض الشحّ المستحكم على نفسه.

الا ان الامام علي عليه السلام يرى ان مشكلات الناس ليست دائماً في الامور المالية، حتى تبرر إحتجاب المسؤول، انما هي لدفع ظلامات، وحل نزاعات، وانصاف للمظلوم، وتذكير بالاحكام الشرعية، والقوانين المرعية، وغيرها من المسائل، والحقوق العامة التي يجب على الحاكم ان يتصدى لها ومعالجتها بكل موضوعية وصراحة.

ومن يراجع سيرة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام يجد انهم كانوا اكثر التصاقاً بالناس وحضوراً معهم في السراء والضراء، هذه الصفة الاخلاقية عندهم عليهم السلام إنما هي من الكرم والحلم والسخاء، والشفقة والعطاء، والمعاشرة مع الناس والحضور بينهم، والامتزاج معهم، وهي من الاسباب التي رسخت حبهم ومودتهم في قلوب الناس، وجعلتهم لا يغيبون عن ذاكرة الامة مع مرور الزمن.

وكذلك هي منهج من سار على نهجهم من العلماء العاملين، ورواد الاصلاح والقادة السياسيين الذين تصدوا الى ادارة شؤون الناس، على مستوى اقامة الدولة، وادارة المؤسسات الخيرية ذات النفع العام.

الحاشية واستغلال السلطة

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَ بِطَانَةً فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَ تَطَاوُلٌ وَ قِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ وَ لا تُقْطِعَنَّ لأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَ حَامَّتِكَ قَطِيعَةً وَ لا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَئُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وَ عَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ، وَ أَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَ الْبَعِيدِ وَ كُنْ فِي ذَلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ وَ ابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ.

وَ لا تُقْطِعَنَّ لأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَ حَامَّتِكَ قَطِيعَةً: أي لا تمنح اي أحد من بطانتك وقرابتك قطعة أرض أو ضيعة او بستان من دون مبرر شرعي او بخلاف القانون.

وَ لا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ: اي لا تتدخر لهم ذخيرة ولا تملكهم ضيعة تضر بمن يجاورها من أصحاب الاراضي والبساتين.

فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ: اي ان عاقبة ذلك محمودة اي

حسنة.

وفي هذه الكلمة يستعيد الامام عليه السلام توصياته وتعاليمه من توعية الحاكم، وتذكيره بمخاطر جشع ونهم الخاصة والبطانة الذين يرومون الاستئثار والتطاول في معاملة الناس ليعالج طموحاتهم الجامحة وتطلعاتهم الخاصة نحو الاستئثار بالمال العام، والتطاول عليه وعدم الموضوعية وتجاوز الذات، والانصاف في التعامل مع الاخرين، والتعالي عليهم من خلال كبح جماح هذه العناصر «البطانة» التي قد تؤدي الى سقوط الحاكم وفشله في نظر المجتمع.

لان هذه الجماعة تُحسب في كل تحركاتها وممارساتها الشخصية والعامة على الحاكم والمسؤول وموقعه في ادارة الدولة، بل على الحاكم ان يكون قوياً في الحق، ومنصفاً في تطبيق أحكام الشرع والقانون على القريب والبعيد على حد سواء، ويستعين في ذلك بالله تعالى لان عواقب ذلك محمودة.

وان من يقرأ صفحات التاريخ في الماضي القديم والمعاصر، يجد ان العديد من الدول والحكومات، والمؤسسات، كان السبب الرئيس من تذمر الناس منها

وكراهيتهم لها، هو استغلال البطانة والحواشي المستأثرة بأموال الدولة وحقوق الناس، مما أدى الى سقوطها وانهيارها، وهي عبرة بالغة لجميع الحكام السياسيين والمتصدين لقيادة الامة وادارة شؤون المجتمع ومؤسسات الدولة.

وقد ضرب الامام علي عليه السلام أروع الامثلة، وذلك فيما يحكيه التاريخ عنه انه عليه السلام كتب الى عثمان بن حنيف عامله على البصرة يعاتبه ويحاسبه فيه على استجابته لدعوة الى مأدبة خاصة بالاغنياء فحسب، ويبدو انها كانت من أجل استغلاله أو التأثير عليه جاء فيها:

«أَمَّا بَعْدُ يَا ابْنَ حُنَيفٍ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ وَ تُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ وَ مَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ وَ غَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ وَ مَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ مِنْهُ أَلا وَ إِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَ يَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ أَلا وَ إِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ وَ مِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ أَلا وَ إِنَّكُمْ لا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ

وَ لَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَ اجْتِهَادٍ وَ عِفَّةٍ وَ سَدَادِ . . . »[١].

ويروى كذلك ان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب حاسب ولاته على البحرين والبصرة، ومنعهم من الاشتغال بالاموال العامة واستغلالها في التجارة من اجل المنافع الشخصية.

وموقفه وفعله من أبي هريرة عامله على البحرين مشهور في التاريخ، فقد بلغه ان ابا هريرة اثرى في اثناء ولايته، فأحصى ثروته وصادر جميع ما شك في مصدره والحقه ببيت المال، وقد جرى بينهما في ذلك نقاش طريف فقد قال له عمر:

«استعملتك على البحرين وانت بلا نعلين، ثم بلغني انك ابتعت افراساً بألف دينار وستمائة دينار.

فقال ابو هريرة: كانت لنا افراس تناتجت وعطايا تلاحقت. قال عمر: قد حسبت لك رزقك ومؤنتك، وهذا فضل فأدّه.

فقال ابو هريرة: ليس لك.

قال عمر: بلى، والله أوجع ظهرك.

(١) نهج البلاغة- الشريف الرضي/ كتاب رقم ٤٥.

ثم قام اليه بالدرة فضربه حتى أدماه.

ثم قال له: إيت بها.

قال ابو هريرة: احتسبتها لله.

فقال عمر: ذلك لو اخذتها من حلال واديتها طائعاً، أجئت من أقصى البحرين تجبي الناس لك، لا لله ولا للمسلمين..! ما رجعت بك أميمة «أم ابي هريرة» الا لرعية الحمر».

وقد حدث مثل ذلك مع سعد بن ابي وقاص لما ولاه عمر على الكوفة، فقد قاسمه ماله حينما شك في مصدره[1].

---

(١) الشيخ محمد الغزالي أحقوق الانسان.

شجاعة المواجهة لازمة الثقة عند الجمهور

وَ إِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ وَ اعْدِلْ عَنكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنكَ لِنَفسِكَ وَ رِفقاً بِرَعِيَّتِكَ وَ إِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ.

الحيف: الظلم.

فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ: أي اكشف لهم حقائق الأمور.

من المشكلات التي تعترض مسيرة الحكم والقادة السياسيين، والوزراء، والمتصدين لادارة شؤون الدولة، والهيئات الخاصة، ومؤسسات المجتمع المدني، هي الإشاعات وسوء الظن وأزمة الثقة، وتصاعد الشعور بالحيف والظلم من قبل الامة ازاء الحكومة، وعدم ايمانها بالبرامج والخطط والمشاريع التي يعلنها المسؤولون في هذا الشأن، الا ان على الحاكم ان يزيل هذه الظنون والشكوك والأوهام من أذهان الناس، وذلك من خلال الحضور معهم والاستماع اليهم، وبيان الصورة الحقيقية لسياسته ومنهجه في ادارة حكومته ووزارته أو مؤسسته.

وان هذه المصارحة تكشف بوضوح عن شجاعة المسؤول المتصدي، وثقته بنفسه وببرنامجه الذي يهدف الى

تقديم الخدمة العامة، ورفع مستوى الشعب في المجالات المتاحة.

وان المسؤول المتصدي لا يستطيع ان يؤدي دوره كاملاً غير منقوص من دون دعم وتأييد، وتفاعل افراد المجتمع، وهذا يتطلب تعميق العلاقة، وتوطيد الود والمحبة بين المسؤول والمجتمع، وتقديم الخدمات والمشاريع العامة، بكل أريحية وشفافية، وصراحة، ووضوح، لكي يبقى المسؤول بكل وجوده حاضراً في قلوب الامة، وله عندها حسن الظن وجميل الأثر.

الاستجابة الحذرة لدعوات الصلح

وَ لا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ و لِلَّهِ فِيهِ رِضًا فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ وَ رَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَ أَمْناً لِبِلادِكَ وَلَكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ فَخُذْ بِالْحَزْمِ وَ اتَّهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ.

قال تعالى في محكم كتابه العزيز:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ البقرة.

الاسلام دين الرحمة والامن والأخاء والمحبة والتعايش السلمي.

فمتى ما دعي الحاكم، ورئيس الدولة من قبل الخصم او الجهة المعادية له الى عملية ايقاف الحرب واعلان الهدنة، ومن ثم اجراء الصلح، فعليه ان يبادر الى القبول والموافقة، لأن في ذلك أمناً للبلاد، وراحة للعباد، ودفعاً للمواهب والطاقات نحو الابداع، والبناء، والتنمية، ولا بدّ ان يتم هذا الصلح وفق شروط، وعهود، ومواثيق تحكم بنوده، من دون غموض، أو لبس أو تأويل، من اجل ان لا يساء فهم

نصوصه، أو استغلال بعض ثغراته وبنوده، مما يبرر للخصم أو يدفعه في المستقبل الى معاودة التجاوز والعدوان.

وعلى هذا فلا بدّ ان يستحضر الحاكم المسلم المتصدي كل عناصر الوعي، واليقظة، والحذر من العدو بعد صلحه، حتى لا يقع ضحية الغفلة، والاسترخاء، بل عليه ان يراقب عن كثب كل تحركات الخصم، وان ينظر بعين الشك والاحتياط لكل مبادراته ومشاريعه.

لان عملية الصلح وحدها غير كافية في تحقيق السلم واستتباب الامن، اذ ربما أقدم العدو على الصلح ليس عن قناعة او ايمان، وانما كان لغرض استعادة قواه وترتيب أموره العسكرية والامنية، ولكن الذي يحقق السلم والامن بين الجميع، هو وعي قيمة الصلح وضرورته، والالتزام الحقيقي بشروطه وبنوده، ونبذ العنف، واشاعة ثقافة التفاهم والحوار، والتعايش السلمي بين الناس، قال تعالى:

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ الأنفال.

التأكيد على الوفاء بالعهود

وَ إِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنكَ ذِمَّةً فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ وَ ارْعَ ذِمَّتَكَ بِالأَمَانَةِ وَ اجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وَ تَشَتُّتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَ قَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ فَلا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ وَلا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ وَ لا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ فَإِنَّهُ لا يَجْتَرِئُ عَلَى اللَّهِ إِلا جَاهِلٌ شَقِيٌّ وَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَ ذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ وَ حَرِيماً[١] يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ وَ يَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ فَلا إِدْغَالَ وَ لا مُدَالَسَةَ وَ لا خِدَاعَ فِيهِ.

الجُنة: بضّم الجيم: الوقاية والستر.

استوبلوا: أي وجدوها وبيلة مهلكة.

تخيسنّ بعهدك: أي تخونه وتنقضه.

تختلنّ: تخدعهُ وتمكر به.

---

(١) وفي نسخة لا توجد «الواو» ووجودها أصوب.

الادغال: الافساد.

المدالسة: الخديعة، ومع سبق العهد تكون خيانة.

ويعدُّ الصلح عقداً لازماً بين الطرفين، يجب الالتزام به بعد الاتفاق عليه وتوثيقه، وهو عهد وميثاق يرتكز على الوفاء والامانة، وهو مبدأ سياسي واخلاقي أقره العقلاء وأوجبه الشرع الاسلامي، قال تعالى:

﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ الإسراء.

والصلح قد لا يحقق كل ما يريد هذا الطرف أو ذاك، ولكنه مادام يؤدي الى مصلحة مشتركة، يجب الالتزام به، وان أدى الى بعض التضحيات والتنازلات.

وهنا يؤكد الإمام عليه السلام بان الوفاء بالعهود هو العنصر المشترك بين الناس على اختلاف أهوائهم، ومشاربهم، واتجاهاتهم الفكرية والسياسية، حتى ان المشركين قبل الإسلام كانوا يقدّسون العهود، ويلتزمون بما يتفقون عليه من بنود الصلح والمعاهدات، لأن الوفاء بالعهد يوفر الأمن والراحة للجميع، فلا افساد لعقد الصلح ولا خيانة ولا غدر، ولا تزوير، ولا نقض لبنوده ومضامينه.

ويذكر لنا التاريخ الكثير من الشواهد الخاصة في موضوع الصلح والمعاهدات المبرمة بين الاطراف المتنازعة،

في القديم والحديث، وتكشف تلك الشواهد التاريخية ان كل الذين التزموا بعهودهم وتقيدوا ببنود الصلح، ولم ينقضوا العهد والميثاق، كان النصر والظفر، والخير حليفهم، وان كانت بنود الصلح في حينه على حسابهم، ومصالحهم.

أما أولئك الذين نقضوا العهد والميثقاق، وخانوا الامانة، وتجاوزوا بنود الصلح والاتفاق، ولم يكونوا أوفياء للعهد، كانت نهايتهم الخزي، والعار، والخسران، وان بدا لبعضهم في وقتها انهم منتصرون على خصمهم.

ففي الزمن القديم نقرأ عن صلح الحديبية بين النبيﷺ وبين قريش، وصلح الامام الحسن عليه السلام مع معاوية، وفي العصر الحديث نقرأ معاهدات دولية عدة بعد حروب وصراعات سياسية واقتصادية مدمرة.

بين امريكا والمانيا، وبين امريكا واليابان، وبين امريكا وكوريا الجنوبية، وبين امريكا وتركيا، وبين العراق وايران بعد حرب دامت ثماني سنوات.

ونعيش هذه الأيام ارهاصات معاهدة طويلة الامد بين العراق وامريكا بعد سقوط النظام البعثي الدكتاتوري السابق، وذلك من أجل تنظيم نوع العلاقة بين العراق وامريكا في المستقبل، حتى يتاح للعراق الخروج من البند السابع من

ميثاق الامم المتحدة والقاضي باستخدام القوة ضده باعتباره دولة معتدية، وتشكل خطراً على الأمن والسلم الدوليين، وبالتالي فهو دولة غير كاملة السيادة.

وهذه الاتفاقية تشكل منعطفاً خطيراً في تاريخ العراق السياسي الحديث، ولذلك فان جميع مؤسسات العراق الدينية والسياسية من المجلس السياسي للأمن الوطني، ورئاسة البرلمان ورئاسة الحكومة، والكتل والأحزاب السياسية، والجمعيات الثقافية، والجامعات، والشخصيات القانونية والاكاديمية المعنية في هذا الشأن تتحمل مسؤولية هذه الاتفاقية وآثارها المستقبلية، لان العراق إما ان يظل مكبلاً تحت نير الاحتلال والتبعية، وإما ان يتحرر بفعل تضامن ابنائه ووحدتهم وارادتهم الصلبة، وعلى النخب العراقية الامعان في كل حرف من هذه المسودة لئلا تمرر عليهم اتفاقية طويلة الأمد وهي غير متوازنة.

وعلى هذا فيجب ان لا توقع هذه الاتفاقيةإلا بعد دراستها من كل الجوانب بحيث يكون التوقيع عليها من مصلحة العراق وشعبه ومن خلال الارادة الجماعية المتماسكة، حتى يتحمل الجميع مسؤوليتها امام الله والاجيال القادمة.

الدقة في صياغة العقود وضرورة الالتزام بها

وَ لا تَعْقِدْ عَقداً تُجَوِّزُ[١] فِيهِ الْعِلَلَ وَ لا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَ التوْثِقَةِ وَ لا يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللّهِ إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَ فَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللّهِ فِيهِ طِلْبَةٌ لا[٢] تَسْتَقْبِلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَ لا آخِرَتَكَ.

تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ: اي تكثر فيه التأويلات بسبب ضعف صياغة العقد.

لَحْنِ قَوْلٍ: أي الاعتماد على النوايا والتأويل الخفي للكلمات.

ومن أجل ان يكون الصلح والسلم ماضياً، والعقد واضحاً، والعهد نافذاً بين الاطراف المعنية، فيجب ان يكون

---

(١) وفي نسخة «تجوز» بدون تشديد الواو، وهو أولى لافادته الاطلاق في نفي جواز العلل من الطرفين، أما تجوّز فيختص بالمخاطب مع ان المطلوب كتابة العهد بما لا يقبل التأويلات.

(٢) وفي نسخة «فلا» ولعله أولى لترتيب ما بعد الفاء على ما قبلها، والفاء للترتيب.

العقد صريحاً في عباراته وفقراته، لا خلل فيها ولا غموض، ولا تأويل.

كما يجب فيه الابتعاد عن التورية، واستخدام العبارات ذات المداليل المتعددة، والمقاصد المختلفة، ويلزم ايضاً عدم التفكير بفسخ العقد مهما ضاقت الامور، واشتدت الظروف صعوبة، فان الصبر والجلد والصمود امام التحديات وتحمل اعباء تبعات شروط عقد الصلح طريق يؤدي الى الانفراج، واليسر والامل بزوال المحنة والمعاناة، والصبر أفضل مما ينتظره من حساب وعقاب من الله تعالى بنكث العهد، وعدم الوفاء به في الدنيا والاخرة.

التشديد على تجنب سفك الدماء

إِيَّاكَ وَ الدِّمَاءَ وَ سَفكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا فَإِنَّهُ لَيسَ شَيءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ وَ لا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ وَ لا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَ انْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَ يُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ وَ لا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَ لا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ لأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ وَإِنِ ابْتُلِيتَ بِخَطَإٍ وَ أَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ[1] فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً فَلا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ.

قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ الإسراء.

لقد شدد الاسلام على حرمة الانسان وحقن دمه سواء أكان مسلماً أم غير مسلم، لأن الانسان له حرمة وكرامة

(١) وفي نسخة «بعقوبة» بدون أل.

خاصة عند الله.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ الإسراء.

حتى ورد في الاحاديث الشريفة ان المؤمن اشرف وأعز عند الله من الكعبة. بل روي عن أبي عبد الله:

«من روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار، ومن روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار»(١)

ومن هنا فقد منع الاسلام من التعدي والتجاوز على دماء المسلمين وغيرهم الا بالحق، كما انه جعل تشريعاً صارماً لتحصين الدماء، وحفظ النفوس المحترمة.

قال تعالى:

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ

(١) وسائل الشيعية: ٨ / ٦١٤.

جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ المائدة.

وان النظام الجنائي وتشريعاته المفصلة في الإسلام يعكس مدى اهتمام الشرع الإسلامي بالانسان وقيمته المعنوية، ووجوب حمايته من الظلم والعدوان.

وعلى هذا الاساس يواصل الامام علي عليه السلام توصياته وتعليماته، فيذكر في هذا المقطع من كلامه عليه السلام حرمة سفك الدم بالقتل العمد، لأن التعدي على دماء المسلمين وغير المسلمين بغير حق، سبب لسخط الله تعالى ونقمته، ومدعاة لزوال النعمة، وانذار بنهاية الدول والحكومات.

لان الدول والحضارات يجب أن لا تقوم على اساس الظلم الارهاب، والعدوان، وسفك الدم الحرام، وانما تقوم على اساس العدل، واحترام حقوق الانسان، وحفظ كرامته ووجوده، وتعمل على خدمة المجتمع وتحميه، وتصون حقوقه، وتنظم شؤونه وقضاياه، وحاجاته المشروعه ببسط الامن وحفظ النظام العام، وان الحاكم اذا كان يعذر في خطأ، أو تقصير في هذا الجانب أو ذاك، فانه لا يعذر أبداً عند الله والمجتمع في هدر الدماء وسفكها بغير حلها، لا

«القَود» القصاص يقع على الجميع ولا يستثنى الحاكم من ذلك، واما اذا تورط الحاكم في قتل عن طريق الخطأ، أو شبه العمد، فيجب عليه ان يصلح ذلك بالدية والتعويض المالي من بيت مال المسلمين، قال الله في كتابه الحكيم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ البقرة.

التحذير من مرض العُجب وحب الاطراء

وَ إِيَّاكَ وَ الأَعْجَابَ بِنَفْسِكَ وَ الثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا وَحُبَّ الأَطْرَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ.

الاعجاب بالنفس: هو الشعور الداخلي بالتفوق على الآخرين، وله آثار نفسية وأخلاقية تؤدي الى الاختلال في توازن الشخصية.

والعجب المذموم في نظر علماء الاخلاق هو استكثار العمل الصالح والاعتزاز بالرأي، والإدلال به، أما السرور به مع التواضع لله تعالى، والشكر له على توفيقه لطاعته، فذلك ممدوحٌ ولا ضير فيه(١).

وفي هذه الكلمة القيمة من نص العهد الشريف يشخص الإمام عليه السلام مرضاً خطيراً يصاب به أغلب رجال الحكم والسياسة، ألا وهو مرض العُجب والغرور وحب الاطراء، وهو على درجات تختلف باختلاف المواقع والنفوذ، ومدى سيطرة واستحكام الشيطان على الشخصية المتصدية للمسؤولية العامة.

---

(١) ينظر: أخلاق أهل البيت–للسيد مهدي الصدر.

ولان العجب من الامراض النفسية والاخلاقية، فان صاحبه لا يرى في نفسه أي خلل او عيب، بل قد يصل الأمر به الى ان يتصور واهماً ان عيوبه ونواقصه مظهر للكمال وعناصر قوة وتفوق وان سيئاته حسنات، وذلك بعد ان تشوهت عنده الرؤية واختلطت عنده الموازين بسبب مرض العُجب وحب الاطراء الأجوف من قبل النفعيين المحيطين به.

حتى تحول هذا المرض الى غشاوة تمنعه من الرؤية المتوازنة للأشياء، فلا يرى الحق الا من خلال نفسه، ولا يتمكن ان يمنح نفسه فرصة تفهم لحقيقة مواقف الاخرين، طالما لم تنسجم هذه المواقف مع رؤيته ومواقفه الشخصية والمزاجية، فهو يسبح في الخيال وابعد شيء عن الواقعية.

قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ الكهف.

فقد ذكر المفسرون ان هؤلاء الذين خسروا انفسهم، وحبطت اعمالهم هم اولئك الذين سقطوا ضحية الاعجاب بالنفس، ولم يتحرروا من شراك الشيطان، فليس لهم قيمة او

وزن يوم القيامة عند الله.

ومن هذا المنطلق يأتي تحذير الإمام علي عليه السلام للحاكم والمسؤول المتصدي من مرض الاعجاب، بالنفس وعدم القدرة على مراجعتها من أجل محاسبتها وتقويمها، لان الاعجاب بالنفس يعمي ويصم، فلا يرى الحاكم أو المسؤول المعجب بنفسه اي عيوبٍ فيه أو نقاط ضعف في شخصيته، فيظل غارقاً في الوهم، وحب المدح والاطراء، فيقع في نهاية المطاف فريسة للشيطان فيمسخ شخصيته ويمحق عمله وتضيع حسناته.

فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال:

«من دخله العُجب هلك» (١)

وقال الباقر عليه السلام:

«ثلاث هن قاسمات الظهر: رجل استكثر عمله، ونسي ذنوبه، وأعجب برأيه»(٢).

---

(١) الوافي ٣/ ١٥١.

(٢) الخصال - للصدوق

آثار المن والتزيد وخلف الوعد على الحاكم

وَ إِيَّاكَ وَ الْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الأحْسَانَ وَ التَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ وَ الْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللَّهِ وَ النَّاسِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ﴾.

المن والأذى: «المن» هو ان يقول الرجل لصاحبه: ألم أعطك؟ ألم أحسن إليك؟ وشبه ذلك.

و«الاذى» هو أن يقول: أراحني الله منك، او يعبس في وجهه، أو يعنفه بكلام، أو يتناقص به.

والمن والأذى يشتركان في كل ما ينغص الفعل ويكدر العطاء، وإنما كانا مبطلين للصدقة لان صدورهما يكشف عن كون الفعل لم يقع خالصا لله، وهو معنى بطلانه[١].

التزيد فيما كان من فعلك: المبالغة بادعاء المنجزات واضافة اعمال لم يقم بها، وهو من الكذب.

إن من حق الامة على الحاكم ان يحسن اليها بالعطاء

---

(١) مجمع البحرين: ج ٣ مادة «منن»

الذي يحفظ لها حياتها وكرامتها، وان لا يتبع ذلك العطاء، بأي أذى او منة، او شعور بالتفضل والتعالي عليها، لان مشروع العطاء في الاسلام وظيفة اجتماعية تقوم بها الدولة والمجتمع ضمن منظومة احكام وقوانين الضمان والتوازن والتكافل الاجتماعي في التشريع الإسلامي.

وعلى هذا فان العطاء يجب أن ينطلق من دوافع الحب، والخير، والبر، والاحسان، والشعور بالمسؤولية.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ الإنسان.

ومن الثابت في كتب التفسير والتاريخ ان هذه الايات الكريمة قد نزلت بحق أهل البيت عليهم السلام[1] حيث جسدوا مفهومها ومعانيها ومعطياتها أجمل تجسيد، حينما قدموا طعامهم وهم صيام للمسكين، واليتيم، والأسير، بكل حب وحنان ورحمة، وباتوا ثلاث ليال يأنسون بالجوع والطوى، لان لذة الإطعام عندهم تفوق لذة الطعام.

وهذا درس بليغ يجب ان يتعلمه كل القادة المتصدين

---

(١) ينظر: مجمع البيان-للطبرسي. والميزان-للطباطبائي. وغيرهما.

لخدمة المجتمع، خصوصاً الشرائح الفقيرة والمحرومة، فينبغي لكل مسؤول عن الشؤون العامة أن يكتم آلامه ومعاناته ولا يسقطها على الآخرين.

وهنا تبرز عظمة القائد الناجح الذي يفكر بالآخرين قبل الذات، من دون شعور بالمن أو الغرور أو التعالي.

فان مسألة المن، والتعالى، والشعور بالتفضل أمراض نفسية واخلاقية يصاب بها الانسان المبتلي **بضعف النفس وقلة التقوى، خصوصاً مستحدثي النعمة، وأشد ما يكون المن والتعالى قبيحاً من الحاكم والمسؤول المتصدي للشأن العام وخدمة المجتمع، لأن ما يقدمه هذا المسؤول من عطاءٍ وفضل على الناس ليس من أمواله الشخصية، انما هي حقوقهم التي أمرهُ الله تعالى بتأديتها اليهم من دون منٍّ أو أذى.**

قال تعالى في محكم كتابه:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟
مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ
وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ
وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ

فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ البقرة.

كما ان الافتخار على الناس والشعور بزيادة العطاء لهم يوجب ذهاب الأجر، ويطفىء نور القلب.

ويدخل في هذا الاطار ايضاً من حيث الذم وذهاب الاجر واطفاء نور القلب خلف الوعد بالعطاء، فان الحاكم لا ينبغي له ان يعد الناس بعطاء ثم يخلفه، فان ذلك يعرضه - اضافة لما سبق- لسخط الناس ومقتهم، كما أن عدم الوفاء بالوعد صفة من صفات المنافقين، أما المؤمن فإنه اذا وعد وفى، ولا يمنن ولا يستكثر.

قال تعالى:

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾﴾ المدثر.

وضع الامور في مواقعها

وَ إِيَّاكَ وَ الْعَجلَةَ بِالأُمورِ قَبْلَ أَوانِها أَوِ التَّسَقُّطَ[١] فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا أَوِ اللَّجاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ وَ أَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ.

التسقط: التهاون والتخلف. وقال ابن ابي الحديد: التساقط: عبارة عن النهي عن الحرص والجشع.

اللجاجة: التمادي والعناد في تعاطي الفعل المزجور عنه[٢].

قال تعالى:

﴿لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٥﴾ المؤمنون.

فيكون التحذير بإياك عن الافراط بالعجلة والتفريط بالتهاون أو الاسترخاء.

تنكرت: أي اصبحت غير واضحة، ولا يعرف وجه الصواب فيها.

---

(١) وفي نسخة «التساقط» بمعنى الاسترخاء.

(٢) مفردات الراغب الاصفهاني/ ٧٣٦.

من سمات الحاكم والمسؤول في ادارة الشؤون العامة هي الأناة، والحلم والتريث، والحكمة، وعدم العجلة باتخاذ المواقف والقرارات في الامور التي تحتاج الى فحص ومراجعة.

واما الموضوعات والمواقف الواضحة، التي لا تحتاج الى الدراسة والتأمل الطويل، فيجب المبادرة الى انجازها وحسمها، وعدم التراخي والوهن في انجازها.

اما الامور الكبيرة والصعبة، والتي لم تتضح وجهتها بعد، فينبغي على الحاكم والمسؤول ان يخضعها للدراسة والمشاورة، كي لا يندم على التعجل باتخاذ القرارات غير المدروسة فيها.

وهنا تبرز الموازنة الحساسة في شخصية الحاكم الذي يدير المعادلات السياسية والادارية والاقتصادية المعقدة في البلاد، فهو من ناحية ينبغي عليه التريث وعدم العجلة، لان الامور غير واضحة وتحتاج الى مزيد من الوقت والتأمل، وهو من ناحية أخرى يجب عليه المبادرة والحسم وعدم التخلف والتهاون، لان القضايا المطروحة بين يديه اصبحت واضحة المعالم والاتجاه.

كما ينبغي عليه ان لا يتمادى في الباطل أو يصر على

الخطأ ويتوغل في طريق الانحراف بعناد ولجاجة، وهو في نفس الوقت عليه ان يكون صريحاً في الامور التي أصبحت واضحة ولا تحتاج الى نقاش وجدل طويل.

وهذا هو سر نجاح أو فشل الحاكم والمسؤول في ادارة هذه المعادلات الدقيقة والحساسة على المستوى الاجتماعي والسياسي والاداري.

وان من طبيعة العمل الاداري في الوزارات والمؤسسات العامة، ان تكون لها مجالس استشارية، ولجان متخصصة تقدم لها الرأي والمشورة والمواقف المناسبة حيال القضايا الكبيرة التي تتطلب دراستها من قبل اهل الخبرة والاختصاص، وكلما كانت هذه المجالس فاعلة ومهنية وحيوية، كانت النتائج والقرارات قوية ومحكمة وموضوعية.

التطاول على الممتلكات العامة

وَ إِيَّاكَ وَ الأسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ وَ التَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى[1] بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الأمُورِ وَ يُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ.

الاستئثار: التفرد بالشيء من دون غيره.

وهو شكل من اشكال الانانية، وحب الذات، والسيطرة والاستحواذ على الاموال العامة والحقوق المشتركة والتفرد في المجالات التي يكون الناس فيها سواء.

ومما نهى عنه الامام أمير المؤمنين عليه السلام حالة الاستئثار والانانية في التعامل مع الاموال العامة، والتفرد بها دون الاخرين، وهو داء خطير يبتلي به ضعيف الارادة وقليل الايمان، ويتجلى ذلك عند أكثر ذوي المواقع والسلطان السياسي والاجتماعي، لان المستأثر يحسب انه المالك للأشياء والمخول في التصرف بها كما يشاء دون غيره، الا ان هذا التفكير هو الجهل والوهم بعينه، لانه وان كان هو الذي يمتلك الصلاحيات في التوزيع في اطار العدالة

(١) وفي نسخة «يعنى»

والمخول في ذلك، الا انه يعتبر الامين عليها والمسؤول الاداري والمحاسب عليها بموجب القانون، وان للناس حقاً فيها وعليه ان يؤدي تكليفه ومسؤوليته الشرعية والقانونية والاجتماعية بأمانة، واخلاص، ووفاء، بعيداً عن روح الاستئثار والاستحواذ والأنانية والتعالي على الآخرين.

وفي الاطار نفسه على الحاكم والمسؤول المتصدي للشأن العام ان لا يتجاهل، أو يتغافل مهامه ومسؤولياته التي اصبحت واضحة المعالم للجميع، فيجب عليه ان يعمل على أدائها بأحسن وجه، لانها تقع في دائرة التكليف الشرعي والقانوني، خصوصاً المسؤوليات والواجبات التي تتعلق بانصاف المظلوم ونصرته، ومساعدته، واقامة العدل بين الناس.

الحاكم لا يتصرف بغضب وانفعال

امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنفِكَ وَ سَوْرَةَ حَدِّكَ وَ سَطْوَةَ يَدِكَ وَ غَرْبَ لِسَانِكَ وَ احتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ وَ تَأْخِيرِ السَّطْوَةِ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الأَخْتِيَارَ وَ لَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ.

حمية أنفك: الاعتزاز بالنفس ورفض ما تكرهه مما ينافي اعتباراتها.

سورة حدك: حدّة بأسك.

غرب لسانك: حدّ اللسان وطرفه، تشبيهاً له بحدّ السيف.

وفي هذا الجزء من نص عهد الامام علي عليه السلام لمالك الاشتر يؤكد الامام عليه السلام ان على الحاكم ان يكون صبوراً، حليماً، عادلاً، يتحمل هموم الفقراء ومشكلاتهم، بعيداً عن الغضب، والحمق، والتهور، والانفعالات في ادارة الامور العامة.

وان هذا لا يتم بمجرد التمني والرغبة، انما يحتاج الى مزيد من ترويض النفس ومحاسبتها والتأمل في مسيرتها

وعاقبتها، وبالتالي يحتاج الانسان المسؤول ان يستحضر رقابة الله ووقوفه بين يديه يوم يلقاه.

قال تعالى في محكم كتابه المجيد:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ الحشر.

فالمسؤول المتصدي لخدمة الناس يجب ان يتقي الله حق تقاته، وان يفكر بما يحمله من زاد ليوم غده، وما يقدمه بين يدي ربه، حتى لا يكون من اللذين استحكمت عليهم الغفلة، فنسوا الله فنسيهم، وأنساهم أنفسهم، وذلك هو الخسران المبين.

وقال تعالى:

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾﴾ الإسراء.

فالانسان يوم القيامة لا يحشر الا بعمله، ولا ينفعه الا جهده وانجازاته المخلصة، ففي ذلك اليوم تتعطل

المحسوبيات والمنسوبيات وتتوقف كل الاعراف المزيفة والمواضعات الاجتماعية التي ما أنزل الله بها من سلطان فيقف الانسان امام كتابه وسجل أعماله الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها، فهو يقرأ فيه كل ملفاته وتاريخ حياته من أجل ان تكون الحجة أبلغ في الحكم وأصدق في القرار والموقف.

الاستفادة من فرائض القرآن وسنن الماضين

وَ الْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا (صلى الله عليه وآله) أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ[١] مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا وَ تَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا وَ اسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ لِكَيْلا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا.

وقبل ختام هذا العهد الشريف يذكّر الامام عليه السلام صاحبه مالك الاشتر «رضي الله عنه» بضرورة الاستفادة من دروس التأريخ وحياة الماضين، فان في سنن التاريخ وقوانينه كثيراً من الدروس والعبر، والتجارب.

ولعل ابلغ، واثمر، وأعظم تلك الدروس معرفة القرآن الكريم وما يضم من قصص الانبياء وحياة الصالحين والفرائض والاحكام والمواعظ ودراسة السيرة النبوية المطهرة وما فيها من دروس ومواقف في حياة النبي الاكرم صلى الله عليه وآله

(١) وفي نسخة «شاهدته»

وكذلك الحياة الخالدة للائمة الاطهار عليهم السلام.

ثم الاستفادة من مسيرة الحكومات والحضارات، وتجارب الشعوب، والامم السالفة خصوصاً دراسة العصر الإسلامي الأول، والخطوات الاولى لحركة الرسول والرسالة في تاريخ الاسلام والمسلمين، فان فيها من المشاهد والمواقف ما يصلح ان يكون مصدراً للثقافة والوعي والتجربة الجاهزة للاجيال عبر الزمن.

ويعدُّ هذا العهد الشريف وثيقة ثقافية، وسياسية، وادارية، واخلاقية مهمة، وهو حجة من الامام عليه السلام على عامله وقائد معاركه الصحابي الجليل مالك الاشتر «رضوان الله عليه» وعلى كل من يطلع عليه في الحاضر والمستقبل، حتى لا يركن الى التبريرات والاعتذارات في مخالفة المنهاج الصحيح، واتباع الأهواء والرغبات، والله هو العاصم والمسدد، والهادي لطريق الحق والخير والصراط المستقيم.

الخاتمة الحسنة والشهادة السعيدة

وَ أَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ أَنْ يُوَفِّقَنِي وَ إِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الأَقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَ إِلَى خَلْقِهِ مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ وَجَمِيلِ الأَثَرِ فِي الْبِلادِ وَ تَمَامِ النِّعْمَةِ وَ تَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ وَ أَنْ يَخْتِمَ لِي وَ لَكَ بِالسَّعَادَةِ وَ الشَّهَادَةِ إِنَّا[١] إِلَيْهِ راجِعُونَ[٢] وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ[٣] الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَ سَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً وَ السَّلامُ.

ثم يختم الامام أمير المؤمنين عليه السلام هذا العهد الخالد بأروع الكلمات وأرق الدعوات له ولصاحبه مالك الاشتر «رضوان الله عليه» بطلب الرحمة، والمغفرة، والتسديد، والتأييد، وحسن الثناء في العاجل والآجل، والذكر العابق بالطيب على الدوام في العباد والبلاد.

ولعمري فقد حقق الامام ابو الحسن عليه السلام هدفه ونال

---

(١) وفي نسخة «وإنا»

(٢) وفي نسخة «راغبون»

(٣) «وسلم» لا توجد في بعض النسخ.

طموحه، حيث حصل على ذكر طيب عطر وحب دائمٍ متوهج في قلوب المؤمنين لا يخمد أبدا.

كما أراد عليه السلام في دعائه، وأي ذكر أعظم وأجمل من أن يتحول عليه السلام الى محطة للفكر، ومشعلٍ للروح والجهاد، ومنار يهتدي به المؤمنون، والسائرون في طريقهم الصعب المتقلب الطويل.

ثم يقرأ الامام عليه السلام المستقبل ويستشرف ملامحه، حين يتنبأ في ختام رحلة الحياة والمعاناة بالشهادة، التي هي أسمى الاماني للعاملين في سبيل الله.

فقد نالها أمير المؤمنين عليه السلام في ليلة من ليالي القدر، وهو في محراب صلاته في مسجد الكوفة، وعندها أطلق كلمة هي أعز كلمة قالها، وما زالت هذه الكلمة تملأ سمع الزمن: «فزتُ وربِّ الكعبة»

فقد عبر علي عليه السلام أسوار الدنيا ليعانق شجرة النورِ، حيث الضياء السرمدي، وليطرق ابواب الآخرة بقبضة يمينه، فيحل ضيفاً على الله كأكرم ما يكون الضيوف.

أما أعدائه، وخصومه الجهلة، والجناة والطغاة، فقد كانوا وما زالوا يدورون في نواعير الخطايا والآثام، تطوقهم أشجار العلقم بالذل والقهر والمهانة.

وأما المجاهد البطل مالك الأشتر، فقد تحقق عنده الحلم، حيث نال وسام الشهادة وهو في طريقه الى مصر.

فسلام عليك سيدي يا أمير المؤمنين يا أبا الحسن والحسين يوم ولدت، ويوم جاهدت، ويوم تبعث حيا، وسلام عليكَ في سجل الخالدين.

وسلام على صاحبك القائد الفذ مالك الاشتر في الاولين والاخرين ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيرا.

وبعد هذه الرحلة الروحية والفكرية والسياسية في عالم الامام علي عليه السلام واجواء عهده الشريف الذي حمله صاحبه مالك الاشتر «رضوان الله عليه» الى مصر.

فحسبي ان اختم هذه الصفحات بقصيدة «أنشودة الجرح والوطن» التي كنت قد نشرتها منذ سنوات الهجرة الطويلة في ذكرى أمير المؤمنين عليه السلام اقدمها اليوم بين يديه، وبين يدي العراق، الجرح، والاهل، والوطن، راجياً ان يعود هذا البلد الطيب الجميل كما كان منذ القدم، واحة للحب، والسلام، وساحة للاخاء والتسامح، وصرحاً شامخاً للفكر والفقه والمعرفة، وجنة للشعر والادب والجمال.

ومن الله التوفيق.

انشودة الجرح والوطن

ترتدي الشمسُ من (عليٍّ) ضياها
فهو حِلمٌ ذابتْ عليه رؤاها

وهو أُنشودةٌ يُردِدُها المجدُ
وتغفو الجراحُ خلفَ صداها

أحرفٌ خُضّبت بلون السموات
وفيضِ الهدى فما أحلاها

فإذا (العينُ) عَزمةٌ وعلومٌ
وعَفافٌ.. وعزةٌ وعُلاها

وإذا (اللامُ) لينُ طبعٍ ولطفٌ
ولواءٌ بكفهِ يتباهى

وإذا (الياءُ) يا محمدُ بلّغ
أُمّةَ الحقَّ إنّهُ مولاها

هكذا يحسدُ الخلودُ علياً
وتخطُّ الدنيا لديه مَداها

وعليٌّ كانت له (سدرةُ) النورِ
مطافاً.. وعندهُ منتهاها

ردّدي يـاسـمـاءُ صـوتَ (عـلـيّ)
فـهـو لـو تـعـرفـينهُ صـوتُ طـه

وهـو مـا سحّت الـدموعُ الحزينـاتُ
ومـارشّـت الـنـحـورُ دمـاهـا

وهـو مـا تـمـتـمـت مـن الـجـوع أفـواهٌ
ومـا ضـمّـت الاضـالـعُ آهـا

وهـو فـقـرٌ صلّت عـلى يـده الـدنـيـا
وغـنّـت بـمـجـدهِ شـفـتـاهـا

حـمـلـتـهُ الامـلاكُ طـفـلاً وغـذّتـه
الـسـجـايـا حـتـى اسـتـقـام فـتـاهـا

وتـلـقّـتـهُ مـهـرةُ الـحـربِ حـتّـى
ألـبـسـتـهُ مـن الـغـبـارِ رِداهـا

رسمتهُ السيوفُ فاستسلم الخوفُ
وألـقـت لـه المنـايـا ظُـبـاهـا

يـأنـسُ الـمـوتَ وهـو فـي وحـشـةِ
الـدنـيا وفـي شـسـعِ نـعـلـهِ سـاواهـا

لـم يـجـد حـيـن عـسـعـسَ الـلـيـلُ إلا
جـمـرةً فـي يـدي (عـقـيـلٍ) رمـاهـا

ياعليّ الصفات حاصرك الهمُّ
وشدّت لكَ البلايا عُراها

واحتواك العذابُ فانكسرت
شفرةٌ وهي تنطوي بأساها

ولوتك الاقدارُ لا لستَ
من يُلوى ولكن أطعتَ فيها الله

فانحنت منك قامةٌ وتفرّت
جبهةُ لوّنَ السجودُ بَهاها

يادماكَ القُدسيةَ اللون مرّت
في ظلام الدنيا فكانت ضُحاها

ثم عاد التاريخُ يحمل ريّاكَ
إلى اُمّةٍ أضاعت خُطاها

علّها تحملُ المعاناة من وجهك
وحياً يلمُ عنها عَناها

علّ أحلامها تمرّ بدنياك
فتصحو من نومها موتاها

آه ياخيرَ اُمّةٍ أُخرجت للناس
أغفى ربّانُها ثمّ تاها

والـبـحـارُ الـظـلـمـاءُ لا مـرفـأٌ يـبـكـي
ولا صــــخـــــرةٌ تــــردُّ نِــــداهــــا

آه يـاخـيـرَ أُمّـة لـيـس فـي قـلـبِ
(عـلـيٍّ) ومـقـلـتـيـهِ سـواهـا

عُـذْ إلـيـنـا نـفـرشْ لـكَ الـروحَ دربـاً
ونُــفـدّي عــلى ذُراك ذُراهــا

كـيـف نـغـفـو وأنـت مـا زلـتَ تـبـكـي
ويـحَ كـوفـانَ مـا يـضـمُّ ثـراهـا

ويـدٍ بـايـعـتـك بـايـعـت الـضـبّ
وأخـفـت أحـقـادهـا ومُـداهـا

هـاهـي الـيـوم لا الـفـراتُ يـلاويـهـا
ولا دجـلـةٌ يـردّ بـلاهـا

والـضـريـحُ الـقـدسـيُّ غـادره الـعـشّـاقُ
يـومَ اسـتـبـاحـهُ أشـقـاهـا

فـالـعـراقُ الـكـبـيرُ كـالـحـفـرةِ الـظـلـمـاء
والـشـمـسُ ضـاعَ مـنـهـا ضـيـاهـا

عـذْ الـيـنـا ولـو بـحـلـم كـفـانـا
أن أحـلاَمَـنـا لـكـم تـتـنـاهـى

عـد فـخـلـف انـتـظـارنـا يـخـتـبـي
الـنـصـرُ وتخـفـي قـلـوبُـنـا نـجـواهـا

يـا عـراقَ الـجـراح والـفـتـنـةُ الـعـمـيـاء
دارت عـلـى الـقـلـوبِ رحـاهـا

نـحـن لـولاك لاحـتـوى حـلـمـنـا الـقـبـرُ
وأغـفـى عـلـى الـشـفـاه ضـمـاهـا

ولـضـاعـت مـواكـبُ الـحـبِّ في الـرمـلِ
وضـلّـت قـوافـلٌ بـسُـراهـا

أنـت فـي الـقـلـب لـوعـةٌ حُـلـوةُ الـجـمـرِ
وحـلـوٌ لـهـيـبُـهـا وأذاهـا

وسـيـبـقـى (الـعـراقُ) حـلـمَ (عـلـيٍّ)
شـامخـاً فـي الـدهـورِ مجـداً وجـاهـا

الملحق
الإعلان العالمي لحقوق الانسان

في العاشر من ديسمبر «كانون الأول» ١٩٤٨ أقرت الجمعية العامة للامم المتحدة، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وأذاعته، وبعد هذا الحدث التاريخي دعت الجمعية العامة الدول الأعضاء الى ترويج نص الإعلان، وإلى العمل على نشره وتوزيعه وقراءته ومناقشته، وخصوصاً في المدارس، والمعاهد التعليمية بدون أي تمييز بشأن الوضع السياسي للدول أو الاقاليم.

الديباجة:

لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع اعضاء الأسرة البشرية بحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم.

ولما كان تناسي حقوق الانسان وازدراؤها قد أفضيا الى اعمال همجية آذت الضمير الإنساني، وكان غاية ما يرنو إليه

عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة، ويتحرر من الفزع والفاقة.

ولما كان من الضروري ان يتولى القانون حماية حقوق الإنسان، لكيلا يضطر المرء، آخر الأمر الى التمرد على الاستبداد والظلم.

ولما كانت شعوب الامم المتحدة، قد أكدت في الميثاق من جديد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية، وبكرامة الفرد وقدره، وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية، وحزمت امرها على ان تدفع بالرقي الاجتماعي قدماً، وان ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح.

ولما كانت الدول الأعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الأمم المتحدة على ضمان اضطراد مراعاة حقوق الانسان والحريات الاساسية واحترامها.

ولما كان للادراك العام لهذه الحقوق والحريات الأهمية الكبرى للوفاء التام بهذا التعهد.

فان الجمعية العامة تنادي بهذا الإعلان العالمي لحقوق الانسان.

على انه المستوى المشترك الذي ينبغي ان تستهدفه كافة

الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع، واضعين على الدوام هذا الاعلان نصب أعينهم، الى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم والتربية، واتخاذ اجراءات مضطردة، قومية وعالمية، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الأعضاء ذاتها وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها.

المادة الأولى

يولد جميع الناس أحرار متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً، وعليهم ان يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

المادة الثانية

لكل انسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر، او اللون، او الجنس، او اللغة، او الدين، او الرأي السياسي، او أي رأي آخر، أو الاصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع أخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء.

وفضلاً عما تقدم، فلن يكون هناك أي تمييزَ أساسه

الوضع السياسي، او القانوني، او الدولي للبلد، او البقعة التي ينتمي اليها الفرد، سواء كان هذا البلد او تلك البقعة مستقلاً، او تحت الوصاية، او غير متمتع بالحكم الذاتي، او كانت سيادته خاضعة لأي قيد من القيود.

المادة الثالثة

لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.

المادة الرابعة

لا يجوز استرقاق او استعباد أي شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة اوضاعهما.

المادة الخامسة

لا يعرض أي انسان للتعذيب، ولا للعقوبات، او المعاملات القاسية، او الوحشية او الحاطة بالكرامة.

المادة السادسة

لكل إنسان أينما وجد الحق في أن يعترف بشخصيته القانونية.

المادة السابعة

كل الناس سواسية أمام القانون، ولهم الحق في التمتع

بحماية متكافئة من دون اية تفرقة، كما ان لهم جميعاً الحق في حماية متساوية ضد أي تمييز يخل بهذا الإعلان، وضد أي تحريض على تمييز كهذا.

المادة الثامنة

لكل شخص الحق في ان يلجأ الى المحاكم الوطنية لإنصافه من أعمال فيها اعتداء على الحقوق الأساسية التي يمنحها إياه القانون.

المادة التاسعة

لا يجوز القبض على أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً.

المادة العاشرة

لكل إنسان الحق، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، في أن تنظر قضيته، امام محكمة مستقلة نزيهة نظراً عادلاً علنياً للفصل في حقوقه والتزاماته وايّة تهمة جنائية توجه إليه.

المادة الحادية عشرة

١- كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئاً إلى أن تثبت إدانته قانوناً، بمحاكمة علنية تؤمن له فيها

الضمانات الضرورية للدفاع عنه.

٢- لا يدان أي شخص من جراء أداء عمل أو الامتناع عن أداء عمل، إلا إذا كان ذلك يعتبر جرماً وفقاً للقانون الوطني، او الدولي وقت الارتكاب، كذلك لا توقع عليه عقوبة أشد من تلك التي كان يجوز توقيعها وقت ارتكاب الجريمة.

المادة الثانية عشرة

لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة او اسرته او مسكنه او مراسلاته او لحملات على شرفه وسمعته، ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات.

المادة الثالثة عشرة

١- لكل فرد حرية التنقل واختيار محل اقامته داخل حدود كل دولة.

٢- يحق لكل فرد ان يغادر أية بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة إليه.

المادة الرابعة عشرة

١- لكل فرد الحق في ان يلجأ إلى بلاد أخرى أو يحاول الالتجاء إليها هرباً من الاضطهاد.

٢- لا ينتفع بهذا الحق من قدم للمحاكمة في جرائم غير سياسية، او لأعمال تناقض أغراض الامم المتحدة ومبادئها.

المادة الخامسة عشرة

١- لكل فرد حق التمتع بجنسية ما.

٢- لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفاً، او إنكار حقه في تغييرها.

المادة السادسة عشرة

١- للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج، وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب الجنس او الدين، ولهما حقوق متساوية عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله.

٢- لا يبرم عقد الزواج الا برضا الطرفين الراغبين في الزواج رضاً كاملاً لا إكراه فيه.

٣- الإسرة هي الوحدة الطبيعية الأساسية للمجتمع، ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة.

المادة السابعة عشرة

١- لكل شخص حق التملك بمفرده او بالاشتراك مع غيره.

٢- لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفاً.

المادة الثامنة عشرة

لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته او عقيدته، وحرية الاعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر، ومراعاتها، سواء أكان ذلك سراً ام مع الجماعة.

المادة التاسعة عشرة

لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الانباء والافكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية.

المادة العشرون

١- لكل شخص الحق في حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية.

٢- لا يجوز إرغام أحد على الانضمام الى جمعية ما.

المادة الحادية والعشرون

١- لكل فرد الحق في الاشتراك في إدارة الشؤون العامة لبلاده إما مباشرة وإما بواسطة ممثلين يختارون اختياراً حرا.

٢- لكل شخص نفس الحق الذي لغيره في تقلد الوظائف العامة في البلاد.

٣- إن إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة. ويعبر عن هذه الارادة بانتخابات نزيهة دورية تجري على أساس الاقتراع السري وعلى قدم المساواة بين الجميع، او حسب أي إجراء مماثل يضمن حرية التصويت.

المادة الثانية والعشرون

١- لكل شخص بصفته عضواً في المجتمع الحق في الضمانة الاجتماعية، وفي ان تحقق بواسطة المجهود القومي والتعاون الدولي، وبما يتفق ونظم كل دولة ومواردها، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي لا غنى عنها لكرامته وللنمو الحر لشخصيته.

المادة الثالثة والعشرون

١- لكل شخص الحق في العمل، وله حرية اختياره بشروط عادلة مرضية، كما ان له حق الحماية من البطالة.

٢- لكل فرد دون أي تمييز الحق في أجر متساوٍ للعمل.

٣- لكل فرد يقوم بعمل، الحق في أجر عادل مرض يكفل له ولأسرته عيشة لائقة بكرامة الانسان، تضاف اليه عند اللزوم وسائل أخرى للحماية الاجتماعية.

٤- لكل شخص الحق في ان ينشئ وينضم الى

نقابات حماية لمصلحته.

المادة الرابعة والعشرون

لكل شخص الحق في الراحة، وفي أوقات الفراغ ولا سيما في تحديد معقول لساعات العمل وفي عطلات دورية بأجر.

المادة الخامسة والعشرون

١- لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة، وله الحق في تأمين معيشته في حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة، وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن ارادته.

٢- للأمومة والطفولة الحق في مساعدة ورعاية خاصتين، وينعم كل الاطفال بنفس الحماية الاجتماعية، سواء أكانت ولادتهم ناتجة عن رباط شرعي أم بطريقة غير شرعية.

المادة السادسة والعشرون

١- لكل شخص الحق في التعلم، ويجب ان يكون التعليم في مراحله الاولى والأساسية على الأقل بالمجان، وأن يكون التعليم الأولي إلزامياً، وينبغي ان يعمم التعليم الفني والمهني، وان ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة.

٢- يجب ان تهدف التربية الى انماء شخصية الانسان إنماءً كاملاً، والى تعزيز احترام الانسان والحريات الاساسية، وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية او الدينية والى زيادة مجهود الامم المتحدة لحفظ السلام.

٣- للآباء الحق الأول في اختيار نوع تربية أولادهم.

المادة السابعة والعشرون

١- لكل فرد الحق في أن يشترك اشتراكاً حراً في حياة المجتمع الثقافي وفي الاستمتاع بالفنون،

والمساهمة في التقدم العلمي والاستفادة من نتائجه.

٢- لكل فرد الحق في حماية المصالح الادبية والمادية المترتبة على انتاجه العلمي أو الادبي أو الفني.

المادة الثامنة والعشرون

لكل فرد الحق في التمتع بنظام اجتماعي دولي تتحقق بمقتضاه الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الإعلان تحققاً تاماً.

المادة التاسعة والعشرون

١- على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذي يتاح فيه وحده لشخصيته ان تنمو نمواً حراً كاملاً.

٢- يخضع الفرد في ممارسة حقوقه وحرياته لتلك القيود التي يقررها القانون فقط، لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها، ولتحقيق المقتضيات العادلة للنظام العام والمصلحة العامة، والاخلاق في مجتمع ديمقراطي.

٣- لا يصح بأي حال من الأحوال ان تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة ومبادئها.

المادة الثلاثون

ليس في هذا الإعلان نص يجوز تأويله على أنه يخول لدولة أو جماعة أو فرد أي حق في القيام بنشاط أو تأدية عمل يهدف الى هدم الحقوق والحريات الواردة فيه.

المحتويات

المدخل

نص العهد الشريف

البرنامج الأمثل لادارة الدولة وقيادة المجتمع

الملحق